

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

إِصْلَاحُ الصَّلَاةِ وَأَئِمَّةُ الْمَسَاجِدِ

تَأْلِيفُ

عَبْدُ الْحَمِيد طَنْطَاوِي

مُرَاجَعَةُ وَتَدْقِيقُ

د. أَحْمَد الصَّادِق

إصدار موسوعة اعرف دينك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي الكريم وبعد..

يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني نشر هذا الكتاب للشيخ عبد الحميد طنظاوي والتي اتحفنا به لنشره دعويًا في موسوعاتنا، وهي بعنوان : (إصلاح الصلاة وأئمة المساجد)

والكتاب مهم لكل مسلم وداعية ولأئمة المساجد ليعرف الجميع ماله وماعليه فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام وعماده، وهي الصلة المباشرة بين العبد وربه و تكمن أهميتها في كونها أول ما يُحاسب عليه المسلم يوم القيامة، ومفتاح الفلاح والنجاح، والتفريط فيها محرم وكبيرة من الكبائر –.وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة." رواه مسلم.(82)

لذا ينبغي للمسلم أن يحرص على أداء الصلاة في أوقاتها، وألا يتكاسل أو يسهو عنها، قال تعالى: {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون}.

وفي نفس الوقت هي سببًا لنجاة المسلم ومغفرة الذنوب وتأمل هذا الحديث:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ " رواه النسائي (465)، والترمذي (٤١٣)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع.(2573) "

ولهذا كله ولأهميتها قامت الموسوعة بعمل غلافة تليق بها ورفعها بروابط مباشرة علي صفحات الموسوعة المختلفة لمن شاء تحميلها

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

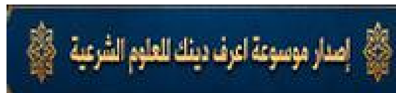
إصلاح الصلاة وأئمة المساجد

تأليف

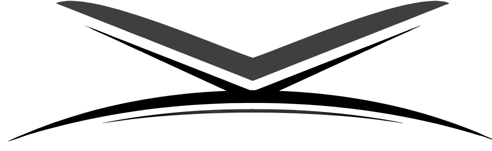
عبدالحميد طنطاوي

مراجعة وتدقيق

د. أحمد الصادق

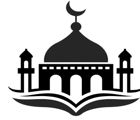



بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى كل عالم أو إمام أو داعيه أو مصلح أو مسئول أو مسلم غيور على دينه ويأسى لحال الأمة ويرجو عزتها بعد كبوتها، هذا نداء يستنهض همتكم لإحياء دين ودنيا الأمة والأئمة



مقدمة الدكتور أحمد الصادق

الحمد للَّه الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آلة وصحبه أجمعين. وبعد:

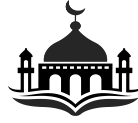
فإن من فضل اللَّه تعالىٰ أن يسر لي المشاركة في هذا الكتاب الموسوم بـ «إصلاح الصلاة وأئمة المساجد»، وقد كان عملي مركّزًا علىٰ مراجعة النصوص الواردة في الكتاب من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال لأهل العلم، مع العودة إلىٰ المصادر المعتبرة للتثبت من سلامة النقل ودقة العزو، فضلًا عن مراجعة اللغة والأسلوب من حيث الدقة العلمية وخلوها من الأخطاء التي قد توهم القارئ أو تضعف من وضوح المعنىٰ. وكان الهدف من هذه المراجعة هو المساعدة في أن يخرج الكتاب للقارئ الكريم في صورة تليق بجلال موضوعه، محكمًا من حيث المادة، رصينًا من حيث العرض.

لقد تبيّن لي من خلال هذه التجربة العلمية مقدار الجهد الكبير الذي بذله المؤلف في جمع مادته وتبويبها، إذ لم يدخر وسعًا في بيان أهم القضايا المتعلقة بالصلاة، سواء ما يتصل بفقهها أو بمقاصدها الروحية والتربوية. وقد ظهر جليًا حرصه علىٰ أن يكون الخطاب موجهًا إلىٰ القارئ بلغة تجمع بين العمق والوضوح، وبين التحقيق الشرعي والأسلوب التربوي المؤثر، بما يفتح آفاقًا أوسع لفهم الصلاة وإصلاحها.

وفي ختام هذه النبذة، لا يسعني إلا أن أجدد الشكر والثناء للمؤلف الكريم على جهده المبارك، وأن أسأل اللَّه تعالى أن يجزيه خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل نافعًا للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يكتب له القبول في الدنيا والآخرة، وأن يجعله سببًا لإصلاح صلاتنا وصلاح قلوبنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أحمد الصادق

دكتوراه في العقيدة الإسلامية





مُقَدِّمَة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، اللهم يامن تبارك اسمك، بارك في جهد يسير، أرجو به أثرا كبيرا ينفع الأمة ويصلح الدرب والمسير، علىٰ سبيل ونهج نبيك ورسولك سيد المرسلين ﷺ.

أما بعد، إخواني الكرام إن اللَّه ﷻ أرسل رسوله ﷺ من قوم ليس لهم أمة ولا حضارة ولا ذكر في تاريخ الأمم، فأصلح به دنيا قومه وجعل لهم دينا قيما ورسالة خالدة، وجعلهم خير أمة علىٰ وجه الأرض وخير حضارة عرفها التاريخ، وجعل اللَّه من بعده علماء الأمة ورثة للنبي ﷺ، وسطر التاريخ وقائع وأسماء علماء ودعاة وأئمة ومصلحين ومجاهدين قادوا الأمة للحضارة في قمتها وأصلحوا المسيرة في كبوتها.

واليوم نحن في أمس الحاجة لاستنهاض كل عالم وإمام وداعية ومصلح ومسئول ومسلم غيور علىٰ دينه لإصلاح الأمة والأئمة في شتىٰ أمور الدين والدنيا.

وهذه سلسة إصلاح الأمة في كافة أمور الدنيا والدين، وأبدأها بإصلاح الصلاة وأئمة المساجد بعد أن تحقق فينا إضاعة الصلاة وبعض أركانها حتىٰ أصبحت أخشىٰ أن نكون نحن من ينطبق عليهم حديث الذين ينقضون آخر عرىٰ الإسلام؛ لهذا جمعت هذا الكتاب في بيان إضاعة الصلاة وأسبابه وإضاعة مقاصدها وَأحكامها وإصلاحها وإصلاح أئمة المساجد.

وقد قسمت الكتاب الىٰ ثلاثة أبواب: باب الأصول، وباب الوصول، وباب الفضول.

باب الأصول يتضمن قصة إضاعة الصلاة، ثم بيانه بعدة فصول، الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين والفقهاء والعلماء والصالحين عن شتىٰ مواضيع الصلاة، ثم الواقع في حقيقة إضاعة الصلاة ومظاهرها وأسبابها وتفصيل ثلاثة عشر سببا معاصرا لإضاعة الصلاة، ووصف العلماء لمظاهر حقيقية تؤكد ضياع أو بطلان الصلاة، ثم الكلام مع وعن أئمة المساجد وشرف مكانتهم وقيادتهم للأمه وكيف اضمحل دورهم من أشراف وقاده وساده الىٰ موظفين تابعين إلا ما رحم ربىٰ، ثم اغتيال دور المساجد والأئمة واشتراكهم في إضاعة الصلاة، ثم السبل إلىٰ إصلاح الأئمة، ثم دورهم في إصلاح الصلاة والأمل المعقود عليهم في صلاح الأمة، ثم ما تم من مؤتمرات وفتاوىٰ تخصهم في ذلك ثم بيان الفقه الضائع لأحكام الصلاة علما والغائب عملا وتطبيقا.

وقد تم الغوص في أبحاث فقهيه واختلافات قديمة في الأركان والقبول والبطلان والتطويل والتخفيف، وقد روعي في هذه الأبحاث أن تكون استقصائية من جميع المذاهب والمدارس والأقوال المتعارضة، وسترىٰ أن الخلاف القديم كان علىٰ ثلاثة أمور، مقدار التخفيف والتطويل، الخشوع وعدمه، أسباب القبول والبطلان، وأما الخلاف المعاصر فهو في ضياع الشروط والأركان بعد ضياع الخشوع والاتقان.

والبحث سيبين لك أن الإجماع علىٰ التخفيف ذكره كثيرون ولكن اختلفوا في مقداره، وأن ما يقوله ويفعله النقارون هو استخفاف وليس

تخفيفا، وأن حججهم انقلبت عليهم حجة، وأن من المعاصرين من بيّن ورفض ذلك الاستخفاف.

ومن ثمرة هذه الأبحاث ثلاثة قواعد ذهبية للإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم، وهي كنوز مخفية قد صاغوها بعدما عايشوا بقلوبهم الآيات والأحاديث ومقاصد الشريعة.

وأما **باب الوصول** فيتضمن العلاج والإصلاح من خلال بحث غير مسبوق في مقاصد الصلاة وبيان تسعة وعشرين من مقاصدها الأولية المنشودة والغائبة، والرسائل والمؤتمرات والأبحاث العلمية المؤكدة لغيابها وتوصياتها، ثم عشرة محاور لتحفيز وجود المقتضىٰ وانتفاء المانع، وهي الإيمان، والقران، و تعظيم الحب للّه، وأسرار الصلاة، والاستعداد لها بأعمال قبلها، والخروج من قسوة القلب، وتذكر سبع وثلاثين مكانة للصلاة وخمسة وثلاثين معنىٰ للصلاة، و إصلاح الصلاة عند علماء الأمة، والدعاء والاستشفاء بها، والأسباب التي تعين علىٰ حضور القلب.

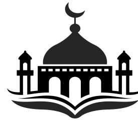
وأما **باب** الفضول فيتضمن عمق فقهي وآخر قلبي للترقي والتحليق مع الغزالي وابن تيمية وابن القيم وقواعدهم الذهبية ثم بيان المعاني القلبية التي تتم بها حياة الصلاة، ثم الأسرار والتطبيق العملي للوصول إلىٰ رحيق الصلاة، ثم العمق الفقهي لمسائل التخفيف والطمأنينة والوسواس، وأخيرا أسباب وعلاج الوسوسة، وثلاثة وخمسون من الأسباب التي تزيل الخشوع، ثم الختام بصلاة النبي ﷺ وبيان أنها لا تبدأ بالتكبير وتنتهىٰ بالتسليم كما هو شائع فإن هذه هي البداية والنهاية الفقهية، أما البداية والنهاية الفعلية فقد كان ﷺ يبدأ الصلاة بالتحضير

والاستحضار ويختمها بالتمجيد والتوحيد والاستغفار، وقد غاب هذا علما وعملا، ولما لم نبدأ صلاتنا بالتحضير والاستحضار لم نر فيها خشوعا أو حضورا أو لذة، ولما لم نختمها بالتمجيد والتوحيد والاستغفار لم نر لها فينا أثرا.

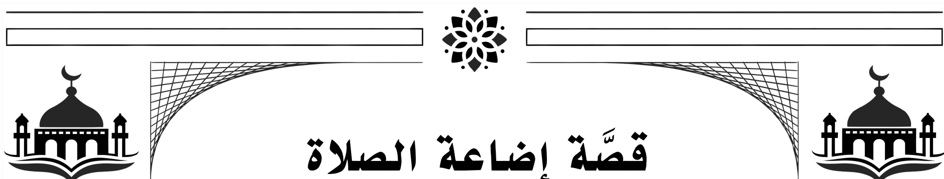
وأهيب بكل عالم وداعية وإمام ومصلح ومسئول ومسلم غيور أن ينظر في صلاته وصلاة إخوانه المسلمين وأن يكون لهم قدوة في إصلاح الصلاة، وما وجده من خير في هذا الكتاب أن ينشره وما وجده من خطأ فليجبره، وأسأل اللَّه ﷻ أن ينفعني والمسلمين بهذا المقصد وأن يجعل هذا العمل منه وبه وله توفيقا واستعانةً وإخلاصا. والحمد للَّه رب العالمين.

عبد الحميد طنطاوي

الكويت في سبتمبر ٢٠٢٥



الباب الأول
فصول الأصول



قصَّة إضاعة الصلاة

بدأت قصَّة إضاعة الصلاة منذ حوالي ثلاثين عامًا بسؤال ليس له إجابة كافية حتىٰ الآن، وأحاول أن أضع الاجتهادات للجواب محل تسليم وتصديق فأصدق وأسلم ولكن لا أستطيع التطبيق.

وأبدأ معك الرحلة من يومها إلىٰ يومنا، ففي يوم تدبرت في صلاتىٰ حديث النبي ﷺ: «اللَّهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لكَ سمعي وبصري ومُخِّي وعظْمِي وعصَبِي» وفي رواية وما استقل به قدمي..[1]

لقد وقعت الكلمات علىٰ قلبي وقع القرآن علىٰ الجبال، كلمات تأخذ العقل، ويجول الفكر في معانيها وكيفية تحقيقها.

كلمات تطرق علىٰ أوتار القلب لتوقظ فيه مشاعر غائبة عن الوجدان وتلهب فيه شوقا إلىٰ عالم علوي سماوي، ولما وصلت إلىٰ خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقل به قدمي، مع أول كلمة خشع لك سمعي توقف لساني بعد أن أخذ عقلي بلجامه، فقلت في نفسي: هل أنا ـ فعلا ـ قد خشع سمعي؟ وما معنىٰ خشوع السمع وكيفيته؟

أنا لا أستطيع استكمال الذكر لأني أرىٰ أني كاذب من أول كلمة! بل

---

(١) رواه أحمد: (٩٦٠) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب.

ولا أعلم كيف هو خشوع السمع والبصر، وما سمعت عن خشوع المخ ولا العظم ولا العصب ولا ما استقلت به القدم!!

وهنا توقفت ولم أستكمل الذكر وعاد السؤال بلا جواب حتىٰ الآن! ـ اللهم إلا ما وجدت بعضه بعد سنين أثناء بحثي في عشرات الكتب ـ فقط في كلام الإمام العيني كما سيأتي.

كيف هو خشوع السمع والبصر والمخ والعظم والعصب وما استقلت به القدم؟

وقالت لي نفسي: إن هذا الذكر سُنَّة فقله وإن لم تتحقَّق به.

قلت: لا، إن هذا إخبار عن الحال وليس دعاء لأن النبي ﷺ يُخبر عن حاله وأن هذه الجوارح قد خشعت منه للَّه، أما أنا فما خشعت جوارحي وما أدري معنىٰ وكيف تخشع.

يا نفس لن أكذب ولكن سأبدأ في البحث عن السؤال وجوابه في أقوال العلماء.

قلت: ولكن سأبدأ بنفسي في تفقُّد أحوال النبي ﷺ وماذا كان يفعل قبل الصلاة وأثنائها وفي سائر يومه وسائر أعماله التي أدت به إلىٰ إدراك هذا الخشوع لكل هذه الجوارح، وإخباره ومناجاته للَّه ﷻ بخشوعها.

ومرت شهور أبحث وأفكر وأجمع وفي نيتي وصولا إلىٰ الأسباب وكذلك الأخذ بها حتىٰ أخشع.

وجمعت سبعة مشاهد باجتهاد شخصي تبين وتصف وتوضِّح كيف كان الرسول ﷺ يصل خشوعه إلىٰ خشوع تلك الجوارح، هذه المشاهد وكأنك تراها هي:

ـ مشهد قطع العلائق.

ـ مشهد قطع العوائق.

ـ مشهد رفع الحجب.

ـ مشهد التوحيد العملي.

ـ مشهد جمع ثمار القرآن.

ـ مشهد العبودية والتعظيم والخضوع.

ـ مشهد التحقق بالإيمان العملي.

وكلها مشاهد من أحاديث النبي ﷺ. وشرحتها في كتابي رحيق البلاء.

ومرَّت سنوات أحاول الوصول إلىٰ حال النبي ﷺ وخشوع جوارحه، وكنت أحيانًا أرىٰ أثر محاولتي للخشوع وأدرك جزءًا منه.

ومن حيث لا أدري دارت غفلة الزمن وتسارعت حوادثها لتسير السنين في أيام، وتطورت معها وسائل اتصالات وإعلام وتقنيات اختطفت الإنسان من الروحانيَّة إلىٰ المادية، من الهدوء والسكون والتأمُّل والتَّفكر إلىٰ التوتر والتَّعجل والقلق.

وأصبح عقل الإنسان مرتعًا مفتوحا لكل واردٍ عليه من شبهات وشهوات وقبائح ورذائل، وأما القلب فقد ضربته الغفلة والقسوة!

أمَّا النفس فصالت وجالت مع شهواتها وأمانيها، وعجز العقل التابع والقلب الغافل عن اليقظة والرشد.

ورأيت تأثير ذلك في صلاة الناس وفي صلاتي وفي أئمتهم كلما صليت

خلف إمام لا أستطيع أن أستكمل معه الأركان وقلَّ أن تجد الاطمئنان، وتعجَّبت مما ذكره الدكتور إبراهيم عمر السكران في وصف إضاعة الصلاة عند أهل الخليج من حركاتٍ وأفعالٍ ما سمعت بها وما رأيتها في الصلاة في مصر، ولما سافرت إلىٰ تركيا رأيت أن الأمر هناك أسوأ، وهكذا كان الأمر في صلاتي في بعض بلاد أوروبا والبلاد العربية، وكان من أسوأ ما رأيت يوم وقفت لأصلي في الحرم المكي وإذا أمامي رجلان من إفريقيا بدءا الصلاة معي وبمنتهىٰ السرعة سلَّموا من الركعتين وأنا ما زلت واقفا أستكمل القراءة البسيطة بعد الفاتحة وتفكَّرت في هذه البلاد التي لم أرها ولكن رأيت صلاة أهلها.

وأدركت كيف أضاع أئمة هذه البلاد الصلاة حتىٰ وصلت صلاة الناس عندهم إلىٰ هذا الحدّ من الضياع.

تعجبت وأصبحت أراقب صلاتي وصلاة الأئمة والمصلين كيف يتم التفريط فيها، واتفكَّر في أسباب ضياع الصلاة وكيفية إصلاحها، وانتابني الفزع والخوف من أن نكون الجيل الأخير الذي يصدق عليه حديث النبي ﷺ «لتُنقضن عُرَىٰ الإسلام عُروة عُروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة»، وكان هذا اليوم وهذا الموقف فاصلًا في مسيرتي الفكرية والبحثية؛ فطرحت جانبًا كتابتي وأبحاثي لكتابي رحيق الإيمان وكتاب التوحيد العلمي لأتفرغ لكتابٍ جديد وبحثٍ جادٍ لهذا الكتاب «إصلاح الصلاة»، أو قل الصلاة من الضياع إلىٰ الرحيق!

وكان أكبر همِّي هو كيفية تصحيح مسار الأمة وإصلاح الصلاة؛ فقد ظهر جليًا إضاعة الأمة لأمر الصلاة، إلا ما رحم ربي، وأنه من

الواجب عليا إحداث صرخة تصحيح في الأمَّة، وأن تصل هذه الصرخة إلىٰ كل من له تأثير، وعلىٰ كل إمامٍ وعلىٰ كل هيئةٍ أو وزارةٍ سماع هذه الصرخة والنداء بها، والبدء في إصلاح الصلاة من فوق المنابر وفي المجامع وبأقلام الكتاب واصوات الدعاة وإصدار القرارات من المسئولين.

هكذا كنت أظن بساطة الأمر حتىٰ أظهرت أبحاثي عمق المأساة واطلعت علىٰ المؤتمرات الإسلامية في إصلاح دور المساجد والأئمة وما سجلته من واقع مرير وأسبابه وعلاجه.

لقد رأيت أن الأمر أكبر مما ظننت، إنه أمر أمة الإسلام وأمرٌ نبَّه عليه الرسول ﷺ.

وتحتم علي استكمال مسيرتي في البحث وتصحيح المسار.

✍ مسيرتي في الكتاب

وأما عن مسيرتي في كيفية تصحيح المسار فكانت كالتالي:

أولا: البحث والتحرير والتنبيه علىٰ الصلاة المطلوبة وهي صلاة النبي ﷺ.

ثانيًا: البحث والتنبيه علىٰ الأسباب العامة والأسباب الخاصة التي أدت إلىٰ ضياع الصلاة.

ثالثًا: البحث والتنبيه علىٰ العلاج لظاهرة ضياع الصلاة.

رابعًا: البحث والتنبيه علىٰ رحيق الصلاة وكيفية الوصول إليه وإلىٰ الأنس باللَّه.

وعندما بدأت في النقطة الأولىٰ مطالعة عشرات الكتب التىٰ تحدثت عن صلاة النبي ﷺ، وجَدت فيها الكثير والجديد الغائب عن الناس،

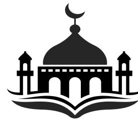
وحتىٰ عن أغلب الأئمة، و واللَّه لقد فاضت عيني كثيرا تأثرا من هذه الكتب وأصلحت صلاتي أكثر عملًا بما طالعته، ووددت لو أن كل مسلم طالع وعمل بذلك، ويكفيك في كتب وصف صلاة النبي ﷺ أو كتب الصلاة عامة أن تقرأ كل أحاديث الصلاة ومتعلقاتها، وتسمع أراء العلماء الفقهية والوعظية فيما ورد في الأحاديث، وترىٰ فيها أمثلةً من صلاة السلف والصحابة وتعيش مع صلواتهم، ومن اقتدىٰ بهم كابن القيم وابن تيمية وابن الجوزي وابن رجب والغزالي والكثير غيرهم وحتىٰ كتب المعاصرين الصادقين انتفعت بها.

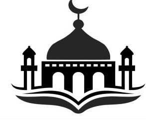
فقد ظهرت محاولات معاصرة للتنبيه علىٰ الخشوع في الصلاة.

لكن لم أر كتابًا انفرد بموضوع ضياع الصلاة وإصلاحها وبيان الواقع وأسبابه وعلاجه، ولم أرىٰ كتابا بحث وجمع واستقصىٰ في موضوع مقاصد الصلاة فغابت المقاصد التي أرادها اللَّه ﷻ عن صلاتنا علماً وعملاً. وقد جمعت من القديم والجديد ما يخدم الهدف المنشود من الكتاب لإصلاح الصلاة وبيان مظاهر ضياعها والأسباب والعلاج للوصول إلىٰ رحيق الصلاة وذوق حلاوة المناجاة مع اللَّه ﷻ.

وأسأل اللَّه ﷿ أن يصلح صلاتي ومناجاتي وأن يوفقني لعملٍ ينفع الإسلام والمسلمين في صلاتهم وينفعني في قبري ويشفع لي أمام ربِّي.

اللهمَّ اجعله منك وبك ولك توفيقًا واستعانةً وإخلاصًا.




الفصل الأول

الآيات

مقدمة:

إن الآيات والأحاديث أصل العلم والعمل ولهما نور لا تجده في كلام البشر، وأثر في القلب والعقل لا يعدله أثر، فلا تحرم نفسك من العلم والنور والأثر، وكلما تدبرت تأثرت وتغيرت ووصلت، ولا أريد أن أضع لك عناوين ومفاهيم لكل آية أو حديث بل أترك ذلك لعقلك وقلبك وفتح اللَّه لك فلكل قارئ متدبر فتح وأثر يصلح له.

١- ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾ [مريم]

٢- ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥ ﴾ [البقرة]

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ [البقرة]

٤- ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾ [البقرة]

٥- ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾ [البقرة]

٦- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة]

٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣﴾ [النساء]

٨- ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء]

٩- ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾ [النساء]

١٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن

كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [المائدة]

١١- ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنعام]

١٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف]

١٣- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة]

١٤- ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة]

١٥- ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود]

١٦- ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [إبراهيم]

١٧- ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ

﴿ ... ٤٠ ﴾ [إبراهيم]

١٨- ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ ﴾ [الإسراء]

١٩- ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ ﴾ [طه : ١٤]

٢٠- ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ ﴾ [الحج]

٢١- ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ ﴾ [النور]

٢٢- ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦ ﴾ [النور٦]

٢٣- ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ [العنكبوت]

٢٤- ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ ﴾ [الروم]

٢٥- ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ [لقمان]

٢٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة]

٢٧- ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ٢٠﴾ [المزمل]

٢٨- ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ [آل عمران]

٢٩- ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام]

٣٠- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾ [مريم]

٣١- ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم]

٣٢- ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ

وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ [طه: ١٣٢]

٣٣- ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]

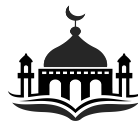
٣٤- ﴿۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج]

٣٥- ﴿كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر]

٣٦- ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون]

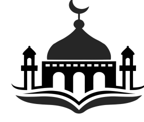
٣٧- ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة]

٣٨- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور].









الفصل الثاني

أربعون حديثًا في فضل الصلاة، والحث على إقامتها، والتحذير من التفريط فيها

لما كانت الصلاة هي الركن الأعظم بعد الشهادتين، وقد عظّمها الشرع غاية التعظيم، فقد جاءت السنة النبوية المشرفة علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام تبيّن فضلها وتضع حدودها وتضبط صفتها وهيأتها، وقد جمعت في هذا الفصل من الكتاب أربعين حديثًا تدور بين الترغيب والترهيب، وبيان ما أعده اللَّه للمصلين المحافظين، وما توعّد به من فرّط في هذه الفريضة العظيمة. والغاية أن يحيي المسلم قلبه بهذه النصوص النبوية، فيقبل علىٰ الصلاة محبةً وحرصًا، ويزداد خشية من التفريط والتهاون، عسىٰ أن تكون هذه الأحاديث سببًا في هداية قلب، أو إقامة نفس علىٰ طاعة ربها وحافزا للمؤمنين أن يؤدوها كما أراد اللَّه، كاملة خاشعة، تحفظ الجوارح وتزكي الأرواح.

الحديث الأول في السنن عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ أَكْمَلَهَا، وَإِلَّا قِيلَ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ أُكْمِلَتْ بِهِ الْفَرِيضَةُ، ثُمَّ يُصْنَعُ بِسَائِرِ أَعْمَالِهِ»[١]

(١) رَوَاهُ النَّسَائِيّ بِإِسْنَاد صَحِيح وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيّ من طَرِيق أُخْرَىٰ إِلَىٰ أبي هُرَيْرَة ثمَّ قَالَ حسن وَالْحَاكِم وَقَالَ صَحِيح الْإِسْنَاد قَالَ وَله شَاهد عَلَىٰ شَرط مُسلم فَذكره من حَدِيث تَمِيم الدَّارِيّ. تحفة المحتاج إلىٰ أدلة المنهاج ١/ ٣٣٣

وفي الحديث الشريف دلالة علىٰ عظم شأن الصلاة فهي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وفيه أيضا إشارة إلىٰ أهمية صلاة النافلة.

الحديث الثاني: عن جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ». (١)

قال النووي معناه أي: الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا ترك لم يبق بينه وبين الشرك حائل. (٢)

الحديث الثالث: عن عثمان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يأْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ» (٣)

و (إحسان الوضوء): الإتيان بفرائضه وسننه.

و (خشوع الصلاة): الإخبات فيها بانكسار الجوارح، و (إحسانها): أن يأتي بكل ركن علىٰ وجه أكثر تواضعا وخضوعا، واكتفي بذكر الركوع عن السجود لأنهما ركنان متعاقبان، فإذا حث علي إحسان أحدهما حث علي الآخر.

الحديث الرابع: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال أشهد أنني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: (خمس صلوات افترضهن اللَّه من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند اللَّه

---

(١) رواه مسلم: ١٣٤

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ٢/٧١

(٣) رواه مسلم: ٢٢٨

عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له عند اللَّه عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)(١)

قوله: «وصلاهن لوقتهن «أي: في وقتهن.

قوله: «كان له علىٰ اللَّه عَهدٌ «أي: يَمين؛ وليس هذا علىٰ اللَّه بطريق الوجوب؛ لأن العبد لا يجب له علىٰ اللَّه شيء، وإنما يذكر مثل هذا بمعنىٰ أنه متحقق لا محالة.

الحديث الخامس: عَنْ أَبِىٰ هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ». قَالُوا بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»(٢)

محوُ الخطايا كنايةٌ عن غفرانها، ويحتمل محوُها من كتاب الحفظة، ويكون دليلا علىٰ غفرانها، ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة.

وقوله: «إسباغ الوضوء علىٰ المكاره «: أىٰ إيعابُه، والمكارِه تكون من شدة ألم جسمٍ ونحوه، وكثرة الخطا تكون ببعْدِ الدار أو بكثرة التكرار.

وقوله: «فذلكم الرباطُ «: يعنىٰ المرغَّبُ فيه، وأصله الحبسُ علىٰ الشىٰء، كأنَّه حبسَ نفسه علىٰ هذه الطاعة.

الحديث السادس: عن أَبَي هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «صَلاَةُ الرَّجُلِ في الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَىٰ صَلاَتِهِ في بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خَمْسًا

---

(١) ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي والحد يث رواه الإمام مالك في الموطأ وابن حبان في صحيحه ورواه البيهقي في السنن الكبرىٰ وأبو داود الطيالسي في مسنده وهو حديث صحيح، صحيح إسناده كالشمس

(٢) رواه مسلم: ٢٥١

وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّىٰ لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّىٰ عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّهُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. وَلاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلاَةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ»(١).

قوله: «تُضعَّفُ»؛ أي: تزاد.

«لا يخرجه إلا الصلاة»؛ يعني: لا يخرج من بيته إلىٰ المسجد إلا للصلاة، لا لشُغلٍ آخر.

«تصلِّي عليه»؛ أي: تدعو له، وتستغفرُ له.

«في مصلاه»؛ أي: في الموضع الذي صلَّىٰ فيه.

«ما لم يُحْدِث» أي: ما لم يُبطِلْ وُضوءه.

الحديث السابع: عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَىٰ اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»(٢)

(الأثر) ما بقي من الشيء دالا عليه، والمراد بـ(الأثرين): آثار خطىٰ الماشي في سبيل اللَّه، والساعي في فريضة من فرائض اللَّه، أو ما يبقىٰ علىٰ المجاهد من أثر الجراحات، وعلىٰ الساعي المتعب في أداء الفرائض والقيام بها والكد فيها من علامات ما أصابه فيها.

---

(١) رواه البخاريُّ: ٦٤٧

(٢) رواه الترمذيُّ: ١٦٦٩ وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الترمذيُّ: ١٣٦٣

الحديث الثامن: عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا تسوَّك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه ـ أو كلمة نحوها ـ حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهّروا أفواهكم للقرآن»[١]

الحديث التاسع: عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَل»[٢]

قَوْله قسمت الصَّلَاة يَعْنِي الْقِرَاءَة بِدَلِيل تَفْسِيره بهَا وَقد تسمى الْقِرَاءَة صَلَاة لكَونهَا جُزْءا من أَجْزَائِهَا وَاللَّه أعلم.

الحديث العاشر: عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر

---

(١) أخرجه البزار، ص٦٠ وقال: لا نعلمه عن علي بأصح من هذا الإسناد، قال الألباني: «قلت: وإسناده جيد، رجاله رجال البخاري، وفي الفضل كلام لا يضر، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: رواه البزار بإسناد جيد لا بأس به، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/٩١، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/٣١٤، برقم ١٢١٣

(٢) الترغيب والترهيب ـ المنذري ـ ط العلمية (٢/٢٣٩)

صلَّىٰ»[(١)]

(حَزَبَه): أي نزلَ عليه أو أُنْزِلَ عليه أمرٌ، صلَّىٰ؛ ليسهل ذلك الأمرُ ببركةِ الصلاة.

الحديث الحادي عشر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «إِنِّي لأَقُومُ في الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ في صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمِّهِ»[(٢)].

قوله: «فأَتَجَوَّزُ»؛ أي: فأقتصرُ ولم أطول القراءةَ والأذكارَ كي لا يُشَوَّشَ قلبُ أمِّ الصبيِّ.

الحديث الثاني عشر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ»[(٣)].

الحديث الثالث عشر: عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه، كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمُ الصَّلاَةَ، فَقَرَأَ بِهِمُ البَقَرَةَ، قَالَ: فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّىٰ صَلاَةً خَفِيفَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ

(١) أخرجه أبو داود (١٣١٩)، وأحمد (٢٣٢٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١٣)، «قال في تخريج المشكاة (١/٤١٦) وإسناده ضعيف فيه محمد بن عبد اللَّه الدؤلي عن عبد العزيز أخي حذيفة وهما مجهولان. انتهىٰ. .أقول: قد خالف هذا الكلام في موضع آخر فقال في صحيح الجامع (٤/٢١٥) رقم ٤٥٧٩: حسن تخريج المشكاة (١٣٢٥)، صحيح أبو داود (١١٩٢)» تنبيه القارئ (١/١١٥)

(٢) أخرجه البخاري: /٠٧

(٣) متفق عليه: البخاري: /٠٣، ومسلم: ٤٦٧

اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّىٰ بِنَا البَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ ـ ثَلاَثًا ـ اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ وَنَحْوَهَا». (١)

قَالَ الخطابي: جنح الليل: أقبل بظلمته، والناضح: البعير يسقىٰ عَلِيهِ.

والفتنة عَلَىٰ وجوه، ومعناها هاهنا: صرف النَّاس عَن الدين، وحملهم عَلَىٰ الضلال.

وقوله: «فلولا صليت بسبح» يريد: هلا قرأت.

وفيه: أَنَّهُ جعل الحاجة عذرا فِي التخفيف.

الحديث الرابع عشر: عَنْ سِمَاكٍ قَالَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ عَنْ صَلاَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ كَانَ يُخَفِّفُ الصَّلاَةَ وَلاَ يُصَلِّىٰ صَلاَةَ هَؤُلاَءِ. قَالَ وَأَنْبَأَنِى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ في الْفَجْرِ ب (ق وَالْقُرْآنِ) وَنَحْوِهَا. (٢)

فصرح بأن تخفيفه هُوَ قراءته بهذه السورة.

الحديث الخامس عشر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ في نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَرَجَعَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ. فَقَالَ «وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ فَارْجعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَقَالَ في الثَّانِيَةِ أَوْ في الَّتِى بَعْدَهَا عَلِّمْنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ

---

(١) أخرجه البخارى: ٦١٠٦

(٢) أخرجه مسلم: ٤٥٨

«إِذَا قُمْتَ إِلَىٰ الصَّلاَةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ في صَلاَتِكَ كُلِّهَا». وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ في الأَخِيرِ «حَتَّىٰ تَسْتَوِيَ قَائِمًا».(١)

وهذا الحديث لبيان أقل الواجبات، واستدل بهذا الحديث جماعة من الفقهاء، فقالوا: الطمأنينة في الركوع والسجود فرض، لا تجزئ صلاة من لم يرفع رأسه، ويعتدل في ركوعه وسجوده ثم يقيم صلبه.

الحديث السادس عشر: عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَىٰ بْنِ خَلاَّدٍ عَنْ عَمِّهِ أَنَّ رَجُلا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ قَالَ فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّهُ لاَ تَتِمُّ صَلاَةٌ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَتَّىٰ يَتَوَضَّأَ فَيَضَعَ الْوُضُوءَ». يَعْنِي مَوَاضِعَهُ «ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَحْمَدُ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ بِمَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ يَرْكَعُ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ ثُمَّ يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ حَتَّىٰ يَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ يَسْجُدُ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّىٰ يَسْتَوِيَ قَاعِدًا ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ أَكْبَرُ ثُمَّ يَسْجُدُ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ مَفَاصِلُهُ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَيُكَبِّرُ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ تَمَّتْ صَلاَتُهُ»(٢).

«قوله (ويحمد اللَّه الخ) مراده يقرأ الفاتحة (ويحتمل) أنه أراد بقوله ويحمد اللَّه الثناء على اللَّه تعالىٰ في دعاء الافتتاح.

---

(١) أخرجه البخاري: /٥٧

(٢) رواه أبو داورد ٨٥٧ وصححه الألباني

قوله (ويقرأ بما تيسر من القرآن) أي بعد الفاتحة.

الحديث السابع عشر: عَنْ سَالِمٍ الْبَرَّادِ قَالَ أَتَيْنَا عُقْبَةَ بْنَ عَمْرٍو الأَنْصَارِيَّ أَبَا مَسْعُودٍ فَقُلْنَا لَهُ حَدِّثْنَا عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ بَيْنَ أَيْدِينَا فِي الْمَسْجِدِ فَكَبَّرَ فَلَمَّا رَكَعَ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَجَعَلَ أَصَابِعَهُ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ وَجَافَى بَيْنَ مِرْفَقَيْهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقَامَ حَتَّى اسْتَقَرَّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى الأَرْضِ ثُمَّ جَافَى بَيْنَ مِرْفَقَيْهِ حَتَّى اسْتَقَرَّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَجَلَسَ حَتَّى اسْتَقَرَّ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ أَيْضًا ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِثْلَ هَذِهِ الرَّكْعَةِ فَصَلَّى صَلاَتَهُ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي[(١)]

وقوله (جافى) أي باعد (بين مرفقيه) وبين جنبيه وبين الأرض أيضًا.

الحديث الثامن عشر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْمُطَّلِبِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «الصَّلاَةُ مَثْنَى مَثْنَى تَشَهَّدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَبَاءَسُ وَتَمَسْكَنُ وَتُقْنِعُ يَدَيْكَ وَتَقُولُ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِي خِدَاجٌ». قَالَ شُعْبَةُ فَقُلْتُ صَلاَتُهُ خِدَاجٌ قَالَ نَعَمْ. فَقُلْتُ لَهُ مَا الإِقْنَاعُ فَبَسَطَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُ يَدْعُو[(٢)]

(صلاة الليل مثنى مثنى) أي: ركعتان ركعتان،

---

(١) رواه أبو داود رقم (٨٦٣) في الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود، والنسائي ٢ /١٨٦ و ١٨٧ في الافتتاح، باب مواضع أصابع اليدين في الركوع، وباب التجافي في الركوع، وهو حديث صحيح. جامع الأصول (٤٢٥/٥)

(٢) أخرجه أحمد (١٦٧/٤)، وأبو داود (٢٩/٢)، وهو عند ابن ماجه (٤١٩/١)، وابن خزيمة (٢٢٠/٢).

(وتَبَاءَسُ) أي: وتُظهِرُ البُؤسَ والفقرَ والفاقةَ في صلاتك، (وتَمَسْكَنُ) أي: وتُظهر السكينة والوقار في صلاتك، (وتُقْنِعُ) من الإقناع؛ أي: وتَرفعُ يديك رفعًا كرفعهما في قنوت الصبح والوتر، (فمن لم يفعل ذلك) المذكور من التباؤس والتمسكن والإقناع، والقول.. (فهي) أي: صلاته (خداج) أي: ناقصة في الأجر والفضيلة.

الحديث التاسع عشر: روىٰ البخاري عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوجِزُ الصَّلاَةَ وَيُكْمِلُهَا.(١)

والإيجاز: هُوَ التخفيف والاختصار.

والإكمال: هُوَ إتمام أركانها من الركوع والسجود والانتصاب بَيْنَهُمَا.

هَذَا الحَدِيْث فائدته: أَنَّهُ بَيْن بِهِ قدر التخفيف المأمور بِهِ، وأنه إنما يشكىٰ الإمام إذا زاد عَلِيهِ زيادة فاحشة، فأما إكمال الصلاة وإتمام أركانها، فليس بتطويل منهي عَنْهُ.

الحديث العشرون: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ رَمَقْتُ الصَّلاَةَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ فَرَكْعَتَهُ فَاعْتِدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ فَسَجْدَتَهُ فَجَلْسَتَهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فَسَجْدَتَهُ فَجَلْسَتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالإِنْصِرَافِ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ(٢)

(قريبًا) أي متقاربة (من السواء) أي إلىٰ التساوي والتماثل وإن تفاوتت تفاوتًا يسيرًا.

والمعنىٰ كانت أفعال صلاته ﷺ كلها متقاربة وليس المراد أنَّه كان

---

(١) أخرجه البخارىٰ: /٠٦

(٢) أخرجه مسلم: ٤٧١

يركع قدر قيامه وكذا السجود والقومة والجلسة بل المراد كما في القسطلاني أن صلاته كانت معتدلة متقاربة الأركان إذا أطال القراءة أطال بقية الأركان بقدر ما يناسبها وإذا خففها خفف بقية الأركان.

الحديث الحادي والعشرون: عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ». (١)

وَالْمُرَادُ بِالْقُنُوتِ الْقِيَامُ، وَلِأَنَّ ذِكْرَ الْقِيَامِ الْقِرَاءَةُ وَذِكْرَ السُّجُودِ التَّسْبِيحُ وَالْقِرَاءَةُ أَفْضَلُ لِأَنَّ الْمَنْقُولَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُطَوِّلَ الْقِيَامَ أَكْثَرَ مِنْ تَطْوِيلِ السُّجُودِ.

الحديث الثاني والعشرون: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قُمْتُ إِلَىٰ جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَرَأَ السَّبْعَ الطِّوَلَ في سَبْعِ رَكَعَاتٍ ـ قَالَ ـ فَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». ثُمَّ قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِىٰ الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ». وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوا مِنْ قِيَامِهِ وَسُجُودُهُ نَحْوا مِنْ رُكُوعِهِ فَقَضَىٰ صَلاَتَهُ وَقَدْ كَادَتْ رِجْلاَىَ تَنْكَسِرَانِ. (٢)

الحديث الثالث والعشرون: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّىٰ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ فَلَمَّا صَلَّىٰ قَالَ «مَا شَأْنُكُمْ». قَالُوا اسْتَعْجَلْنَا إِلَىٰ الصَّلاَةِ. قَالَ «فَلاَ تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» (٣)

(جَلَبة) أي: أصواتٌ بسبَب حركاتهم في الاستِعجال.

---

(١) أخرجه مسلم: /٥٦

(٢) أخرجه أحمد: ٢٣٣٦٣

(٣) أخرجه البخارى: ٦٣٥

(ما أدركتم)؛ أي: مع الإمام من الصَّلاة.

(وما فاتكم)؛ أي: لم تُدركوهُ معه.

(فأتموا)؛ أي: وَحْدَكم، فهو دليلٌ للشَّافعيَّة أنَّ ما يَفعلُه مع الإمام أوَّلُ صلاته، وما يأتي به بعدُ آخرُها؛ لأنَّ الإتمام لا يكون إلا للآخِر؛ لأنَّه يَستدير سَبْق أوَّلٍ، وقال أبو حنيفة: ما أَدرك مع الإمام هو آخِرُ صلاته.

الحديث الرابع والعشرون: عن أبي أمامة مرفوعًا: «لتُنقضن عُرَىٰ الإسلام عُروة عُروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة». وفي رواية من طريق آخر: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقىٰ الصلاة، ورب مصلٍّ لا خير فيه» (١)

النقض هو الحل، ونقض الأمر إفساده بعد التئامه، وعرىٰ الإسلام ما يتمسك به من أمر الدين ويتعلق به من شعب الإسلام. وقوله: عروة عروة أي نقضا متتابعا (فكلما انقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها) أي يعلقوا بها (فأولهن نقضا الحكم) أي القضاء، وقوله (وآخرهن الصلاة) أي آخر ما تنقض من عرىٰ الإسلام الصلاة، لأنها من شعائر الإسلام الظاهرة التي تميزه.

الحديث الخامس والعشرون: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ وَاصِلٍ أَبُو عُبَيْدَةَ الْحَدَّادُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِى رَوَّادٍ أَخِى عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ سَمِعْتُ الزُّهْرِىَّ يَقُولُ دَخَلْتُ عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِى فَقُلْتُ مَا يُبْكِيكَ فَقَالَ لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلاَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ،

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦٠)، وعبد اللَّه بن أحمد في «السنة» (٧٦٤)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٠٧)، وابن حبان (٤٨٦٦)

وَهَـذِهِ الـصَّلاَةُ قَـدْ ضُـيِّعَتْ. وَقَـالَ بَكْـرٌ حَدَّثَـنَا مُحَمَّـدُ بْـنُ بَكْـرٍ الْبُرْسَـانِيُّ أَخْبَرَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ نَحْوَهُ(١)

الحديث السادس والعشرون: عـن أبـي الـدرداء رضي الله عنه قـال: «كُـنَّا مَـعَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ، فَـشَخَصَ بِبَـصَرِهِ إِلَـى الـسَّمَاءِ، ثُـمَّ قَـالَ: «هَـذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْـصَارِيُّ رضي الله عنه: كَـيْفَ يُخْـتَلَسُ مِـنَّا، وَقَـدْ قَـرَأْنَا الْقُـرْآنَ؟! فَـوَاللَّهِ لَنَقْـرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَابناءَنَا! فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ! إِنْ كُنْتُ لَأَعُـدُّكَ مِـنْ فُقَهَـاءِ أَهْـلِ الْمَدِيـنَةِ، هَـذِهِ الـتَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِـيلُ عِـنْدَ الْـيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟»

قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَقُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الـدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّـذِي قَـالَ أَبُو الـدَّرْدَاءِ، قَـالَ: صَـدَقَ أَبُـو الـدَّرْدَاءِ، إِنْ شِـئْتَ لَأُحَدِّثَـنَّكَ بِـأَوَّلِ عِلْـمٍ يُـرْفَعُ مِـنْ الـنَّاسِ: الْخُـشُوعُ؛ يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الجَامِعِ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا»(٢)

وفـيه: التحذيرُ مِن تـرْكِ الخشوعِ في الـصَّلاةِ، وأنَّ تـرْكَه يُـنذِرُ بـرفْعِ العِلـمِ مِـن الـناس. وهـذا الحـديث يظهـر أن العلـم علمـان كمـا قـال الحسن: «عِلْمُ اللِّسانِ، فذاك حُجّةُ اللَّهِ على ابن آدم، وعِلْمٌ في الْقلْبِ فـذاك الْعِلْـمُ الـنافِعُ» كما يظهـر العلاقـة الوثـيقة بـين معـرفة اللَّه تعالـى

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٣٠

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، برقم ٢٦٥٣، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، والدرامي، ١/٧٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٥٩/٣، وأخرجه أيضا أحمد في المسند من حديث جبير، عن عوف بن مالك، وساق الحديث بنحوه، برقم ٢٣٩٩٠، والنسائي في الكبرى، برقم ٥٨٧٨، وابن حبان، برقم ٤٥٧٢، ورقم ٦٧٢٠

والعلم بأسمائه وصفاته وبين الخشوع في الصلاة وأن الخُشوعُ الَّذي يصِلُ إلىٰ القلْبِ هو مِن فوائدِ العِلْمِ وثَمراتِه.

الحديث السابع والعشرون: قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْتِفَاتِ الرَّجُلِ في الصَّلاَةِ. فَقَالَ «هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ أَحَدِكُمْ.»(١)

والاختلاس: الاختطاف، وَهُوَ أَخذ الشَّيْء بِسُرْعَة. وَالْمعْنَىٰ أَنه أزعجه إِلَىٰ الِالْتِفَات بحادث، فاستلب من خشوعه وأدبه ذَلِك الْمِقْدَار. فاستعير لذهاب الخشوع اختلاس الشيطان، تصويرا لقبح تلك الفعلة.

الحديث الثامن والعشرون: عَنِ ابن شِهَابٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الأَحْوَصِ يُحَدِّثُنَا في مَجْلِسِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَالَ أَبُو ذَرٍّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لاَ يَزَالُ اللَّهُ ﷻ مُقْبِلا عَلَىٰ الْعَبْدِ وَهُوَ في صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ»(٢).

الحديث التاسع والعشرون: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّىٰ، فَأَخَفَّ الصَّلاَةَ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ قُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ خَفَّفْتَ قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَنِي انْتَقَصْتُ مِنْ حُدُودِهَا شَيْئًا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي بَادَرْتُ بِهَا سَهْوَةَ الشَّيْطَانِ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا

---

(١) أخرجه البخارىٰ: ٣٢٩١

(٢) رواه أبو داود رقم (٩٠٩) في الصلاة، باب الالتفات في الصلاة، والنسائي ٣ /٨ (١١٩٥) في السهو، باب التشديد في الالتفات في الصلاة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

نِصْفُهَا[١]

فأخبر ﷺ أنه قد لا يُكتب له منها إلا العشر، قال ابن تيمية: الوسواس لا يبطل الصلاة إذا كان قليلًا باتفاق أهل العلم، بل ينقص الأجر، كما قال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها[٢].

الحديث الثلاثون: عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»[٣]

وبهذه الأحاديث استدل مالك، والشافعي، وأحمد على أن الطمأنينة في الركوع والسجود فرض، حتى تبطل الصلاة بتركها لأنه ﷺ جعل ترك إقامة الصلب في الركوع والسجود، وعدم إتمامهما أقبح أنواع السرق، وجعل الفاعل لذلك أسوأ من تلبس بهذه الوظيفية الخسيسة التي لا أوضع ولا أخبث منها، تنفيرا عن ذلك، وتنبيها على تحريمه.

الحديث الحادي والثلاثون: عن طلق بن علي الحنفي رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عز وجل إِلَى صَلَاةِ عَبْدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا»[٤]

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٣٢١ (١٩١٠٠) وأبو داود ٧٩٦، والنَّسائي في «الكبرى» ٦١٥، وقال الألباني: «حديث حسن. وأخرجه أحمد بإسناد صححه الحافظ العراقي».

(٢) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى ٢/٢٢١

(٣) أخرجه أحمد: ٢٢٦٤٢، والحاكم: (٨٣٥) وصحح إسناده.

(٤) «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢/١٢٠)

ففي هذه الأحاديث النص علىٰ فساد صلاة من لا يقيم ظهره بعد الركوع والسجود.

قال أبو عيسىٰ الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم.

الحديث الثاني والثلاثون: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، قَالَ: رَأَىٰ حُذَيْفَةُ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: «مَا صَلَّيْتَ وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَيْهَا»(١)

وفيه أيضًا إشارة إلىٰ تغليظ الأمر في الصلاة حتىٰ أن من أساء في صلاته ولم يتم ركوعها ولا سجودها فإن حكمه حكم تاركها. وإنما خص الركوع والسجود؛ لأن الإخلاص غالبًا يظهر فيهما.

الحديث الثالث والثلاثون عن أبي عبدالله الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأىٰ رجلا لا يُتمّ ركوعه [و] ينقر في سجوده وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ مَاتَ هَذَا عَلَىٰ حَالِهِ هَذِهِ، مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ، وَيَنْقُرُ فِي سُجُودِهِ، مَثَلُ الْجَائِعِ يَأْكُلُ التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ لَا يُغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئًا»(٢)

الحديث الرابع والثلاثون: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُرَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «مَا تَرَوْنَ في الشَّارِبِ وَالسَّارِقِ وَالزَّانِي». وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ فِيهِمْ. قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «هُنَّ فَوَاحِشُ وَفِيهِنَّ عُقُوبَةٌ وَأَسْوَأُ السَّرِقَةِ الَّذِىٰ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ». قَالُوا وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلَاتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «لَا

---

(١) رواه البخارىٰ: ١/٩١

(٢) رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلىٰ بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه: ٦٦٥. صحيح الترغيب والترهيب ١/١٢٧

يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا» . (١)

والمعنىٰ أَنَ مَن لَمْ يتمَّ رُكُوعَهُ ولا سُجُودَهُ، فقدْ خَانَ نَفْسَهُ، أَشَدَّ مِنْ خِيَانَةِ السَّارِقِ مَالَ أَخِيهِ الذي هُوَ حَرَامٌ عليهِ.

الحديث الخامس والثلاثون: عَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ دَخَلْنَا عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَقَامَ يُصَلِّى الْعَصْرَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ ذَكَرْنَا تَعْجِيلَ الصَّلاَةِ أَوْ ذَكَرَهَا فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِينَ تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِينَ تِلْكَ صَلاَةُ الْمُنَافِقِينَ يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ حَتَّىٰ إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ وَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ ـ أَوْ عَلَىٰ قَرْنِ الشَّيْطَانِ ـ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلا» . (٢)

وفي الحديث الشريف ذَمٌّ لِمَنْ آخر صلاته ذاكر إِلَىٰ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَتَحْذِيرٌ مِنَ التَّشَبُّهِ بِأَفْعَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا كُسَالَىٰ.

الحديث السادس والثلاثون: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عُثْمَانَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ هَانِئِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الصَّدَفِيِّ حَدَّثَهُ قَالَ حَجَجْتُ زَمَانَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَجَلَسْتُ في مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا رَجُلٌ يُحَدِّثُهُمْ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْما فَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَصَلَّىٰ في هَذَا الْعَمُودِ فَعَجَّلَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ صَلاَتَهُ ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ هَذَا لَوْ مَاتَ لَمَاتَ وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ

---

(١) مالك ١/١٥٣ مرسلا، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٣/٤٠٩: وهو حديث صحيح؛ يستند من وجوه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٥٣)، وأحمد (٣/١٤٩) قال: حدثنا إسحاق بن عيسىٰ. وأبو داود: (٤١٣) قال: حدثنا القعنبي. وابن خزيمة (٣٣٣) قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلىٰ، قال: حدثنا ابن وهب.

شَيْءٍ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُخَفِّفُ صَلاَتَهُ وَيُتِمُّهَا» . قَالَ فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ مَنْ هُوَ فَقِيلَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِيُّ(١)

الحديث السابع والثلاثون : عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلاَمٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلاَمِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ «اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلاَتِي» . وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي»(٢)

والخميصة: كساء أسود ـ وقد يكون فيها أعلام وخطوط ـ والأنبجانية كساء غليظ لا علم له.

وقوله: ألهتني عن صلاتي أي شغلتني، وفيه الأمر بحفظ البصر في الصلاة وترك النظر إلى ما يفتنه في صلاته أو يشغله عنها.

الحديث الثامن والثلاثون : عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «إِذَا وُضِعَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ»(٣)

وذلك لما يخاف من شغل البال، وإنما استحب أن يكون المصلى فارغ البال من خواطر الدنيا؛ ليتفرغ لمناجاة ربه.

الحديث التاسع والثلاثون : عن جبير بن مطعم رضي الله عنه: أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطُّور، فلمَّا بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ

---

(١) أخرجه أحمد: ١٧٢٤٣، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة ولجهالة حال البراء بن عثمان.

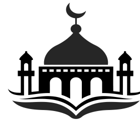
(٢) أخرجه البخاري: ٣٧٣

(٣) أخرجه البخاري: ٦٧١

﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور] كاد قلبي أن يطير [وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي]»[١]

وقر أي ثبت، وقوله: وَذَلِكَ أول مَا وقر الْإِيمَان فِي قلبِي أَي أول مَا حصل وقور الْإِيمَان فِي قلبِي إِي ثباته ووقوره.

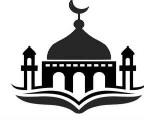
الحديث الأربعون: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اذْكُر المَوْتَ في صَلاَتِكَ؛ فإِنَّ الرَّجُلَ إذا ذَكَرَ المَوْتَ في صَلاَتِهِ لَحَرِيٌّ أنْ يُحْسِنَ صلاتَهُ، وَصَلِّ صلاةَ رَجُلٍ لا يَظُنُّ أنَّهُ يُصَلِّي صلاةً غَيْرَها، وإِيَّاكَ وكُلَّ أمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ»[٢].



(١) أخرجه البخاري: ٤٠٢٣

(٢) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس (١/٢٦/٢) من طريق أبي الشيخ ابن حيان، الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/٨٢٠







فصل

قالوا عن الصلاة

هـذه الأقـوال المأثـورة عـن الـصلاة محفـورة في ذاكـرة الأمـة، وهـي كنوز وجواهـر الحكـم الثرية، وخلاصة الفتوحات الربانية والإبداعات العقلية، فيقع بها في القلـب الأثـر وفي العقـل العـبرة وفي الـنفس علـو الهمة.

✍ **من أقوال ابن تيمية**

- «وَمِنَ الْمَعْلُوم أَنَّ مِقْدَارَ الصَّلَاةِ ـ وَاجِبِهَا وَمُسْتَحَبِّهَا ـ لَا يُرْجَعُ فِيهِ إِلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَكِلْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَىٰ آرَاءِ الْعِبَادِ؛»(١)

- «إضاعة الصلاة بدأت من بعد الخلفاء الراشدين»

- «لما اعتاد الناس علىٰ إضاعة الصلاة من هؤلاء الخلفاء كانوا ينكرون علىٰ بعض الصحابة الذين كانوا يعيشون في عهدهم صلاتهم وكان الصحابة يقولون هذه صلاة النبي ﷺ»

- «ولو علم هؤلاء أن الملائكة تصعد بصلاتهم فتعرضها علىٰ الربّ ﷻ بمنزلة الهدايا التي يتقرب بها الناس إلىٰ ملوكهم وكبرائهم، فليس من عمد إلىٰ أفضل ما يقدر عليه، فيُزيّنه ويُحسّنه ما استطاع، ثم يتقرّب

---

(١) ابن تيمية: القواعد النورانية ص ١١٠

به إلىٰ من يرجوه ويخافه، كمن يعمد إلىٰ أسقط ما عنده وأهونه عليه، فيستريح منه، ويبعثه إلىٰ من لا يقع عنده بموقع».

- «فَهَذِهِ أَحَادِيثُ أنس الصَّحِيحَةُ تُصَرِّحُ أَنَّ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يُوجِزُهَا وَيُكْمِلُهَا، وَالَّتِي كَانَتْ أَخَفَّ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّهَا، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُومُ فِيهَا مِنَ الرُّكُوعِ حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: إِنَّهُ قَدْ نَسِيَ، وَيَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَإِذَا كَانَ فِي هَذَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَمِنَ الْمَعْلُومِ [بِاتِّفَاقِ] الْمُسْلِمِينَ وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لَا يَنْقُصَانِ عَنْ هَذَيْنِ الِاعْتِدَالَيْنِ»(١)

- تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون علىٰ مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: «إياك نعبد وإياك نستعين»(٢)

✍ أقوال ابن القيم

- ومما ينبغي أن يعلم أن الصلاة التي تقرّ بها العين، ويستريح بها القلب، هي التي تجمع ستة مشاهد

المشهد الأول: الإخلاص.

المشهد الثاني: مشهد الصدق والنصح.

المشهد الثالث: مشهد المتابعة والاقتداء.

المشهد الرابع: مشهد الإحسان.

المشهد الخامس: مشهد المِنَّةِ: وهو أن يشهد أن المنة للَّه سبحانه كونه أقامه في هذا المقام، وأهَّله له، ووفَّقه لقيام قلبه وبدنه.

---

(١) السابق ص ٩٦

(٢) ابن تيمية: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ ١/ ١٧٥

المشهد السادس: مشهد التقصير[(١)]

- «وَالصَّلَاةُ مُجْلِبَةٌ لِلرِّزْقِ، حَافِظَةٌ لِلصِّحَّةِ، دَافِعَةٌ لِلْأَذَىٰ، مُطْرِدَةٌ لِلْأَدْوَاءِ، مُقَوِّيَةٌ لِلْقَلْبِ، مُبَيِّضَةٌ لِلْوَجْهِ، مُفْرِحَةٌ لِلنَّفْسِ، مُذْهِبَةٌ لِلْكَسَلِ، مُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ، مُمِدَّةٌ لِلْقُوَىٰ، شَارِحَةٌ لِلصَّدْرِ، مُغَذِّيَةٌ لِلرّوحِ، مُنَوِّرَةٌ لِلْقَلْبِ، حَافِظَةٌ لِلنِّعْمَةِ، دَافِعَةٌ لِلنِّقْمَةِ، جَالِبَةٌ لِلْبَرَكَةِ، مُبْعِدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، مُقَرِّبَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ. وَبِالْجُمْلَةِ: فَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ، وَقُوَاهُمَا، وَدَفْعِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ عَنْهُمَا، وَمَا أُبْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ، أَوْ دَاءٍ، أَوْ مِحْنَةٍ، أَوْ بَلِيَّةٍ، إِلَّا كَانَ حَظُّ الْمُصَلِّي مِنْهُمَا أَقَلَّ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمَ»

- «وَلِلصَّلَاةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدُّنْيَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا أُعْطِيَتْ حَقَّهَا مِنْ التكميل ظاهرا وباطنا، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللَّهِ ﷻ، وَعَلَىٰ قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ ﷻ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِن الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِن الشُّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادَّ التَّوْفِيقِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، وَالْعَافِيَةُ، وَالصِّحَّةُ، وَالْغَنِيمَةُ، وَالْغِنَىٰ، وَالرَّاحَةُ وَالنَّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرَّاتُ، كُلُّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ وَمُسَارِعَةٌ إِلَيْهِ».

- فصلاةٌ بلا خشوعٍ، ولا حضور، كبدنٍ ميّتٍ لا روح فيه»[(٢)]

- الالتفات المنهيُّ عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن اللَّه ﷻ إلىٰ غير اللَّه تعالىٰ.

والثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال اللَّه مقبلا

---

(١) ابن القيم: رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه ص ٣٧

(٢) ابن القيم: زاد المعاد ٤/٣٠٤

علىٰ عبده ما دام العبد مقبلا علىٰ صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض اللَّه تعالىٰ عنه.

- والخشوع من أنفع العلوم وأجلها لأنه يوجب خشية القلوب، وقد كان يستعيذ من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعوة لا تسمع، فإن القلب الذي لا يخشع: علمه لا ينفع، ودعاءه لا يسمع. (١)

- «وقد جعل رسول اللَّه ﷺ لص الصلاة وسارقها شرا من لص الأموال وسارقها». (٢)

- وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قراءته ﷺ بعد الفاتحة: «فإذا فرغ من الفاتحة أخذ في سورة غيرها، وكان يطيلها تارة، ويخففها لعارض من سفر أو غيره، ويتوسط فيها غالبًا» (٣)

- «فالصلاة ثمرتها الإقبال علىٰ اللَّه، و إقبال اللَّه سبحانه علىٰ العبد».

- والعبادات يرجع إلىٰ الشارع في مقاديرها وصفاتها وهيآتها كما يرجع إليه في أصلها فلو جاز الرجوع في ذلك إلىٰ عرف الناس وعوائدهم في مسمىٰ التخفيف والإيجاز لاختلفت أوضاع الصلاة ومقاديرها اختلافا متباينا لا ينضبط(٤)

- فالمصلون في الناس قليل ومقيم الصلاة منهم أقل القليل كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الحاج قليل والركب كثير(٥)

---

(١) ابن القيم: الوابل الصيب ص٢٠

(٢) ابن القيم: الصلاة وأحكام تاركها ص ١٢٣

(٣) ابن القيم: زاد المعاد ١/٢٠٢

(٤) ابن القيم: الصلاة وأحكام تاركها ص ١٣٩

(٥) ابن القيم: السابق ص ١٤٠

- وليس من كانت الصلاة ربيعا لقلبه وحياة له وراحة وقرة لعينه وجلاء لحزنه وذهابا لهمه وغمه ومفزعا له إليه في نوائبه ونوازله كمن هي سحت لقلبه وقيد لجوارحه وتكليف له وثقل عليه فهي كبيرة على هذا وقرة عين وراحة[١]

أقوال الغزالي

- «فإن قلت إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعى الإجماع»[٢]

- «ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة إلا أنه يجوز تركها فتتركها فإن ذلك يضاهي قول الطبيب إن فقء العين لا يبطل وجود الإنسان[٣]

- «فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها تقول ضيعك اللَّه كما ضيعتني» .

---

(١) ابن القيم : السابق والصفحة

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ١ / ١٦٠

(٣) السابق ١٥٩/١

- «والصلاة عماد الدين والفاصل بين الكفر والإسلام ويقدم علىٰ الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه علىٰ الخصوص وما أرىٰ أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإن ذلك يتقدم علىٰ الصوم والزكاة والحج [(١)]

- «ومن انطوىٰ باطنه علىٰ حب الدنيا حتىٰ مال إلىٰ شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها علىٰ الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته»[(٢)]

- «المعانىٰ التي تتم بها حياة الصلاة ست ـ جمل وهي حُضُورُ الْقَلْبِ وَالتَّفَهُّمُ وَالتَّعْظِيمُ وَالْهَيْبَةُ وَالرَّجَاءُ وَالْحَيَاءُ[(٣)]

- «وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حي لا حراك به[(٤)]

أقوال الشيخ عبد الرحيم الطحان

- «عباد الله إذا أقام الإنسان الصلاة كما أراد الله جَلَّ وَعَلَا هنيئا له ينال رضوان الله وله عهد عند الله أن يغفر له إذا أقام الصلاة ووفاها حقها علما وعملا»

- أربعة أشياء لتحصل إقامة الصلاة علىٰ التمام

١- المحافظة علىٰ الوقت

---

(١) السابق والصفحة بتصرف

(٢) السابق ١/ ١٦٥

(٣) السابق ١/ ١٦١

(٤) السابق والصفحة

٢- خشوع القلب

٣- خشوع الظاهر

٤- أن توفي الأركان حقها من قيام وركوع وسجود ينبغي أن تأخذ هذه الأركان حقها من اطمئنان ومن رفع من الركوع ومن رفع من السجود.

- «استحضر هذا أيها المصلي عندما تقرأ هذه الآية ينبغي أن ينخلع القلب ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وأما أن تقول إياك نعبد وأنت تعبد الريال. وأنت تعبد المرأة وأنت تعبد الهوىٰ وأنت تعبد الشهوة وذهنك غاب عما تناجي به ربك فهذا حقيقة مما ينبغي أن يستحي منه الإنسان»

- «مما يعين علىٰ أمر الصلاة ينبغي أن تحصن أربعة أمور الخطرات والنظرات والخُطوات واللفظات ومن ضبط هذه الأمور الأربعة فهو صديقٌ صديق لا يخطر في قلبه إلا حق يرضاه اللَّه ولا ينظر إلا إلىٰ حلال أحله اللَّه ولا يمشي إلا لمباح أحله وشرعه اللَّه وبعد ذلك لا يتكلم إلا بما يحب اللَّه حقيقة إذا حصنت نفسك خارج الصلاة ستتلذذ في الصلاة» بتصرف

- «عمل كالسراب وقلب من التقوىٰ خراب وذنوب بعدد الرمل والتراب ثم تطمع بالكواعب الأتراب والنظر إلىٰ وجهه الكريم الوهاب هيهات هيهات أنت سكران من عبر شراب «يقول ما أجلّك لو بادرت أجلك ما أقواك لو خالفت هواك «يحيىٰ بن معاذ الرازي

- قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا بنيّ، أظهروا اليأس مما عند الناس فإنه غنىٰ، وإياكم وطلب الحاجات فإنه فقر حاضر، وإياكم وما يعتذر منه من القول والفعل، وإذا صلّيت يا بنيّ فاسبغ الوضوء، وصلِّ صلاة مودّع يرىٰ أنه لن يئُوب إلىٰ أهله، فإن استطعت أن تكون اليوم خيرا

منك أمس، وغدا خيرا منك اليوم فافعل».

- قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه: الصَّلَاةُ مِكْيَالٌ مَنْ وفي وُفِّيَ لَهُ وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ فِي الْمُطَفِّفِينَ.

- قال القرطبي في التذكرة: «و لعمر اللّه لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه و يظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك فكيف بالجهال الذيم لا يعلمون»

- قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: «فيَّ ثلاث خصال، لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن: كنت أنا أنا؛ إذا كنت في الصلاة لا أُحَدّث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول اللّه حديثا لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أُحَدّث نفسي بغير ما تقول، ويقال لها».

✍ أقوال محمد إسماعيل المقدم

- «إن من خصائص الصلاة أنها توأم الفرائض والأركان، وتعتبر الصلاة قاسما مشتركا، وغالبا ما تذكر مع العبادات الأخرىٰ، فهي توأم لكل العبادات، وهي أكثر العبادات ذكرا في القرآن الكريم.»

- «وما ذكر اللّه سبحانه وتعالى الصلاة مقرونة بغيرها من الفرائض إلا قدم الصلاة عليها»

- وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن في الصلاة لشغلا)، فلا يجوز الانشغال بما يضاد الصلاة، كما يفعل بعض الناس في بعض البلاد كأنه يجتهد في أن يبطل صلاته، أو علىٰ الأقل ينقص أجرها، تجد منهم من يفك الساعة ويركبها، وآخر يخرج النقود من جيبه ويعدها، وثالث يفك (الزراير)

ويردها، هذا يحصل في بعض البلدان للأسف الشديد، فهل هذا يعد مصليا؟ فأهم ما يستدل به في هذا الباب هو قوله تعالىٰ: (وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)؛ لأن هذا يتنافىٰ مع حال المصلي.

- أما الصلاة ففيها ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان.

- يقول الإمام المحقق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ولما كانت الصلاة مشتملة علىٰ القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية علىٰ أتم الوجوه، كانت أفضل من كلٍ من القراءة والذكر والدعاء بمفرده؛ لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

- يقول الإمام البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس من العبادات بعد الإيمان الرافع للكفر عبادة سماها اللَّه عَزَّوَجَلَّ إيمانا وسمىٰ رسول اللَّه ﷺ تركها كفرا إلا الصلاة.

- الصلاة والضيق، ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر]

- حكي عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه كان إذا أشكلت عليه آية، أو استصعب عليه علم عمد إلىٰ بعض المساجد المهجورة، فقام يصلي، ويعفر وجهه بالتراب، ويطيل السجود، ويقول: يا معلم إبراهيم، علمني، ويا مفهم سليمان! فهمني، أخذا من قوله تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

- والمداومة علىٰ تعمير بيوت اللَّه عَزَّوَجَلَّ بالصلاة وبالذكر من أسباب قضاء الحاجات، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنۡهُ قال: (إن للمساجد

أوتادا هم أوتادها، لهم جلساء من الملائكة، فإن غابوا سألوا عنهم، وإن كانوا مرضىٰ عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم) وهذا الحديث صححه الألباني.

✍ أقوال خالد أبو شادي

- «المشاركة في إحياء الأمة ونصرتها عن طريق صلاة الخاشعين.

- وما أحوجنا اليوم إلىٰ دعوة صادقة من قلب منيب تحرق أطباق السماء لتمسح ما حل بالمسلمين من ألوان الشقاء».

- «ومن الإقبال علىٰ اللَّه في الصلاة:

إقبال العبد علىٰ قلبه ليحفظه من أمراض الشهوات والوساوس، والخواطر الدنيوية المبطلة لثواب صلاته أو المنقصة لها.

إقباله علىٰ اللَّه بتعظيمه ومراقبته، فيعبده عبادة من يراه ويقف بين يديه.

إقباله علىٰ معاني كلام اللَّه وتدبره لأذكار الصلاة ليعطيها حقها من حضور القلب والخشوع.

وباستكمال هذه المراتب الثلاثة يكون العبد قد أقام صلاته حقا، واستحق أن ينعم عليه بالدخول إلىٰ ساحة اللذة الإيمانية وأرض المنح الربانية المسماة بالخشوع»

ـ «تحترقون تحترقون» بين كل صلاتين تستهدفك ألوان الغفلة والجفوة والقسوة، والإعراض والزلات، والخطايا، فيبعدك ذلك عن ربك، وينحيك عن قربه، وتصير بذلك كأنك تمردت علىٰ عبوديته، فلم تعد من جملة رعاياه، وربما ألقيت بيدك إلىٰ عدوك فأسرك، وغل

يدك، وقيدك، وحبسك في سجن نفسك ودنياك وهواك، وهو معنىٰ الاحتراق في قوله ﷺ: (تحترقون تحترقون فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتىٰ تستيقظوا)(١)

- «ومن باب أولىٰ أن لا يلتفت قلبك عن اللَّه، لا يمنة ولا يسرة، فغمض عين قلبك عن الالتفات إلىٰ سواه، واحرس سريرتك أن تتطلع إلىٰ غيره، خاشعا له قد توجهت بقلبك كله إليه، وإلا وجبت عليك العقوبة وإن صليت، ونزل البلاء وإن ناجيت. قال الحسن: «كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلىٰ العقوبة أسرع».

- أيها الساهون في صلاتكم، أيها التائهون عن أجمل لحظات قلوبكم وأشهىٰ وجبات أرواحكم، يا غارقون في سكر الشهوة وخمر الغفلة، نصيحتي لكم: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]»

- الاستعاذة «وما من مقام أعظم ولا أغيظ ولا أشد علىٰ الشيطان من هذا المقام، وهو حريص علىٰ هزيمتك فيها لتبوء بالخذلان في مقام من أشرف مقامات العبد وأنفعها له في دنياه وأخراه؛ لذا يشحذ العدو قواه الكامنة ويشهر أسلحته الفتاكة ويتحفز ويتأهب لكي يصرفك عن الصلاة بالكلية فلا تصلي، فإن عجز عن ذلك سرق قلبك منك وألهاه، وألقىٰ فيه الوساوس ليشغلك عن القيام بحق العبودية حتىٰ وأنت بين

---

(١) (الطبرانى في الأوسط عن ابن مسعود) قال المنذرىٰ (١/ ١٤٤): إسناده حسن.

يدي ربك»

- ثم قال «وكفىٰ بالاستعاذة سلاحا في معركة كهذه، وكأنه قال لك: لا طاقة لك بهذا العدو، فاستعذ بي لأعيذك منه، واستجر بي أُجرك، وأكفِك إياه برحمتي. ولذا كان ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية لتلميذه ابن القيم يوما: (إذا هاش عليك كلب الغنم فلا تشتغل بمحاربته ومدافعته، وعليك بالراعي فاستغث به فهو يصرف عنك الكلب، ويكفيكه)»

- الفاتحه «وتأمل أنها هي السورة الوحيدة التي يجيبك اللَّه فيها بنفسه بعد كل آية من آياتها، لذا قف عند رأس كل آية وقفة يسيرة، وانتظر أن تسمع بأذني قلبك جواب ربك»

- قال محمد بن عوف الحمصي: «رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بطرسوس، فلما صلىٰ العتمة قام يصلي، فاستفتح بالحمد إلىٰ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فطفت الحائط كله ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوز.

- الصراط المستقيم «ألا فاعلم ـ إن لم تعلم قبل اليوم ـ أن الصراط المستقيم يتضمن ستة أمور:

١) معرفة الحق.

٢) قصده وإرادته.

٣) الدعوة إليه.

٤) العمل به.

٥) الثبات عليه.

٦) الصبر علىٰ أذىٰ من دعوته إليه.

أقوال رقية المحارب

الاستعداد للصلاة قبل الصلاة:

- إذا أردت الصلاة بعد وضوئك، وأردت الخشوع فيها، فإن عليك أن تراعي الأمور التالية:

أولا: الاستعداد بالسواك:

ثانيا: الاستعداد باللباس الحسن النظيف والتطيب والبعد عن الريح الكريهة:

ثالثا: الاستعداد بإحكام ستر العورة:

رابعا: الاستعداد بإبعاد كل ما يشغلك سواء كان أمامك أو تلبسينه أو تسجدين عليه:

خامسا: الاستعداد باختيار مكان معتدل الحرارة وتجنب الصلاة في المكان الحار:

سادسا: الاستعداد للصلاة في المكان البعيد عن الإزعاج والضوضاء:

سابعا: الاستعداد للصلاة بتفريغ قلبك من كل شغل:

ثامنا: الاستعداد للصلاة بانتظارها:

تاسعا: الاستعداد للصلاة بالنظر في حاجة جسمك الشاغلة لك وبقضائها قبل الشروع في الصلاة.[1]

وقفة رقائق من كتاب كيف تخشعين في الصلاة:

تفاوت الخشوع:

والقلوب تتفاوت في الخشوع بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت

---

(١) رقية المحارب: كيف تخشعين في الصلاة ص ١١ ـ ٢٦.

له، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع؛ فمِنْ خاشع لقوة مطالعته لقرب اللَّه من عبده، واطلاعه علىٰ سرِّه وضميره، المقتضي للاستحياء من اللَّه تعالىٰ ومراقبته في الحركات والسكنات. ومن خاشع لمطالعته لكماله وجماله، المقتضي للاستغراق في محبته، والشوق إلىٰ لقائه ورؤيته. ومن خاشع لمطالعة شدة بطشه وانتقامه وعقابه، المقتضي للخوف منه.

وهو سبحانه جابر المنكسرة قلوبهم من أجله، وهو ﷻ يتقرب ممن يناجيه في الصلاة ويعفر وجهه في التراب بالسجود، كما يتقرَّب من عباده الداعين له، السائلين له، المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار، ويجيب دعاءهم، ويعطيهم سؤالهم، ولا جبرَ لانكسار العبد أعظم من القرب والإجابة.

والخشوع يتأتىٰ للقلب غالبًا إذا بذل العبد أسبابه، كما أنَّ القلب يقسو ويغفل إذا ترك أسباب الخشوع.

قسوة القلب بإلف الاعتياد:

ولما كان القلب يقسو حينما يألف ما اعتاد عليه ولا يتأثر به لم يكن رسول اللَّه ﷺ يكتفي بهذا الاستفتاح فقد كان يستفتح الصلاة باستفتاحات متعددة.

- واعلمي أنك إذا أردت الخشوع في الصلاة فعليك بإزالة الأقفال التي علىٰ قلبك، إذا أردت إزالة هذه الأقفال، فإنها لا تُزال إلا بالتدبر لآيات اللَّه.

- تقولين: «رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني». وتستحضرين في دعائك هذا أنك مذنبة تحتاجين المغفرة،

مسكينة تحتاجين إلىٰ الرحمة، وكسيرة تحتاجين الجبر، وضيعة تحتاجين الرفع، وضالة تحتاجين الهداية، مريضة مبتلاة تحتاجين العافية، فقيرة تحتاجين الرزق.

أقوال أخرى

- «إن التخفيف المأمور به يكون مع الإتمام، ولا يجوز فيه التفريط، بحيث يخل ببعض أجزاء الصلاة، فإن ذلك ليس تخفيفًا، بل هو استخفاف بحق الصلاة، فيدخل تحت الوعيد الشديد فيمن ضيع حقوق الصلاة «محمد بن علي بن موسىٰ الإثيوبي الوَلَّوِي.

- إن أئمة المساجد هم أول من بدأوا فتح بيت المقدس قبل صلاح الدين من يوم أن جمعهم نور الدين زنكي وأكرمهم وشرط عليهم ترك علم الكلام ومسائل الجدال وألا يتكلموا إلا في الجهاد وبيت المقدس.
عبد الحميد طنطاوي

- قال إبراهيم السكران «وأنا أقرأ هذا الموضع الذي هو من عيون نصوص ابن القيم، رأيت فعلا كيف تتحول هيئات الصلاة من حركة جسدية إلىٰ هالة عبودية، وكيف تتحول أذكار الصلاة من ألفاظ لغوية إلىٰ معانٍ تنتشل المصلي للملكوت الأعلىٰ» ثم قال «أصبحنا في صلاتنا كأننا أجهزة آلية تنطق نصوصا مخزّنة مسبقا»

- الشيخ محمد حسين الذهبي «لقد تطور المجتمع وتخلف المسجد، فحدث ما يعانيه الآن من انفصام بينه وبين الحياة»[(١)]

- قَالَ سَهْلٌ: مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٣/ ٢٧٢)

- قال الإمام أحمد بن حنبل : (إنما قدرهم من الإسلام علىٰ قدر حظهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام علىٰ قدر رغبتهم في الصلاة، فأعرف نفسك يا عبد اللَّه واحذر أن تلقىٰ اللَّه ولا قدر الإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك)

- قال القرطبىٰ في التذكرة «و لعمر اللَّه لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه و يظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك فكيف بالجهال الذيم لا يعلمون»

- «أكثر الناس صلاتهم صلاة الصبيان» الشيخ الددو الشنقيطي.









فصل

أضاعوا الصلاة

✍ أولًا: ما جاء في تفسير إضاعة الصلاة من أضواء البيان:

من أفضل ما تم جمعه من أقوال في معنى أضاعوا الصلاة ما ذكرة الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

قال «وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُرَادِ بِإِضَاعَتِهِمُ الصَّلَاةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِإِضَاعَتِهَا تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا، وَمِمَّنْ يُرْوَىٰ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ ابن مَسْعُودٍ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُخَيْمِرَةَ، وَمُجَاهِدٌ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَغَيْرُهُمْ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ الصَّحِيحُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِضَاعَتُهَا الْإِخْلَالُ بِشُرُوطِهَا، وَمِمَّنِ اخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ الزَّجَّاجُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِإِضَاعَتِهَا جَحْدُ وُجُوبِهَا، وَيُرْوَىٰ هَذَا الْقَوْلُ وَمَا قَبْلَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَقِيلَ: إِضَاعَتُهَا: إِقَامَتُهَا فِي غَيْرِ الْجَمَاعَاتِ، وَقِيلَ: إِضَاعَتُهَا: تَعْطِيلُ الْمَسَاجِدِ وَالِاشْتِغَالُ بِالصَّنَائِعِ وَالْأَسْبَابِ.

قَالَ مُقَيِّدُهُ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ: وَكُلُّ هَذِهِ الأقوال تَدْخُلُ فِي الْآيَةِ؛ لِأَنَّ تَأْخِيرَهَا عَنْ وَقْتِهَا، وَعَدَمَ إِقَامَتِهَا فِي الْجَمَاعَةِ، وَالْإِخْلَالَ بِشُرُوطِهَا، وَجَحْدَ وُجُوبِهَا، وَتَعْطِيلَ الْمَسَاجِدِ مِنْهَا كُلُّ ذَلِكَ إِضَاعَةٌ لَهَا، وَإِنْ كَانَتْ أَنْوَاعُ الْإِضَاعَةِ تَتَفَاوَتُ[1].

---

(١) الشنقيطي: أضواء البيان (٣/ ٤٤٤)

✍ **وفي كتاب مجموع فتاوى ابن تيمية:**

سُئِلَ ﵁ عَنْ قَوْلِهِ ﷿: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ هَلْ ذَلِكَ فِيمَنْ أَضَاعَ وَقْتَهَا فَصَلَّاهَا فِي غَيْرِ وَقْتِهَا أَمْ فِيمَنْ أَضَاعَهَا فَلَمْ يُصَلِّهَا وقَوْله تَعَالَىٰ ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ هَلْ هُوَ عَنْ فِعْلِ الصَّلَاةِ أَوْ السَّهْوِ فِيهَا كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ مِنْ صَلَاةِ الغفلة الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ مِنْ صَلَاتِهِمْ شَيْئًا؟ أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ.

الْجَوَابُ:

فَأَجَابَ ﵁ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. بَلْ الْمُرَادُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَنْ أَضَاعَ الْوَاجِبَ فِي الصَّلَاةِ لَا مُجَرَّدَ تَرْكِهَا هَكَذَا فَسَّرَهَا الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَهُوَ ظَاهِرُ الْكَلَام فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ﴾ فَأَثْبَتَ لَهُمْ صَلَاةً وَجَعَلَهُمْ سَاهِينَ عَنْهَا فَعُلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَ السَّهْوِ عَنْهَا

وَقَدْ قَالَ طَائِفَةٌ مِنْ السَّلَفِ: بَلْ هُوَ السَّهْوُ عَمَّا يَجِبُ فِيهَا مِثْلَ تَرْكِ الطُّمَأْنِينَةِ وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ وَالْآيَةُ تَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا كَمَا فِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّىٰ إذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إلَّا قَلِيلًا». فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ صَلَاةَ الْمُنَافِقِ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ التَّأْخِيرِ عَنْ الْوَقْتِ الَّذِي يُؤْمَرُ بِفِعْلِهَا فِيهِ وَعَلَىٰ النَّقْرِ الَّذِي لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ إلَّا قَلِيلًا

وَهَكَذَا فَسَّرُوا قَوْلَهُ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ بِأَنَّ إضَاعَتَهَا تَأْخِيرُهَا عَنْ وَقْتِهَا وَإِضَاعَةُ حُقُوقِهَا وَجَاءَ فِي

الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ بِطُهُورِهَا وَقِرَاءَتِهَا وَسُجُودِهَا - أَوْ كَمَا قَالَ - صَعِدَتْ وَلَهَا بُرْهَانٌ كَبُرْهَانِ الشَّمْسِ تَقُولُ لَهُ: حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي وَإِذَا لَمْ يُتِمَّ طُهُورَهَا وَقِرَاءَتَهَا وَسُجُودَهَا - أَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنَّهَا تَلُفُّ كَمَا يَلُفُّ الثَّوْبُ وَتَقُولُ لَهُ: ضَيَّعَك اللَّهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي».

قَالَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: الصَّلَاةُ مِكْيَالٌ مَنْ وفي وُفِّيَ لَهُ وَمَنْ طَفَّفَ فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا قَالَ فِي الْمُطَفِّفِينَ. وَفِي سُنَنِ أَبِي داود عَنْ عَمَّارٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَنْصَرِفُ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا إِلَّا ثُلُثُهَا إِلَّا رُبُعُهَا إِلَّا خُمُسُهَا إِلَّا سُدُسُهَا إِلَّا سُبُعُهَا إِلَّا ثُمُنُهَا إِلَّا تُسْعُهَا إِلَّا عُشْرُهَا».

وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِيمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوِسْوَاسُ فِي صَلَاتِهِ هَلْ عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ عَلَىٰ قَوْلَيْنِ. لَكِنَّ الأئمة كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا إعَادَةَ عَلَيْهِ وَاحْتَجُّوا بِمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا قَضَىٰ التَّأْذِينَ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ فَإِذَا قَضَىٰ التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّىٰ يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ فَيَقُولَ: اُذْكُرْ كَذَا اُذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّىٰ يُضِلَّ الرَّجُلَ لَنْ يَدْرِيَ كَمْ صَلَّىٰ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ».

فَقَدْ عَمَّ بِهَذَا الْكَلَام وَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا بِالْإِعَادَةِ. و«الثَّانِي» عَلَيْهِ الْإِعَادَةُ وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ: مِنْ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَد وَغَيْرِهِ كَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَامِدٍ وَغَيْرِهِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِهِ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ مِنْهَا إلَّا عُشْرُهَا.

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَا أَجْرَ لَهُ إلَّا بِقَدْرِ الْحُضُورِ؛ لَكِنْ ارْتَفَعَتْ عَنْهُ الْعُقُوبَةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا تَارِكُ الصَّلَاةِ وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ: تَبْرَأُ ذِمَّتُهُ بِهَا أَيْ: لَا

يُعَاقَبُ عَلَىٰ التَّرْكِ لَكِنَّ الثَّوَابَ عَلَىٰ قَدْرِ الْحُضُورِ كَمَا قَالَ ابن عَبَّاسٍ: لَيْسَ لَك مِنْ صَلَاتِك إلَّا مَا عَقَلْت مِنْهَا فَلِهَذَا شُرِعَتْ السُّنَنُ الرَّوَاتِبُ جَبْرًا لِمَا يَحْصُلُ مِنْ النَّقْصِ فِي الْفَرَائِضِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ[(١)]

✍ ابن القيم:

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فسر الصحابة والتابعون إضاعتها بتفويت وقتها، والتحقيق أن إضاعتها تتناول تركها، وترك وقتها، وترك واجباتها وأركانها. انتهىٰ[(٢)]

✍ وفي التفسير الميسر:

«تركوا الصلاة كلها، أو فوتوا وقتها، أو تركوا أركانها وواجباتها، واتبعوا ما يوافق شهواتهم ويلائمها، فسوف يلقون شرًّا وضلالًا وخيبة في جهنم.»[(٣)]

✍ وقال الشيخ السعدي:

«فأضاعوا الصلاة التي أمروا بالمحافظة عليها وإقامتها، فتهاونوا بها وضيعوها، وإذا ضيعوا الصلاة التي هي عماد الدين، وميزان الإيمان والإخلاص لرب العالمين، التي هي آكد الأعمال، وأفضل الخصال، كانوا لما سواها من دينهم أضيع، وله أرفض،

والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت هممهم منصرفة إليها، مقدمة لها علىٰ حقوق اللّٰه، فنشأ من ذلك

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٥٤)

(٢) ابن القيم: الصلاة وأحكام تاركها ص٧٢

(٣) التفسير الميسر ص ٣٠٩

التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم، حصلوها، وعلى أي: وجه اتفقت تناولوها»

وذكر الشيخ الأسباب فقال والسبب الداعي لذلك، أنهم اتبعوا شهوات أنفسهم وإراداتها فصارت هممهم منصرفة إليها، مقدمة لها على حقوق اللَّه. فنشأ من ذلك التضييع لحقوقه، والإقبال على شهوات أنفسهم، مهما لاحت لهم، حصلوها، وعلى أي: وجه اتفقت تناولوها. ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي: عذابا مضاعفا شديدا[1]

ابن الجوزي

وفي تفسير قوله تعالى فسوف يلقون غيا قال ابن الجوزي في زاد المسير.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية. وفي المراد بهذا الغيّ ستة أقوال.

أحدها: أنه وادٍ في جهنم، روراه ابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ، وبه قال كعب.

والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود.

والثالث: أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد.

والخامس: أنه الشرُّ، قاله ابن زيد، وابن السائب.

والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْقَ

(١) تفسير السعدى ص ٤٩٦

أَثَامًا ﴿٦٨﴾ [الفرقان] أي: مجازاة الآثام، قاله الزجاج[(١)]

✍ وجاء في كتاب شعب الإيمان للبيهقي

عن ابي سعيد الخدري، يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ: وتلا هذه الآية ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ ﴾ فقال النبي ﷺ: «يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم، ويقرأ القرآن ثلاثة، مؤمن ومنافق وفاجر» قال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ فقال: «المنافق كافر به، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به»[(٢)]

✍ من ضياع الخشوع إلى ضياع الأركان

لقد تناول علماء الأمة سابقا موضوع الخشوع وضياعه، وساقوا أسبابه وعلاجه، لكن الأمر الآن لم يعد ضياع الخشوع فقط؛ بل ضياع الأركان، فاستشرىٰ بين كثيرٍ من المسلمين بل بعض الأئمة ضياع ركن الاطمئنان في الصلاة وضياع أركانٍ أخرىٰ بعدم الإتيان ببعض الشروط التي حدَّدها العلماء في هذه الأركان ـ وبوجود النصوص الدالة علىٰ ذلك، مثل إقامة الصُّلب، وعدم النقر، وعدم السرقة من الصلاة ـ ومثل ضياع الإتيان بأذكار الركوع والسجود علىٰ الوجه المذكور في صلاة النبىٰ ﷺ، وكذلك ضياع ركن قراءة الفاتحة باطمئنان في كل ركعة؛ فترىٰ بعض الأئمة والأفراد زادت سرعة صلاتهم حتىٰ لا يمكن معها الإتيان بالفاتحة كاملةً، وحتىٰ ذكر الرفع من الركوع، انظر إلىٰ بعض المصليين وهو يرفع من الركوع ثم يهبط مباشرة إلىٰ السجود من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣/١٣٨

(٢) شعب الإيمان: ٤/١٩٦، رقم ٢٣٨٥

غير أن يسكن ولو لحظة، ومن غير أن تستقر أعضاؤه في وضع الرفع من الركوع بحيث يكون كل عضو استقر ساكنًا حتىٰ يذكر ذكر الرفع من الركوع.. وتفاصيل غير هذا كثيره وردت فيها أحاديث بعضها يبين بطلان الصلاة كما سنفصل، وحتىٰ التي ليس فيها بطلان الصلاة فإن أثر الصلاة لا يتحقق للمصلىٰ.

وعندما أُصلِّي خلف إمام ولا أطمئن ولا أستطيع معه الإتيان بالفاتحة كاملة أو أقل تسبيح في ركوع أو سجود أو ذكر الرفع فقد سقط مني إما سنة أو واجبا أو ركنًا، وسقطَ تحقق أثر الصلاة، وتحوَّلت الصلاة إلىٰ حركاتٍ رياضية من الوقوف والانحناء والجلوس! بل وحتىٰ شروط الرياضيين في تحقيق الفائدة الرياضية للجسم من هذه الحركات غير محققة! فأصبحت الصلاة هي ذلك الأمر المضحك المبكي والذي بكىٰ فيه أنس بن مالك ﵁ قبل مئات السنين وقبل رؤية ضياع صلاتنا.

✍ تاريخ إضاعة الصلاة:

قد ذكر ابن تيمية أن بداية إضاعة الصلاة كان بعد الخلفاء الراشدين في خلفاء بني أمية فأخروها عن وقتها واضاعوا خشوعها وجاء في صحيح البخارىٰ النص علىٰ ضياع الصلاة بقول أنس بن مالك ﵁، فعن الزُّهْرِيّ قال: «دَخَلْتُ عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلاَةَ، وَهَذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ ضُيِّعَتْ»(١)

ولعل ما في قول أنس بن مالك ﵁ «وَهَذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ ضُيِّعَتْ» ما يبين لك بعد هذه المئات من السنين ما وصلنا إليه من ضياع الصلاة.

---

(١) أخرجه البخارىٰ: ٥٣٠

✍ مظاهر إضاعة الصلاة

لا شك أنك ترىٰ في مسجدك شيئا من مظاهر إضاعة الصلاة فإن كنت مصليا خلف إمام لا يضيعها فإليك جولة في بلدان مختلفة تبين لك كيف ضاعت الصلاة.

✍ إبداع الدكتور إبراهيم عمر السكران في وصف إضاعة الصلاة:

فمن المملكة السعودية يقول الدكتورإبراهيم السكران في كتابه «مسلكيات»:

«كم فينا من مصلٍ يتسلىٰ بقنص شوارد شاربه بأسنانه ثم يسلّها منها، وشابٌ يشمخ رأسه ثم يهزه لتتطاير خصلات لمّته إلىٰ الوراء، وآخر يفحص زوائد الأظفار في الصلاة فإما كسر الزائد بإصبعه أو لقمه أسنانه لتقرض ما زاد، وفينا من يطوف بيده علىٰ كرشه كالمتفقد لتحولات حجمها واستدارتها ويوهم نفسه أنها صغُرت، بل إذا شئت أن تتأكد أننا ننشغل في صلاتنا أكثر مما ننشغل في مجالسنا فتأمل كيف تجد المرء يجلس في عمل أو مناسبة ثم إذا صلىٰ تفطن لبقعة خفية في ثوبه لم يتفطن لها أثناء جلوسه في تلك المناسبة عيوننا الغافلة في الصلاة ليست في موضع السجود بل هي تطوف في ملابسنا وما حولنا تبحث عن لهو.

وكم فينا من ينظر لساعة الحائط في المسجد مرارا ثم يعيد حساب الوقت المتبقي بين انقضاء الصلاة ووصوله لمشواره الذي يخطط له، كل هذا الانشغال والحركة بين يدي من ذلّت لكبريائه السموات والأرض.

بل كم فينا من يحسب المتبقي من الراتب بالقياس إلىٰ المتبقي من

نهاية الشهر بشيء من القلق وهو بين يدي الرزاق سبحانه الذي هو أغنىٰ وأقنىٰ.

وكم فينا من يبدأ التكبير وقد فسر كمه عن ذراعه من آثار الوضوء، ثم يستكمل ترتيب كمه أثناء الصلاة لا قبلها.

وفينا من يشعر أنه بحاجة كل هنيهة أن يجول بيده علىٰ جنبيه يتحسس محفظته ومفاتيحه وأغراضه الشخصية التي يرجح بها جيبه.

بل فينا من يستخرج جواله من جيبه كالمظهر إصماته وهو يسترق النظر هل من رسائل جديدة؟ أو ليختلس اسم المتصل عسىٰ أن لا يكون من يترقب اتصاله، يظهر لمن بجانبه الخشوع ويغفل عن نظر اللَّه، ألا نخشىٰ أن يدخل هذا تحت قول اللَّه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾، وقول اللَّه: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾، وقول اللَّه: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

ثم يقول كنت أقارن هذه المشاهد الاجتماعية التي أراها في نفسي وفي كثير من إخواني من حولي بما طالعته في سلسلة الخشوع منذ ابن جريج وانتهاء برسول اللَّه، تمر أمام ناظري تلك الأوصاف: كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك، كأنه عود، كأنه خرقة، كأنه اسطوانة، وأشعر بالخجل يكسر عيني، بل كنت أقول في نفسي لو رآنا هؤلاء فكيف سيصفون صلاتنا؟ ما التشبيه الذي سيطرأ علىٰ أذهانهم ليشبهونا به؟[1]

ويقول في موضع آخر:

تضخمت المقارنات في داخلي، وعاد السؤال مجددا.

---

(١) إبراهيم عمر السكران: مسلكيات ص١٢٤ ـ ١٢٦

هل ما أرىٰ من حولي في مجتمعي القريب هو الوضع الطبيعي؟ هل كثرة الحركة في الصلاة والانتقالات بلا سكينة التي اعتدت رؤيتها في كثير من المصلين من حولي حتىٰ انطبعت بها لا شعوريا هي الصورة المألوفة؟

هل نحن في الطريق الخاطئ ونحن لم نستشعر أصلا أن ثمة قصور؟ بعض المصلين يسحب شماغه إلىٰ اليمين ليعتدل المرزام، ثم يشعر أنه غير متوازن فيسحبه لليسار مرةً أخرىٰ.

ومصلٍّ آخر يزيح كمّه عن ساعته اليدوية في معصمه ويعيد ضبط عقاربها علىٰ ساعة الحائط التي أمامه ويراوح النظر بين الساعتين حتىٰ تتطابق العقارب.

وآخر إذا سجد تلعب أصابعه علىٰ الموكيت يرسم دوائر ويمحوها.

ومصلٍ بجانبك يتحول إلىٰ حديقة غنّاء تصفر عصافير فمه يصون بلسانه بقايا الطعام ويستمتع بالأصوات التي يسحبها بين فجوات أسنانه.

أما الانتقالات بين أركان الصلاة فكثير من الناس يهجم بحركات شعثاء، لا يداري النزول والقيام بسكينة وإخبات.

هذه المظاهر مجرد أمثلة من جملة مظاهر كثيرة صرت أدقق فيها قبل أن لم أكن كذلك، بل لقد كنت أراها مظاهر طبيعية وليست موضع تدقيق واستشكال أصلا، بل وبكل شفافية مع القارئ لقد اكتسبت ـ للأسف ـ كثيرا من هذه التصرفات وانطبعت في سلوكي، ثم جاهدت نفسي لاحقا علىٰ قطع كثيرٍ منها، وما زلت أكابد كشط نتوءات العادات، وعجزت عن قطعها البتّة[1]

(١) السابق ص ١٠٨ ـ ١٠٩

ويقول أيضًا:

«كيف نعرف موضع الفخ جيدا ثم نسمي باللَّه ونضع ساقنا فيه كل مرة؟!»

وكم تساءلت ما أكثر أن تندلق «أذكار الصلاة» علىٰ ألسنتنا لا نعقل من معانيها شيئا، أصبحنا في صلاتنا كأننا أجهزة آلية تنطق نصوصا مخزّنة مسبقا، وهل تعقل الآلة من ذاكرتها شيئا؟!، فيفوت علينا من عيش أجر الألفاظ الصلوية في الآخرة بقدر ما فات من عيش معانيها في الدنيا.

تأمل بعض فضائل الألفاظ الصلوية: اللَّه ﷻ يجيب عبده إذا قرأ الفاتحة فيقول له: «حمدني عبدي، أثنىٰ علي عبدي، مجدني عبدي، إلخ»، أتُرانا ننطق آيات الفاتحة ونحن ننتظر جواب ربنا؟

ثم إذا أمّن الإمام أكرمنا اللَّه بهذا الفضل (إذا أمن الإمام فأمِّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)(١)

ويقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم

«وقوله ﷺ: (إن في الصلاة لشغلا)، فلا يجوز الانشغال بما يضاد الصلاة، كما يفعل بعض الناس في بعض البلاد كأنه يجتهد في أن يبطل صلاته، أو علىٰ الأقل ينقص أجرها، تجد منهم من يفك الساعة ويركبها، وآخر يخرج النقود من جيبه ويعدها، وثالث يفك (الزراير) ويردها، هذا يحصل في بعض البلدان للأسف الشديد، فهل هذا يعد مصليا؟ فأهم ما يستدل به في هذا الباب هو قوله تعالىٰ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ

(١) السابق ص ١٤٤

قَانِتِينَ) ؛ لأن هذا يتنافىٰ مع حال المصلي» .

قلت والأمثلة كثيره، وأما إذا ذهبت إلىٰ تركيا وبلاد إفريقيا وغيرها فالصلاة أسرع من أن يحدث فيها ما هو من الصلاة وما هو من خارج الصلاة .

هذه بعض مظاهر إضاعة الصلاة عند من يصلونها فما بالك بمن تركها أو سها عنها . فإن قلت إن الإضاعة هي الترك فقد خالفت أقوال العلماء المتعددة التي ستجدها هنا، وأحد هذه الأقوال ما نقله الشيخ الطحان عن ابن كثير في تفسيره «إضاعة الصلاة والسهو عنها شامل بالترك عنها كلية، وشامل لتأخيرها إلي آخر الوقت، وشامل لعدم إيقاعها علي الوجه المطلوب» فإذا صليتها في أول الوقت دون خشوع وإتمام لها فقد ضيعتها وقد سهوت فيها وعنها ـ أي عن فعلها علي وجه التمام والكمال ـ تضييع الصلاة والسهو عنها شامل في هذه الأمور الثلاثة» .

✍ من أسباب ضياع أركان الصلاة:

ولئن كان في الزمن الماضي أسباب لضياع الخشوع في الصلاة عند أسلافنا فلقد استجد عندنا أسباب ما رأوها أدت إلىٰ ضياع الأركان بالإضافة إلىٰ ضياع الخشوع :

منها نمط الحياة ووسائل التواصل والاعلام :

- أنت ترىٰ في نفسك أن نمط الحياة السريعة الصاخبة وضغوط متطلباتها النمطية والمالية والمادية وقد أخذت كيانك وطرحتك صريعا خاوي الروح تحت عجلاتها .

- وترىٰ كم تأخذ عقلك وقلبك وفكرك وسائل التواصل بإثارتها لعواطفك أو شهواتك أو حفيظتك حتىٰ إنك لتدخل في الصلاة وتخرج

منها ولم تفارقك هذه حتىٰ أخذت العقل والقلب.

- وترىٰ وسائل الإعلام كيف تُشكل أفكارك ومحور اهتمامك وتأخذك حيث شاءت ومن ورائها جيوش من العقول الهدامة لثوابت الدين والفضيلة والقيم، تبث الرذائل والقبائح وتُروِّج ما يثير الشهوات والغرائز.

- وأسباب ضياع الصلاة كثيره: المال، والشيطان، والعادة، والجهل، وتقليد الاستهلاكية الشهوانية الغربية، وتعاطىٰ أسباب قسوة القلب، وسبب واحد قد يستغرق الإنسان فتضيع صلاته لكن المصيبة أن الأسباب تجتمع كلها أو بعضها في صلاتك فكيف تعتبرها صلاة.

- ومن أكبر هذه الأسباب أئمة المساجد وسنفرد له فصلا خاصا، كما ساعدت كتابات بعض العلماء المعاصرين علىٰ ضياع الصلاة، وهذه تفاصيل لبعض الأسباب.

✍ الانشغال بالمال من أكبر الأسباب

المال هو الطاغوت الذي ينشغل به كثير من المصلين في صلاتهم ربما أكثر من انشغالهم بربهم، وكثير ما يضعف تذكرهم أنهم أمام ربهم وخالقهم ورازقهم، فإذا دخلوا في الصلاة بدأت أو استمرت همومهم وأمالهم وخططهم المالية.

ألا ترىٰ أنك كثيرًا ما تقف بين يدي اللَّه في الصلاة وأنت مع أموالك تارة بالحسابات وتارة بالتخطيط وأحيانا مهموما بها أو سعيدا.

إن وجهك ترتسم عليه بسمة السعادة إذا كانت بشريات المال تجول بخاطرك في الصلاة، وترتسم عليه سمة الكآبة إن خسرت مالًا أو فاتك مكسبًا أو انتابك القلق علىٰ مالك .

هذا للذين لم ينشغلوا عن الصلاة ولم يتركوها بسبب المال فصلُّوا، ولكن هكذا صلاتهم جسدٌ بلا روح وآخرون تارة يصلون وتارة بالمال ينشغلون، وآخرون جعلوا المال قبلتهم وإلههم الذي يعبدون، تارة يصرِّحون بذلك وتارة يقولون «العمل عبادة «وبهذا العمل يكتفون.

✍ كذبة العمل عبادة والخطأ في الرد عليها

كذبة وكلمة باطلة «العمل عبادة» وخطأ مشهورٌ في الرد عليها بكلمة: «العمل عبادة كلمة حقٌ يُراد بها باطل»، فليس صحيحًا ولا يمكن أن تكون كلمة العمل عبادة كلمة حق يراد بها باطل، ولكنها كلمة اشتهرت على ما فيها من أخطاءٍ عديدة، وأبدأ معك بالآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وقد قال اللَّه بعدها ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾.

وهذا أول ما يُبين بطلان كلمة العمل عبادة، ثم هل العمل المحرم عبادة؟ هل العمل المكروه عبادة؟ هل العمل الحلال المستغرق لعمر الإنسان عبادة؟ أو العمل المؤدِّي إلى ضياع حق أولاده وأهله بل ونفسه عبادة؟ أو العمل الحلال الذي يُلهي عن الصلاة أو يشغلني داخل الصلاة استغراقا لها حتى تكون صلاة باطلة عند أهل العلم عبادة!؟ هل هذا العمل الحلال عبادة؟

إن هذه الكلمة لا ينطق بها المسلم المصلي العابد المؤدي لحق الصلاة والعبادة لربه، وإنما هي حجة من لا يصلون، أو يصلون صلاة شكليَّة، تأدية واجب أو تخلصًا من ملامه أو أسباب كثيرة أخرى.

هكذا أصبحت هذه الكلمة من أسباب ضياع الصلاة وتبرير لمن أضاعوها.

✍ العجلة في إنجاز مهام مشروعة وغير مشروعة:

كثرة المهام والأعباء والعجلة لإنجازها سواء كانت مشروعه أو ممنوعه أضاعت الصلاة، بل أحيانا إنجاز هذه المهام داخل الصلاة مثل بعض الحسابات والترتيبات والأفكار وتذكر المنسي، فنتذكر كل شيء نسيناه خارج الصلاة داخل الصلاة، ولا أدري هل نحن الذين نستدعي التذكر لما نسيناه أم أن الشيطان هو الذي يذكرنا به، واللَّه أعلم ربما كان في العهد الماضي كان الناس أكثر اهتماما بصلاتهم لذلك كان يأتيهم الشيطان ليذكرهم بما نسوه، كما حكي عن أبي حنيفة في جوابه للرجل الذي نسي أين وضع أمواله، أما نحن فأظن أن الشيطان لم يعد بحاجة ليذكرنا في الصلاة فقد كفيناه مهمته وراحت أنفسنا وعقولنا وقلوبنا تصول وتجول وتبحث عن كل شيء نسيناه أو سننساه أو نحتاج إنجازه بعد الصلاة.

✍ الجهل وإلغاء تعليم الدين:

الجهل عند بعض المصلين حتىٰ ولو كان حاملا لعلوم الدنيا لابد أنه أحد الأسباب في إضاعة الصلاة، وقد حدث هذا في عهد النبي ﷺ وأمامه في مسجده، فكان حديث المسيء صلاته محورا من محاور الصلاة عند العلماء، والحقيقة أن أساسه كان جهل الرجل بالصلاة، ولا شك أيضا أنه كان لتعليم الأمة، كما جاء جبريل عليه السلام للسؤال لتعليم الأمة أركان الإيمان والإسلام والإحسان.

إن إلغاء تعليم الدين في الجامعات، وتهميش تعليمه في المدارس، وانتهاء تعليمه في أغلب المساجد ـ اللهم إلا بعض المواعظ ـ ومحاربته في الإعلام، وإسقاط هيبة ووجاهة علماء الدين وأئمة المساجد،

وتشويه المتدينين. . أنتج لنا مسلما لا يعلم ما هو مفروض أنه معلوم من الدين بالضرورة، لا يعلم ولا يتعلم، اللهم إلا من له اجتهاد شخصي أو تأثر بعالم أو داعية أو إمام مخلص صادق.

✍ من أسباب ضياع الصلاة الاستسلام للشيطان:

الشيطان صاحب الحظ الأكبر والنصيب الأوفر من صلاتك، وأنت لا تشعر بوجود الشيطان في حياتك ولا صلاتك، ولا تتصور أنه صاحب الوساوس لأذكارك وخواطرك وغضبك ومشاكلك وهمومك خارج الصلاة ويأتيك بها داخل الصلاة لتستكمل معها المؤانسة والمعايشة والتفكير والتدبير داخل صلاتك حتى تخرج من الصلاة وما صليت ولا تواصلت ولا وصلت! أقصد تواصلك مع ربك ووصولك إلى قرب ربك ومناجاته لا وصولك إلى حل مشاكلك وهمومك داخل الصلاة.

أنت لا تتصور أن للشيطان معك أربعة وأربعين عملا وفعلا يؤثر بها في حركاتك وأفعالك وأقوالك وأفكارك وكلها مذكورة في القرآن بألفاظها فكم مرة صنع الشيطان قرارك وحرك أركانك؟ ؟ كم مرة أغواك؟ ؟أو زين لك، ، أو وعظك، ، أو دلك، ، أو وسوس لك، ، أو نزغك، ، أو استزلك، ، أو مسَّك، ، أو أوقعك، ، أو فتنك، ، أو أمرك، ، ، أو استفزك، ، أو أجلب عليك، ، أو شاركك، أو استحوذ عليك، ، أو أستهواك، ، أو علمك، ، أو أوحى لك، ،أو أضلك، ،أو سول لك، ، أو أملى لك، أو وعدك، ، أو مناك، ، أو دعاك، ، أو تولاك، ، أو أنساك، ، أو صدك، ، أو خذلك، ، أو أزك، ، أو خوفك، ، أو أحزنك، أو كان أخًا لك، ، أو كان قرينك، ، أو استكثر منك، ، أو بات معك، ، أو عقد على رأسك، ، أو أكل معك، ، أو لعب بك، ، أو

جرىٰ في دمك ، ، أو أضفي عليك من حسده أو رجزه أو تبذيره أو كيده؟ ؟ ؟ ؟ والأخطر من ذلك ، إن صار ولو يومًا إلهك؟ ؟ ؟ وكل واحدة من هذه موجودة في آيات القران .

✍ من أسباب ضياع الصلاة الصور والفيديوهات والخيالات:

الصور والفيديوهات والخيالات التي نعيش معها وننشغل بها خارج الصلاة تأتيك شاشاتها وتراها داخل الصلاة ، وكنت أظن أن المتدين يمر بالشاشات سريعا ولا يتأثر بها فإذا بي يومًا أجد أن المرور بالشاشات ليس سريعا ، فقد جاءني علىٰ جوالي أنني أقضي ساعات أسبوعيا قام بحسابها الجوال .

وكنت أظن أنه مجرد مرور سريع ، ثم إني كثيرا ما كنت أتفقد صلاتي وخشوعها وإتقانها والحضور فيها فأجد أن ما كنت أشاهده في جوالي يأتيني في صلاتي ، ومع أنه ليس من المحرمات ولكن حتىٰ هذه المباحات أضاعت الصلوات ، فكيف إذا كان المحتوىٰ المشاهد حرامًا أو مكروها وغالبا ما يكون من محبوبات النفس وشهواتها فتتحول الصلاة إلىٰ فقرات متتابعة بين الصور والخيالات والفيديوهات وتختلط معها التكبيرات .

فباللَّه عليك كيف يأتي الخشوع لهذه الصلاة وكيف أجد الحضور بين يدي اللَّه ! إن لساني لن يذكر أو يدعو وإن قلبي لن يحضر أو يتأثر أو يخشع ، وإن عقلي لن يتدبر لا في ذكر ولا دعاء ولا قراءة .

وإذا كان ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها وإن الرجلان ليصليان الصلاة الواحدة والفرق بين أجريهما كالفرق بين السماء والأرض ، وإذا كان الرجل ليصلي وما يكتب له من صلاته إلا نصفها إلا ربعها إلا

خمسها حتىٰ عشرها»، ، ، فإن هذا الحديث الأخير لا ينطبق علينا لأنه افترض أن الرجل يصلي، بينما حقيقة ما نحن فيه مع هذه الصور والخيالات ليست صلاة ولا عقل حاضر فيها، فليس لنا منها إلا ما جاء في الحديث الأول» ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها»، ولا أظن أننا نبلغ عشرها فقط في كثير من الأحيان، بل قد تكون باطلة أو مردودة كما فصَّل ذلك العلماء في كتب الصلاة منهم ابي حامد الغزالي في الاحياء وابن القيم وابن تيمية وبعض المعاصرين كما سيأتي.

ومن أعجب ما قرأت الحقائق التي ذكرها الدكتور إبراهيم السكران في وصفه لبعض المصلين والتي رآها بعينه وكما ترىٰ أن الرجل لا يمكن أن ينطبق عليه وصف المصلي حتىٰ تكتب له عشر الصلاة، إن الرجل ليفعل كل شيء في صلاته إلا الصلاة؛ وكأنه قد ساقته جماعة الحسبة للصلاة رغما عنه وليس له فكاك من الوقوف في صفِّ المصلين.

إضاعة الصلاة بتحولها إلى عادة:

أضاعت العادة العبادة، ثم تحولت إلىٰ فقدان مقاصد الصلاة والشغف بها ومعاني الخشوع والإيمان ورقة القلوب وخشيتها، ولقد عاتب اللَّه ﷻ الصحابة بعد أربع سنوات فقط من إيمانهم وشغفهم بالدين فقال لهم ﷻ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وفي نهاية العتاب للصحابة يحذرهم اللَّه مما هو أكبر من فقدان الخشوع، التحذير من التحول إلىٰ قسوة القلب والفسق بكل ما في

الفسق من المعاني. سبحان اللَّه كيف يتحول المؤمن من الشغف والشره للعبادة إلىٰ الفتور ثم الغفلة ثم الإعراض ثم القسوة ثم المعصية حتىٰ وصل من وصل إلىٰ الفسق. انها سنة تقلب القلوب

لهذا حذرنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «لكل عابد شره ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلىٰ سنة فقد اهتدىٰ، ومن كانت فترته إلىٰ بدعة فقد ضلَّ وغوىٰ» وكل هذا يحدث في الصلاة، ربما تتذكر أنك في بداية سيرك إلىٰ اللَّه والتزامك كنت شغوف بها تحبها وتطيلها وتبكي فيها وتكثر من الدعاء وتتأمل في قراءتك للقرآن وتتفكر فيه وتتأثر، وفي التسبيح والأذكار تتمهل وتكرر وتتذكر وتعيش مع الصلاة في راحةٍ وطمأنينة ومحبة. ولكن كثيرا ما تفقد ذلك. ويتحقق فيك ما عاتب اللَّه فيه الصحابة.

وبالتأكيد أنت تقرأ الفاتحة ولا تتفكر ولا تتدبر فيها بشيء لأنك اعتدت قراءتها كل يوم اكثر من ٢٥ مره علىٰ الأقل، وبالتأكيد إنك إذا كنت من أهل قيام الليل بالقرآن كثيرا ما يكون همك السورة وربما تنسىٰ قراءة الفاتحة وإن قرأتها فبلا حضور ولا مناجاه بها للَّه ولا سماع لجواب ربك عليك بعد كل آية.

✍ ومن الأسباب: نمط الحياة العصرية وعاداتها وماديتها، ودوّامة المباهاة وتقليد الاستهلاكية الشهوانية الغربية:

كثير منا يعيش حياة الغرب وترك عادات الأجداد والآباء إلىٰ تقليد عادات الغرب، وهي حياة خاوية من الروح كلها مبنية علىٰ المادية والنفعية والشهوانية، فكيف تصفو لك مناجاة مع اللَّه، أو وقوف خاشع في صلاة، أو تدبر في آية من القرآن أو تفكر في حقيقة الدنيا ونظر إلىٰ الآخرة.

يقول الدكتور إبراهيم عمر السكران في كتابه رقائق القران:

«والواقع المشاهد اليوم أن من أكثر ما ينسج حول العيون حجابَ الغفلة التنافسُ الاجتماعي علىٰ الدنيا، فالمرء منذ أن يُستجر إلىٰ «دوامة المباهاة» فإنه لا يكاد يفيق منها إلا علىٰ أعتاب القبر. والناس اليوم كأفراس رهان علىٰ المناصب، والمساكن، والسيارات، والملابس، لا يكاد أحدنا يلتقط أنفاسه من هذه المنافسات الاجتماعية علىٰ حطام الدنيا، وقد نبه القرآن علىٰ هذا المعنىٰ الواسع بأوجز عبارة وأبلغ صياغة، باللَّه عليك تأمل قوله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

✍ ومن أسباب ضياع الصلاة: تعاطى أسباب قسوة القلب وهي كثرة الكلام، والمنام، والطعام، والمخالطة:

إن القلب مرآة، لا ينعكس فيها نور الطاعة ما دامت مغطاة بغشاوة الشهوات، فكيف يطلب المرء خشوعًا وقد أسرف في الكلام حتىٰ صار لسانه لا يعرف الصمت، يلهو بالجدال واللغو، ويستهلك عمره فيما لا يعود عليه بخير؟! إن كثرة الحديث تورث قسوة القلب، فإذا قام للصلاة وجد ذهنه مشغولًا بظلال ما قال وما سمع، فلا يصفو له حضور ولا يخشع له قلب.

وانظر إلىٰ من غلبت عليه شهوة البطن، يملأه بالطعام والشراب حتىٰ يثقل بدنه وتضعف عزيمته، فيدخل الصلاة مترنحًا بين الكسل والفتور. كيف يجد لذّة المناجاة من لم يترك لنفسه خفةً ولا صفاء؟! إن الامتلاء من الحلال يبلّد الحس، فكيف إذا اختلط به الحرام؟! هنالك يظلم القلب وتغلق أبواب الطمأنينة.

ثـم إن الـنوم إذا جـاوز حـدّ الاعـتدال صـار غفلـةً تغـشىٰ البـصيرة، فيستيقظ العبد مثقلًا، متأخرًا عن الطاعة، بعيدًا عن استحضار عظمة الموقف. وما زال الليل والنهار يتقاسمان عمره بين نوم طويل ويقظة قصيرة، حتىٰ إذا وقف بين يدي مولاه وقف بجوارح منهكة لا تستشعر قداسة الموقف.

إن الصلاة لا تعطي سرّها إلا لمن قدّم لها قلبًا فارغًا من الشواغل، وجسدًا نقيًّا من التثاقل، ولسانًا طاهرًا من اللغو. فإذا جمعت الاعتدال في مأكلك ومشربك ومنامك وكلامك، آنذاك يشرق فيك الخشوع، وتنعم براحة لا يعرفها إلا من ذاق حلاوة الصلة بربه.

✍ ومن أهم أسباب ضياع الصلاة: أئمة المساجد وبعض العلماء المعاصرين:

أولًا: هل ساعدت كتابات بعض العلماء المعاصرين على ضياع الصلاة؟

سؤالٌ قفز بعد تعدد قراءاتي لصفة الصلاة كما كتبها بعض المعاصرين؛ فمثلًا يقولون: فإذا ركع يقول: «سبحان ربي العظيم» ثلاث مرات أو أكثر، وكذلك عند السجود، وهذا التحديد أقصىٰ جانبا كل الأذكار والدعوات الواردة في صلاة النبي ﷺ، وأكثر من ذلك أن تعجل الناس في الثلاث مرات المذكورة جعلها تمر كأنها مرة واحدة وسقط معها ركن الاطمئنان.

ذات مرةٍ نبهت إماما إني لم أستطع أن أُكرر التسبيح ثلاث مرات ولم أطمئن فجادلني، ولما ذكرت له أني لم أطالبه بقول: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح» أو «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء

والعظمـة» أو «إلهـي لـك ركعـت وبـك آمـنت إلىٰ آخـر الذكـر الـوارد، وهكذا باقي الأذكار الواردة في الركوع والسجود ولو ذكر واحد لمرة واحدة. . كانت إجابة الإمام صادمة، قال: «هذه أذكار قيام الليل» وهذا لـيس صـحيحًا، وجميـع الأذكـار التي ذكـرتها لـم يـرد أنهـا خاصـة بقيام الليل، ولا قال بذلك أحدٌ من العلماء، اللهم غير الخلاف في احدها.

الأدهىٰ والأمر مـن ذلـك أنـه قـال بـل تـسبيحة واحـدة تكفـىٰ. وهـذا القـول الـصادم تجـده كثيـرا في كـتب أكثـر المعاصـرين وبعـضهم يقـولها تجزئ بدل تكفىٰ وهـذه أخف مـن تكفىٰ، وبعض كتب المتقدمين تجد فيها ذكر واجبات الصلاة الثمانية بهذا النص «التسبيح مرة واحده».

وهـو قـول باطـل عـندما يـستخدمه الـنقارون والـسارقون مـن الـصلاة حجة لهـم في إضـاعتهم للـصلاة، بينما أصـل هـذا القـول عند من قال به مــن الفقهــاء تأصــيلا فقهــيا كمــا في أصــول الــشافعىٰ وغيــره وبــه قــال النـووي، ومع ذلك رفضه من فطاحل علماء الشافعية أبىٰ حامد الغزالي واسـتفاض في تفنيده في كـتاب إحـياء علـوم الـدين، وكـذلك فعـل ابـن تيمية في كتاب القواعد النورانية وابن القيم في أكثر من كتاب، وساقوا من الآيات وأحاديث صلاة النبي ﷺ أدلة بطلانه، وسترىٰ فصلا مفصلا في ذلك.

والـشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كـان يقـوم ثلـث الـليل ولـم يذكـر في الأم التـسبيحة الواحدة.

فالنصيب الأكبر في ضياع الـصلاة كان بسبب أئمة المساجد بدعوىٰ التخفيف. والتخفيف الذي أضاعوا به الصلاة ليس هو التخفيف الذىٰ أمر بـه رسـول اللَّه ﷺ، بـل كـان أكبر خطـوات الـشيطان مع الأئمـة قبل

عوام المسلمين، ولقد لبَّسوا الحق بالباطل كما فعلت اليهود بقولهم «لا تقربوا الصلاة» في أمر التخفيف فقالوا «إذا صلَّىٰ أحدكم بالناس فليخفف» ولا يقولون «ففيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة» وقالوا: «أفتّان أنت يا معاذ» وهو قول مبتور عن أسبابه وحاله وكيفيته، وأيضا هي أقوال مبتورة عن فعل النبي ﷺ وصلاته.

فالنبي ﷺ كان يطيل الصلاة أحيانا ويخففها أحيانا ويتوسط فيها غالبا، وتخفيفه أحيانا يكون هو اليوم عندنا إطالة وتشددا، كما جاء في الأثر كان النبي ﷺ يأمرنا بالتخفيف فيؤمنا بالصافات! وهي ١٨٢ آية قصيرة، وأما إطالته فكان يصلي بالبقرة وآل عمران والنساء وكان يصلي المغرب بالأعراف، وأما متوسطه فكان يصلي المغرب بالطور، ثم كان يراعي الحال والأسباب فكان يريد أن يطيل الصلاة فيسمع صوت الطفل فيخفف، وأمره بالتخفيف ذكره مع وجود علته وسببه وهو حالة وجود ضعيف وكبير وذىٰ الحاجة.

وأما صلاة معاذ رضي الله عنه فكان يصلي برجالٍ يعملون في حمل المياه إلىٰ العوالي كما جاء في الحديث.

وأئمة المسلمين اليوم كأن كل صلاة عندهم طفل يبكي ومصلين مرضىٰ وضعفاء، في كل صلاة هذا ديدنهم.

لماذا يترك أئمة المساجد أقوال العلماء بأن نقَّار الصلاة لو مات مات علىٰ غير ملة الإسلام كما ذكر قديما ابن خزيمة في رواية ابن القيم والتي سترىٰ تفصيلها هنا.

لماذا يتركون قول بعض المعاصرين بأن صلاتهم غير صحيحة كما قال السبكي في الدين الخالص بأن صلاتهم غير صحيحة؟

لماذا يتركون قول من قال من القدماء بأن التسبيحة الواحدة غير كافية لصحة الصلاة كما حلل ذلك الغزالي في الإحياء، بل والثلاث تسبيحات كما أثبت ابن تيمية في القواعد النورانية، وستجد هنا نقل كلامهم وأدلتهم؟

بل لماذا يتركون قول أفضل الخلق ﷺ حين قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولم يرد أي حديث ولو ضعيفا أنه ﷺ ركع بتسبيحة واحدة أو سجد بتسبيحة واحدة؟

يل ركنوا إلىٰ تقسيمات أركان الصلاة وواجباتها وسننها ومبطلاتها عند الفقهاء وجعلوها حجة لهم في إضاعتهم للصلاة، وهذه التقسيمات ليست حجة لهم كما سترىٰ تحليل ذلك عند كثير من أهل العلم.

ثانيًا: الأئمة وإضاعة الصلاة

الإمامة من أفضل الأعمال في الإسلام وأكثرها أثرا في الأمة. كم كان أئمة المساجد هم صناع حضارتها ونهضتها وقادتها وقدوتها، وحتىٰ في قمة أوقات ضعف الأمة واستعمارها كان أئمة المساجد هم قادة ثوراتها وتحريرها وإصلاحها والأمثلة كثيره عبد القادر الجزائري وعبد الحميد بن باديس وغيرهم كثير من المعاصرين والمتقدمين.

وأقولها من دروس التاريخ إن صلاح الأمة وتحرير بيت المقدس يبدأ بإصلاح أئمة المساجد، فما كان لصلاح الدين أن يفتح بيت المقدس لولا أن بدأ نور الدين قبله بسنين بجمع أئمة المساجد وأمرهم بإلغاء كل توجهاتهم التي أضاعت الأمة وتوجيههم إلىٰ إصلاح نفوسهم وبث روح الدين والجهاد في الرعية.

إن أئمة المساجد هم أول من بدأوا فتح بيت المقدس قبل صلاح الدين

من يوم أن جمعهم نور الدين زنكي واكرمهم وشرط عليهم ترك علم الكلام ومسائل الجدال وألا يتكلموا إلا في الجهاد وبيت المقدس.

ومن هنا تعلم من الذئ خطط لاغتيال دو المساجد وأئمتها في نهضة الأمة.

لذلك إذا لم يكن أئمة المساجد لهم دور كبير في إضاعة الصلاة فإنهم بالتأكيد لهم الأثر الأكبر في عودة وإصلاح الصلاة.

ولا شك أنه من يوم أن قال النبي ﷺ للرجل «ارجع فصل فإنك لم تصل» ما زال كثير من الناس مثله ولا تحسب لهم صلاة ولا يجدون من يقول لهم ارجع فصل فإنك لم تصل. بل واللَّه إن بعض أئمة المساجد صلاتهم كصلاة ذلك الرجل ولو رآه النبي ﷺ لقال له ارجع فصل فإنك لم تصل، وهؤلاء وصفهم النبي ﷺ في مواضع كثيره بأنهم النقارون والسارقون من صلاتهم.

والعجيب أن الأئمة النقارون والسارقون من الصلاة هم الذين يترنمون بقول: « أفتان انت يا معاذ» ويلوكون علكة التخفيف ولا يتصورون بأنهم مأمورون بإعادة صلاتهم، وأن التخفيف وفتنة التطويل لا تخصهم بل تخص من يفعل فعل معاذ في قوم مثل قوم معاذ وما أبعدهم عن فعل معاذ فهم نقارون وسارقون من الصلاة ومعاذ يقرأ ما قرأ ويصلئ صلاة النبي ﷺ الطويلة في قوم أهل مهنة شاقة بعد صلاته مع النبي.

إن الإمامة رسالة، ولكن تحولت إمامة الصلاة من كونها رسالة إلئ كونها مهنة فقط! وليتها مهنة (في وقتها الحالي) لها من المكانة والمهابة والأثر الممتد مثل ما كان لها يوم أن كانت رسالة!

بل وحتئ المهنة أصبحت ممتهنة، وكثير من الأئمة لا يؤدُّون مهنتهم

كما يؤدي أصحاب المهن مهنهم بأمانة وإتقان، وبعض الأئمة اتخذ الإمامة لحظ نفسه والمنزلة عند الناس، وبعض الأئمة يأخذ أجر الإمامة مالًا حرامًا خالصًا، فلا يقوم بالإمامة إلا عابرًا، ويترك عمله لغيره. وكأن الإمامة عند الكثيرين خلعت ثوب المهابة لترتدي ثوب المهانة!

لذا تحولت الإمامة إلىٰ أداة في يد الظالمين والطغاة والفاسدين وأعداء الإسلام والمستشرقين لتؤدي أغراضهم ومصالحهم.

ولا شك أنه قد تباينت أنواع أئمة المساجد باعتبارهم الإنساني والإيماني والوظيفي، فمنهم المخلص المصلح العامل بعلمه الزاهد، ومنهم المثقف المتبرع الداعىٰ الىٰ اللَّه، وكلاهما قليل، والأكثرون منهم المسكين عديم الحيلة للرزق، ومنهم المستغل للوظيفة، ومنهم التاجر المشغول بتجارته عن وظيفته، ومنهم المتلاعب و المتاجر بوظيفته.

لذا أصبحنا في حاجه ملحة لهيئة خاصه مستقلة عن الحكم تقوم بالتوجيه والدعوة والنصح لهذه الأنواع ولا أدري بماذا سنسمىٰ هذه الهيئة لكنها خطوه لأزمة لإصلاح صلاة الأمة والأئمة.

ولا تقل لىٰ إن الأئمة الآن لهم هيئة قائمة عليهم فإن الهيئات الحالية التابعة للحكم من أسباب فساد الأئمة إلا ما رحم ربىٰ من المخلصين المصلحين الذين يعانون من جراء إخلاصهم وإصلاحهم.

كنت في مصر أقوم تطوعا بالخطابة في العديد من مساجد وزارة الأوقاف المصرية منذ ٤٠ عامًا لأن أئمة هذه المساجد الموظفين لا يقومون بالخطابة ولا الحضور، وفي يوم من أيام الجمعة حضر خطبتي

إمام المسجد وخطيبه الموظف ولم أعلم بحضوره ولا أعرفه إلا بعد الصلاة عندما جاء لسيارتي رجل ليعرض عليّ أنه يقوم بخدمات إصلاح السيارات! وأنه إمام وخطيب المسجد!!

ولا شك أن الدولة صنعت ضياع هؤلاء الأئمة، وأن المؤامرة العالمية علىٰ الإسلام صنعت ذلك.

قلت يوما لأحد وجهاء أئمة الأوقاف المصرية أنتم أشرف الناس، ومع ذلك أجر إحدىٰ الراقصات في ليلة واحدة أكبر من أجر جميع أئمة مساجد الحي في سنة!! نظر الرجل إلىٰ الأرض ولم ينطق بحرف! مغلوب علىٰ أمره، ضحية مؤامرة عالمية وواقع مرير ومجتمع مغيب عن دينه صنع الأعلام أفكاره وألهب شهواته وعجز أئمة المساجد عن القيام بدور الإصلاح والصحوة إلا من رحم ربي.

✍ المفاجأة في كلمات الشيخ محمد أبو شبهة ووصفه لأئمة المساجد

واليك نص الصدمة في مجلة البحوث الإسلامية (٣/ ١٩٤) مؤتمرات (الجزء رقم: ٢، الصفحة رقم: ٤٨٥ في كلمات الشيخ محمد أبو شبهة ووصفه لأئمة المساجد بأنهم قوم في حاجة لان يتعيشوا واوصاف صادمه من أحوال أئمة المساجد.

بعد أن ذكر الشيخ إحدىٰ عشرة رسالة للمسجد في صدر الإسلام قال في أمر المساجد والقائمين عليها اليوم:

«انحسرت رسالة المساجد وفقدت كثيرا من هذه الوظائف والخصائص وأصبح لا يغشاها إلا الضعفاء. وتحولت النظرة إلىٰ أئمة المساجد علىٰ أنهم قوم في حاجة لأن يتعيشوا. كما أن بعضهم لا يعلمون من الدين إلا قليلا...! ومن العلم الديني إلا قشورا. ولا يعلم من العلم

الدنيوي كثيرا ولا قليلا. والبعض المؤهل منهم بالإجازات والشهادات العلمية في حاجة إلىٰ إحاطة شاملة بالعلوم الإسلامية وبالثقافة الإسلامية الأصيلة، وبالاطلاع علىٰ المذاهب الفكرية، والتيارات المعاصرة التي أصبح لها دعاة مثقفون أذكياء، مرنوا علىٰ الجدال والمناقشة»

بل وجدت في الفتاوىٰ انتقاد عوام المسلمين لصلاة ائمتهم وهذه أمثلة:

من الفتاوىٰ الخاصة بالأئمة:

فتوى فضيلة الشيخ محمد بن صالح عثيمين

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد:

هناك بعض أئمة المساجد والمؤذنين لهم وظائف وفي بعض الأحيان يتخلفون عن الإمامة والأذان ويبقون في الوظيفة وأحيانا يحضرون، وبعض المرات يوكلون من يصلي أو يؤذن بدلا عنهم وبعض المرات لا يحضرون ولا يوكلون أحدهما حكم ذلك؟

أفيدونا أثابكم اللَّه.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة اله وبركاته.

الواجب علىٰ الموظف أن يقوم بواجب وظيفته سواء كانت إمامة أو أذانا أو غيرهما لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء] ولا يحل للإمام أو المؤذن أن يخل بواجب وظيفتهما.

وإذا كان الإمام أو المؤذن لا يستطيع أن يقوم بالوظيفتين فليترك

إحداهما لغيره، ولا يكلف اللَّه نفسا إلا وسعها. انتهت الفتوىٰ

ولكن يؤلمك في الفتوىٰ أن الشيخ تحدث عن الإمام والمؤذن بأنهم موظفين ولا شك أن ما قاله هو الواقع والحقيقة والقليل من هو صاحب رساله. ويؤلمك أكثر أن هذا في أغنىٰ بلد إسلامي فما بالك بحال البلاد الفقيرة والمعدمة.

فتوى أخرى

ـ كثير من إخواننا أئمة المساجد يسرعون في التراويح في الركوع والسجود إسراعا عظيما، يخل بالصلاة ويشق علىٰ الضعفاء من المأمومين، وربما أسرع بعضهم إسراعا يخل بالطمأنينة التي هي ركن من أركان الصلاة، ولا صلاة بلا طمأنينة، وإذا لم يخل بالطمأنينة فإنه يخل بمتابعة المأمومين، إذ لا يمكنهم المتابعة التامة مع هذه السرعة، وقد قال أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: «إنه يكره للإمام أن يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يسن»، فكيف وهي قد تمنعه فعل ما يجب؟!

فنصيحتي لهؤلاء الأئمة أن يتقوا اللَّه تعالىٰ في أنفسهم وفيمن خلفهم من المسلمين، وأن يؤدوا تراويحهم بطمأنينة، وأن يعلموا أنهم في صلاتهم بين يدي مولاهم يتقربون إليه بتلاوة كلامه، وتكبيره وتعظيمه والثناء عليه ودعائه بما يحبون من خيري الدنيا والآخرة، وهم علىٰ خير إذا زاد الوقت عليهم ربع ساعة أو نحوها، والأمر يسير وللَّه الحمد.

فتاوى الشبكة الإسلامية

السؤال: الحي الذي أسكن فيه لا يوجد مساجد مجاورة، إلا مسجدا للأتراك لكن المشكلة هي أن الأتراك للأسف لديهم من البدع في

الصلاة ما لا يعلم بها إلا اللَّه، والأهم أن صلاتهم ليس فيها أي روح أي أنهم يؤدون الصلاة علىٰ أنها أفعال جسديه ليس إلا (ونحن لا نتهمهم ولكن هذا الظاهر الذي نراه واللَّه الذي يعلم ما في الصدور) أعني بأفعال جسدية أي أن صلاتهم ينقرونها نقر الغراب، لا أقول أنها باطلة، لكن إذا دققت في الموضوع تماما تجد أن الإمام طبق أدنىٰ ما يوجب الاطمئنان (ما يكفيك للقول في السجود سبحان ربي الأعلىٰ ثلاث مرات متتالية بشكل سريع)، وهي بالنسبة لي سريعة، هذه هي صلاة الإمام لكن إمام المسجد كثيرا ما يغيب وهنا المشكلة، فالإمام عندما يغيب بيطلع يصلي أي واحد بدلا منه وصلاته تكون أسوأ من الإمام هذا من جهة، من جهة أخرىٰ عندما يقفون في الصلاة تكون بينهم مسافات أي أنهم لا يتراصون في الصف جنب جنب الكتف للكتف والرجل مع الرجل، عندما تنظر في الصف من بعيد تقول أن كل واحد يصلي لحاله، والسؤال هو: هل أصلي في المسجد أفضل أم في البيت؟

الفتوىٰ: الحمد للَّه والصلاة والسلام علىٰ رسول اللَّه وعلىٰ آله وصحبه، أما بعد:

فالصلاة في الجماعة في المسجد مطلوبة، فإذا كان إمام المسجد مبتدعا فإنه ينظر في بدعته، فإن كانت بدعة كفرية فلا تصح الصلاة خلفه، وإن كانت دون الكفر فينظر فإن أمكنت الصلاة خلف غيره فلا تصلي خلفه، وإن لم تمكن فلا تفوت الجماعة لكون إمام المسجد مبتدعا، بل معتقد أهل السنة أنه يصلىٰ خلف كل بر وفاجر ما دامت صلاته لنفسه صحيحة، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أخطأوا فلكم

وعليهم. وينبغي مناصحة الإمام بالرفق واللين وبيان الحق له عسىٰ اللَّه أن يهديه للحق.

وأما الطمأنينة في الصلاة فركن عند جمهور أهل العلم واختلفوا في مقدارها، والأصح أنها سكون بعد حركة بمقدار قول (سبحان اللَّه) مرة واحدة، وما دام الإمام يطيل الركوع والسجود بمقدار قول سبحان اللَّه فلا يعتبر نقرا للصلاة يمنع من الصلاة خلفه.

وأما تسوية الصف فقد أجمع العلماء علىٰ مشروعيتها في الصلاة، واختلفوا في وجوبها، فالجمهور علىٰ الاستحباب فقط، وحكي هذا إجماعا، لحديث أنس أن النبي ﷺ قال: رصوا صفوفكم، وقاربوا بينها، وحاذوا بالأعناق. رواه أبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان.

وحديث أنس أن النبي ﷺ قال: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة». رواه البخاري، وحديث النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: «لتسون صفوفكم، أو ليخالفن اللَّه بين وجوهكم». رواه البخاري ومسلم، ورواه أبو داود وأحمد بلفظ: «أو ليخالفن اللَّه بين قلوبكم». وحديث أنس أن النبي ﷺ قال: «أتموا الصف الأول، ثم الذي يليه». رواه الخمسة إلا الترمذي. وعند مخالفة الناس لهذه السنة فإنهم ينصحون وتبين لهم السنة ولا مبرر لترك الجماعة لهذا السبب. واللَّه أعلم.

قلت الحمد للَّه أن في الفتوىٰ الأخيرة قال عن الطمأنينة اختلفوا في مقدارها، وقلت لما قال إن مقدار الطمأنينة تسبيحة واحدة لا حول ولا قوة إلا باللَّه فما هو النقر إذا؟! وهذه الكلمة تسبيحة واحدة هي التي اعتبرتها من الأمثلة علىٰ أن من أسباب ضياع الصلاة فتاوىٰ بعض

المعاصرين. لأن الناس وبعض الأئمة اتخذوها مقدارا للركوع وما يقال فيه وليس مقدار الطمأنينة.

وأمر إصلاح الأئمة لم يتوقف عند فتاوىٰ العلماء فقط بل من سنين عدة تعقد المؤتمرات والندوات والدوريات عن دور المساجد والأئمة في صلاح الأمة والارتقاء بها(١)

مؤتمرات تحت عنوان: من الوسائل للارتقاء بالأئمة:

د. محمد حسين يوسف: إمام مسجد الشهداء بجاكرتا:

إن هذا العصر يتسم بالاكتشافات في العلوم والفنون والبحوث العلمية في مجالات الحياة الإنسانية من ثقافية واقتصادية وفكرية، فبمقتضىٰ هذه التطورات في الحياة البشرية يجب أن يقوم المسئولون بشأن تسيير دفة رسالة المسجد من الأئمة ومساعديهم بما يضمن لهم في إنجاح واجباتهم من تبليغ رسالة الإسلام إلىٰ المجتمع الذي سادت فيه مظاهر العصر، فيجب إعدادهم في أمور منها:

١ ـ ترقية معلوماتهم الثقافية والاجتماعية.

٢ ـ تعميقهم بروح الشريعة الإسلامية للنظر في الأمور المتجددة.

٣ ـ عقد لقاءات دورية للنظر والتشاور حول الأمور التي لها صلة برسالة الأئمة حول البيئة المتطورة.

٤ ـ عقد مؤتمرات سنوية للنظر حول مشاكل المجتمع.

هذا وبالنسبة للنهوض بمكانة الأئمة ومساعديهم اجتماعيا واقتصاديا

---

(١) رقم الفتوىٰ ٦٣٥٦٧ معدلة (٢٩٨١/٩) حد الطمأنينة في الصلاة تاريخ الفتوىٰ: ١٢ جمادي الأولىٰ ١٤٢٦

فهو أمر لا مفر منه لإنجاح رسالة المسجد وإحيائه في هذا العصر من جديد.

لقد كان من أزمة المساجد إهمالنا بشأن أئمة المساجد وإعدادهم في أداء واجباتهم اجتماعيا واقتصاديا، وذلك لعدم وجود الضمان المادي، مما يجعل الأئمة منشغلين بأمور حياتهم المادية، وهذا مما يقف في سبيل فعالية المساجد غالبا. فلا بد من مؤسسة خاصة تقوم برعاية أمور أئمة المساجد ومساعديهم. كما تقوم بتخريج الدعاة من الأئمة الأكفاء المزودين بالمعلومات الاجتماعية والثقافية، وبهذه الصورة ستنتهي إلىٰ حد ما الأزمة التي تعيشها أكثر المساجد في العالم الإسلامي خاصة، ومن هذه الناحية يبدو دور بيت المال جليا.[1]

وجاء في مجلة البحوث الإسلامية (٣/ ٢٠٢) تحت عنون» الوسائل لتحقيق رسالة المسجد اليوم«:

١ ـ إعداد الإمام الصالح... دينيا ودنيويا فاهما للإسلام والشريعة وملما بالتيارات العلمية والمذاهب الفكرية، ويتأتىٰ ذلك بما يأتي:

(أ) إعداد معاهد علمية إسلامية خاصة بالدعاة إلىٰ اللَّه (ابتدائي ـ إعدادي ـ ثانوي) مع حفظ القرآن حفظا متقنا مجودا (شرط أساسي للنجاح) مع حفظ قدر كبير من السنة النبوية بحيث يصلح المتخرج للالتحاق بكليات الدعوة عربيا وإسلاميا.

(ب) إعداد كليات الدعوة إلىٰ اللَّه في جميع البلاد الإسلامية والعربية علىٰ أن يكون القائمون بالتدريس من أهل العلم المتمعنين في الدراسات الإسلامية، والعلم بالأصلين الشريفين: القرآن والسنة،

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (الجزء رقم: ٢، الصفحة رقم: ٥٣١)

والمحيطين بالتيارات والمذاهب الفكرية في العالم كله.

(جـ) إعداد أقسام للدراسات العليا في كل قطر وبلد إسلامي وعربي للحصول علىٰ درجة التخصص الأولىٰ «الماجستير»، ثم درجة التخصص الأرقىٰ، هو الحصول علىٰ العالمية «الدكتوراه «مع توحيد المناهج في هذه الأقسام التخصصية.

وأن يشترك في وضع هذه البرامج أقطاب العلماء في العالم الإسلامي.

(د) أن يكون القائمون بالتدريس من المعروفين بالتدين الصادق.

٢ ـ أن يمنح القائمون بوظائف الإمامة والدعوة إلىٰ اللَّه المرتبات السخية التي تؤهلهم للتفرغ الكامل.

٣ ـ أن يستغل العلماء المعروفون بالعلم والصلاح والاستقامة الذين يحالون إلىٰ المعاش في وظائف الإمامة، ولو في المساجد الكبرىٰ التي يغشاها الكثيرون من المثقفين ثقافة عالية مدنية، مع مراعاة الفروق المادية التي تعطىٰ لأمثالهم من الأساتذة غير المتفرغين بالجامعات

٤ ـ أن يكون للإمام دور مهم في تثقيف أهل الحي بعقد الندوات والمحاضرات بقاعة تعد لذلك ملحقة بالمسجد.

٥ ـ أن يعمل الإمام في الحي علىٰ تمتين الصلة بينه وبين أهل حيه.

٦ ـ أن يلحق بكل مدرسة دار تعد لإمام المسجد تسهل له مهمته في إمامة الناس.

٧ ـ أن يتولىٰ إمام المسجد بكل حي رئاسة لجان المصالحات وإزالة الخصومات يخفف العبء عن المحاكم فيكتسب رضاء اللَّه ورضاء الناس.

٨ ـ أن يلـزم الأئمـة علىٰ أن يكونـوا علىٰ هـدي خـاص، وسـمت خـاص، وزي خـاص، يتسم بالـوقار، فـيكون لـه احترامه وتقديـره، وهيبته في نفوس الجماهير.

هكذا رأيت الحقائق عن الأئمة والسعي إلىٰ إصلاح الأئمة منذ زمن.

بحث «الأئمة النقارون، والاكتفاء بتسبيحة واحدة، والتخفيف»

أولا الإمام والصلاة:

لماذا لم يخبرنا أكثر الأئمة والخطباء عن صفة صلاة النبي ﷺ لكي نطبق قوله صلوا كما رأيتموني أصلي، وأن عمر بن عبد العزيز كان يسبح في الركوع والسجود عشر مرات، وأن أنس بن مالك لما صلىٰ خلفه قال: (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول اللّٰه ﷺ من هذا الغلام) يعني عمر بن عبد العزيز فحزرنا في الركوع عشر تسبيحات.

لماذا لم يخبرنا أكثر الأئمة والخطباء أن في الركوع شيئا آخر غير التسبيح، والذين أخبرونا لم يعطوا لنا الوقت في صلاتهم لكي ندعو اللّٰه أو نذكره؟

لماذا لم يخبرنا الأئمة والخطباء عن دعاء الاستفتاح وأن في الصلاة سبعة مواضع للدعاء، وكلها دعا فيها رسول اللّٰه ﷺ، فدعاء الاستفتاح، ودعاء قبل الركوع، ودعاء في الركوع، وآخر بعد ذكر الرفع من الركوع، ثم في السجود، ثم بين السجدتين، ثم قبل السلام (ذكرها ابن القيم في زاد المعاد)؟

لماذا لم يخبرونا عن درجات المصلين؟

لماذا لم يخبرونا عن الطمأنينة، عن السكينة، عن الخشوع، عن

السجود تحت العرش، عن الحضور مع القرآن والأدعية والأذكار، عن المناجاة للّه، عن التضرع، عن الكثير من مقاصد الصلاة وثمرتها؟

ليس هذا فقط بل انظر الى صلاة أكثرهم.

أولًا: في قراءة القرآن لم يعد الإمام يقرأ ما ورد في السنة من مقدار وكيفيه ومن آيات مخصوصة في وقت مخصوص، ولم يعد يقرأ القدر الأدنىٰ الوارد في النصوص، ولم يعد يقرأ بكيفية القراءة المؤثرة المعبرة والمغيرة للقلوب والنفوس.

بعض الأئمة يقرأ القرآن قراءة لا فيها قلب ولا إتقان بلسانه، ولا يرتله كما أمر اللّه تعالىٰ بقوله ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، فإن قارئ القرآن أحد أربعة، إما أن يقرأ بقلبه أو بلسانه أو بقلبه ولسانه، أو بلا قلب ولا لسان، واقصد باللسان صحة القراءة والأداء طبقًا لأحكام القراءة واقصد بالقلب الخشوع والتدبر والحضور، وقلما تجد القارئ بقلبه ولسانه.

بعض الأئمة لا يحفظ القرآن، ومن كان حفظه سابقًا من أجل الدراسة والامتحان نسيه ولا تجده يقرأ إلا بعض الآيات والسور يكررها ولا يستطيع أن يقرأ غيرها،

إن الإجابة لديهم هي: لا أحد الآن يمكنه أن يصلي صلاة النبي ﷺ، والإجابة الثانية: أن النبي ﷺ أمر ـ كما في صحيح البخاري ـ بالتخفيف، وهم أضاعوا التخفيف الذي لا نريد غيره.

ولكن الأئمة النقارون يتمسكون بقول إن تسبيحة واحدة في الركوع والسجود تتم بها الصلاة، وهو قول ليس عليه أي دليل من حديث صحيح ولا حتىٰ ضعيف، وأراه قولا فقهيا بلا دليل إلا ما اشتقوه من القول العام في الحديث «أما الركوع فعظموا فيه الرب» وما قاله بعض

الفقهاء ورد عليهم بعض الفقهاء في خلاف قديم سنعرض له.

والذي يبطل هذا القول العام أو المطلق هو قوله ﷺ العام أيضا «صلوا كما رأيتموني أصلي» ولم يرد في صلاته ﷺ تسبيحة واحدة؛ بل ورد الحديث الضعيف بثلاث تسبيحات، والأحاديث الصحيحة وأفعال الصحابة رضوان اللَّه عليهم تثبت أكثر من ثلاث تسبيحات، بل قالوا عشرة تسبيحات، قاله أنس رضي الله عنه لما صلىٰ به عمر بن عبد العزيز وأورده ابن القيم في زاد المعاد، وورد في القواعد النورانية لابن تيمية وغيرها من الكتب، كما رفض الغزالىٰ التسليم للفقهاء في كتاب الإحياء.

وليس العجب أن ترىٰ مصليًا ركوعه وسجوده تقريبا بتسبيحة واحدة، بل العجب أن ترىٰ إماما للمصلين يفعل ذلك ويحتج بقول التسبيحة الواحدة، وهو قول لا يجوز للإمام فعله ولا قوله إلا لمن تأخر ولم يدرك معه إلا تسبيحة.

لهذا ولغيره أصبح حال صلاة عامة المسلمين صلاة النقارين والسارقين من صلاتهم، وعندما تصلىٰ في المسجد ترىٰ المصلين المسبوقين معك بعد سلام الإمام يتساقطون من حولك الىٰ الركوع والسجود وأنت مازلت في قراءة الفاتحة لأنهم هكذا يصلون مع إمامهم.

ولا شك أن للأئمة التأثير الأكبر في صلاة الناس.

تأثير الأئمة في صلاة الناس إيجابا وسلبا

يقول إبراهيم السكران «ولذلك كنت أشعر أن ابن عيينة لما قال لابن جريج: (ما رأيت مصليا مثلك) فرد ابن جريج بتعقيبه القصير: (لو رأيت عطاء؟!) كنت أشعر أن جواب ابن جريج هذا يخفق بحنين الذكرىٰ لشيخه وعبادته وذكرىٰ حسن صلاته وطولها وسكونها وتؤدته

فيها، هذا الإسناد السلوكي الذي يتناقل سكون الصلاة منذ ابن جريج إلىٰ أبي بكر متلقىٰ عن رسول اللَّه، وشواهد السكون والخشوع والإطراق في صلاة رسول اللَّه كثيرة جدا، بل كل صفات صلاته لوحة باتجاه الخشوع والأخبات للَّه.

إلىٰ أن يقول «إنهم لا يروون عن بعضهم حديثا قوليا، ولا يحكون عن بعضهم صفة فعلية معينة، إنه سلوك يستنشقه التلميذ من محراب معلمه بصمت، ويورثه لتلميذه بنظير هذا الصمت، لم ينطق راوٍ عمن فوقه بكلمة، ولكنه يتزكىٰ بمن فوقه، ليزكّي من دونه، فتبدأ مصابيح الإخبات من رسول اللَّه، مرورا بأبي بكر.

ويقول: هل كنت تلك الأيام في غرارة الشباب أتوهم اكتشاف سر ما استغربه ابن كثير وعُذّال ابن القيم؟

وأن هذا الرجل الذي لاموه في طول صلاته ما علموا أنه شرح في موضع آخر كيف يُحيي المصلي الصلاة؟

أم كنت يا ترىٰ أوقف نفسي علىٰ الفارق بيننا وبين أئمة العلم والإيمان، هذا ابن القيم الذي كرّس عشر صفحات لشرح كيف يعيش المصلي هيئات وأذكار الصلاة، كرس مقابلها ستين سنة من عمره يشرح عمليا كيف يصلي المصلي.

إيهٍ يا ابن القيم، أنت تعظنا بربع العشر من عملك، ونحن نعظ الناس بقروض وديون،

فرصيد عملنا دون نفقات مواعظنا بكثير، ولذلك يبارك اللَّه في الزكاة، ولا يصلي رسول اللَّه علىٰ المدين.

ثم يقول « هذه المقارنات، وخصوصا وصف البزار لصلاة ابن تيمية، ووصف ابن كثير لصلاة ابن القيم، قادتني للاهتمام بالموضوع وتتبعه في مظانّه من كتب السلوك وكتب التراجم، فلفت انتباهي أن أهل العلم إذا طرقوا هذا الموضوع اهتمّوا بذكر صلاة «ابن الزبير»، ولم أكن في البداية مستوعبا خلفيات هذه العناية، فينقلون من أخبار صلاة ابن الزبير مشاهدات علماء جيله له، ومن نماذج ذلك: قال التابعي الجليل المحدِّث زاهد البصرة أبو محمد ثابت البناني (ت١٢٣ هـ) (كنت أمر بابن الزبير، وهو يصلي خلف المقام، كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك).

وقال التابعي الجليل إمام التفسير مجاهد بن جبر: (كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عودٌ، من الخشوع). وفي رصدٍ آخر له يقول مجاهد نفسه يصف شدة سكون ابن الزبير في الصلاة: (كان ابن الزبير أحسن الناس صلاة، كأنه خرقة).[(١)]

بحث القول بتسبيحة واحدة والتخفيف

هل صلىٰ النبي ﷺ صلاة واحده بتسبيحة واحدة؟

أولًا: لم يرد عن النبي ﷺ أنه صلىٰ بتسبيحة واحدة بل ما ورد في ثلاث تسبيحات ضعيف.

ثانيًا: القاعدة الحاكمة في هذا الباب «صلوا كما رأيتموني أصلىٰ»، وهذه هي التي رد بها ابن تيمية أقوال الفقهاء بالتسبيحة الواحدة أو التسبيحات الثلاث وتابعه ابن القيم والشوكاني والسبكي وغيرهم.

---

(١) إبراهيم بن عمر السكران: مسلكيات ١١٤ ـ ١١٥

وأما التخفيف فهو إما مفهوم عام فضفاض غير محدد ولا متفق عليه، أو مفهوم محدد ومقيد بالمقدار والأسباب والكيفية التي وردت في أحاديث النبي ﷺ.

ثالثا: ما أقوم بنقله هنا من أمهات الكتب إنما ذكره العلماء في زمانهم عن صلاتهم، وليس عن صلاتنا التي حدث فيها من التضييع والنقر في الكم، وعدم الحضور والذهول في الكيف، ولا أدرىٰ ماذا يقولون لو رأوا صلاتنا، فمن نظر إلىٰ الفارق في الزمان والديانة والصلاح علم أن الهوة بيننا وبينهم سحيقة وأننا نحتاج لمزيد جهد للإصلاح المأمول.

ولا شك أن الفقهاء الأجلاء هم ورثة النبي ﷺ وكانت صلاتهم أشبه بصلاته ﷺ

رابعا: أجمع العلماء على التخفيف واختلفوا في حكمه ومقداره.

النبي ﷺ أمر بالتخفيف وأجمع عليه العلماء، ونحن نريد التخفيف الذىٰ أمر به النبي وتصح به الصلاة لا التخفيف الذىٰ سماه نقرا أو سرقه فهذا استخفاف بالصلاة وتضييعا لها.

ونبدأ رحلة أقوال العلماء في التخفيف والتسبيح

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وأكثر أهل العلم علىٰ أن إتمام الركوع بالطمأنينة فرض، لا تصح الصلاة بدون ذلك.

قال الترمذي: العمل علىٰ هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم؛ يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود.

وقال الشافعي وأحمد وإسحاق: من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة؛ لحديث النبي ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود».

وإقامة الظهر في الركوع والسجود: هو سكونه من حركته.

وقدر الطمأنينة المفروضة: أدنىٰ سكونٍ بين حركتي الخفض والرفع عند أصحاب الشافعي، وأحد الوجهين لأصحابنا. والثاني لأصحابنا: أنها مقدرة بقدر تسبيحة واحدة»[(١)]

(قلت هنا ابن رجب يقول عن التسبيحة الواحدة انها قدر الطمأنينة المفروضة ولم يقل انها العدد المطلوب للتسبيح)

وذهب أبو حنيفة إلىٰ أن الطمأنينة ليست فرضا في ركوع ولا غيره، لظاهر قوله: ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ [الحج:٧٧]. (قلت ومن الأحناف من خالف أبا حنيفة في ذلك منهم أبو يوسف كما سيأتىٰ في قول العيني)

وللجمهور: أن الأمر بالركوع والسجود مطلقٌ، وقد فسره النبي ﷺ وبيَّنه بفعله وأمره، فرجع إلىٰ بيانه في ذلك كما رجع إلىٰ بيانه في عدد السجود وعدد الركعات، ونحو ذلك.

(قلت إن بيان النبي ﷺ بفعله وأمره هو قوله صلوا كما رأيتموني أصلي)

وفي باب الدعاء في الركوع بعد أن أورد احاديث الدعاء قال: في هذا دليل علىٰ الجمع بين التسبيح والتحميد والاستغفار في الركوع والسجود.

(قلت انتهىٰ قول ابن رجب وانظر إلىٰ قوله الجمع بين التسبيح والتحميد والاستغفار في الركوع والسجود ليتبين لك كيف أضعنا

---

(١) ابن رجب: فتح الباري (٦/ ٢٤)

الأذكار والاستغفار في الرجوع والسجود ثم أضعنا التسبيح ولم يبق منه إلا تسبيحة واحدة)

ـ وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَوْله ﷺ: (فَأَمَّا الرُّكُوع فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبّ) أَيْ سَبِّحُوهُ وَنَزِّهُوهُ وَمَجِّدُوهُ، وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِم بَعْد هَذَا الْأَذْكَار الَّتِي تُقَال فِي الرُّكُوع وَالسُّجُود، وَاسْتَحَبَّ الشَّافِعِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وَغَيْره مِنْ الْعُلَمَاء أَنْ يَقُول فِي رُكُوعه: سُبْحَان رَبِّيَ الْعَظِيم، وَفِي سُجُوده: سُبْحَان رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ، وَيُكَرِّر كُلّ وَاحِدَة مِنْهُمَا ثَلَاث مَرَّات، وَيَضُمّ إِلَيْهِ مَا جَاءَ فِي حَدِيث عَلِيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَهُ مُسْلِم بَعْد هَذَا: اللَّهُمَّ لَك رَكَعْت اللَّهُمَّ لَك سَجَدْت... إِلَىٰ آخِره. وَإِنَّمَا يُسْتَحَبّ الْجَمْع بَيْنهمَا لِغَيْرِ الْإِمَام، وَلِلْإِمَامِ الَّذِي يَعْلَم أَنَّ الْمَأْمُومِينَ يُؤْثِرُونَ التَّطْوِيل، فَإِنْ شَكَّ لَمْ يَزِدْ عَلَىٰ التَّسْبِيح، وَلَوْ اِقْتَصَرَ الْإِمَام وَالْمُنْفَرِد عَلَىٰ تَسْبِيحَة وَاحِدَة فَقَالَ: سُبْحَان اللَّه حَصَّلَ أَصْل سُنَّة التَّسْبِيح، لَكِنْ تَرَكَ كَمَالهَا وَأَفْضَلهَا،

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّسْبِيح فِي الرُّكُوع وَالسُّجُود سُنَّة غَيْر وَاجِب هَذَا مَذْهَب مَالِك وَأَبِي حَنِيفَة وَالشَّافِعِيّ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وَالْجُمْهُور، وَأَوْجَبَهُ أَحْمَد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وَطَائِفَة مِنْ أَئِمَّة الْحَدِيث لِظَاهِرِ الْحَدِيث فِي الْأَمْر بِهِ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي «وَهُوَ فِي صَحِيح الْبُخَارِيّ، وَأَجَابَ الْجُمْهُور بِأَنَّهُ مَحْمُول عَلَىٰ الِاسْتِحْبَاب، وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ الْمُسِيء صَلَاته فَإِنَّ النَّبِيّ ﷺ لَمْ يَأْمُرهُ بِهِ، وَلَوْ وَجَبَ لَأَمَرَهُ لَهُ. فَإِنْ قِيلَ: فَلَمْ يَأْمُرهُ بِالنِّيَّةِ وَالتَّشَهُّد وَالسَّلَام فَقَدْ سَبَقَ جَوَابه عَنْ شَرْحه»(١)

قلت وهنا تمسك من أضاعوا الصلاة بقول النووي «وَلَوْ اِقْتَصَرَ الْإِمَام وَالْمُنْفَرِد عَلَىٰ تَسْبِيحَة وَاحِدَة فَقَالَ: سُبْحَان اللَّه حَصَّلَ أَصْل سُنَّة

(١) النووي: شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٢٢٧

التَّسْبِيح» ، وتركوا ما قاله قبله أن التسبيح ثلاث مرات وأنه يضم اليه دعاء علىٰ بن أبىٰ طالب إذا كان منفردا وما قاله بعده « لَكِنْ تَرَكَ كَمَالهَا وَأَفْضَلهَا» والشافعي في الأم لم يقل بتسبيحة واحدة.

نص ما قاله الشافعىٰ في الأم:

قَالَ الشَّافِعِيُّ: إنْ كَانَ هَذَا ثَابِتًا فَإِنَّمَا يَعْنِي وَاَللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ أَدْنَىٰ مَا يُنْسَبُ إلَىٰ كَمَالِ الْفَرْضِ وَالِاخْتِيَارِ مَعًا لَا كَمَالِ الْفَرْضِ وَحْدَهُ وَأُحِبُّ أَنْ يَبْدَأَ الرَّاكِعُ فِي رُكُوعِهِ أَنْ يَقُولَ سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيم ثَلَاثًا وَيَقُولُ مَا حَكَيْت أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُهُ وَكُلُّ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رُكُوع، أَوْ سُجُودٍ أَحْبَبْت أَنْ لَا يُقَصِّرَ عَنْهُ إمَامًا كَانَ، أَوْ مُنْفَرِدًا وَهُوَ تَخْفِيفٌ لَا تَثْقِيلٌ «قَالَ الرَّبِيعُ إلَىٰ هَا هُنَا انْتَهَىٰ سَمَاعِي مِنْ الْبُوَيْطِيِّ».

ما جاء في كتاب ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ:

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ السَّقِيمَ، وَالضَّعِيفَ، وَالْكَبِيرَ، فَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ، فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ»(١).

«وقال ابن عبد البر: التخفيف لكل إمام أمر مجمع عليه مندوب عند العلماء إليه.

وقال أيضًا: لا أعلم بين أهل العلم خلافًا في استحباب التخفيف لكل من أم قومًا علىٰ ما شرطنا من الائتمام بأقل ما يجزئ، وساق الكلام علىٰ ذلك، وكأن الترمذي توهم الخلاف في ذلك من قول ابن

---

(١) محمد بن علىٰ الولوىٰ: ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ ١٠/ ٣٢٢

أبي شيبة في «مصنفه» في التبويب: «التخفيف في الصلاة»، «من كان يخففها»، وليس ذلك صريحًا في وجود خلاف، ولم يبوب ابن أبي شيبة على التطويل المقابل للتخفيف، ولو كان ثم قائل به لبوب عليه، وذكره.

وقد روى ابن أبي شيبة في الباب المذكور عن ثابت البناني، قال: صليت مع أنس العتمة، فتجوز ما شاء اللَّه. وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: كان أبي إذا صلى في المسجد خفف الركوع والسجود وتجوز، وإذا صلى في بيته أطال الركوع والسجود والصلاة، فقلت له؟ فقال: إنا أئمة يقتدى بنا.

وعن أبي رجاء، وهو العطاري، قال: رأيت الزبير بن العوام، صلى صلاة خفيفة، فقلت: أنتم أصحاب رسول اللَّه ﷺ أخف الناس صلاة، فقال: إنا نبادر هذا الوسواس، وعن عمار بن ياسر أنه قال: احذفوا هذه الصلاة قبل وسوسة الشيطان. وعن حذيفة أنه عَلَّمَ رجلا، فقال: إن الرجل ليخفف الصلاة، ويتم الركوع والسجود.

وعن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبيه، قال: رأيت أبا هريرة صلى صلاة تجوز فيها، فقلت له: هكذا وماج الناس، تقدم عبد الرحمن بن عوف، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر]، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر].

وعن إبراهيم النخعي أنه كان يخفف الصلاة، ويتم الركوع والسجود. وعن أبي مجلز، قال: كانوا يتمون، ويوجزون، ويبادرون الوسوسة. وعن عمرو بن ميمون، قال. ما رأيت الصلاة في موضع أخف منها فيما بين هاتين الحائطين ـ يعني مسجد الكوفة الأعظم ـ.

وعن النعمان بن قيس، قال: كُنَّ النساء إذا مررن علىٰ عَبِيدَة، وهو يصلي، قلن: خففوا، فإنها صلاة عبيدة، يعني من خفتها، رواها كلها ابن أبي شيبة.

وحكىٰ ابن حزم في «المحلىٰ» عن عمرو بن ميمون أنه قال: لو أن رجلا أخذ شاة عَزُوزًا لم يفرغ من لبنها حتىٰ أصلي الصلوات الخمس، أتِمُّ ركوعها، وسجودها. والعزوز ـ بالعين المهملة، والزاي المعجمة المكررة ـ: الضيقة الإحليلين. وعن علقمة: لو أُمِرَ بذبح شاة، فأُخذ في سلخها، لصليت الصلوات الخمس في تمام قبل أن يُفرغ منها.

ويحتمل أن ابن أبي شيبة إنما بوب علىٰ تخفيف الصلاة مع الانفراد، أو مع إمامة المحصورين، فذكر فيه من كان يؤثر تخفيفها،

المسألة الخامسة: من ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ:

في هذا الحديث أمر الأئمة بتخفيف الصلاة مراعاة لحال المأمومين. قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «جامعه»: وهو قول أكثر أهل العلم، اختاروا أن لا يطيل الإمام الصلاة مخافة المشقة علىٰ الضعيف، والكبير، والمريض. انتهىٰ. وقال ابن عبد البر: التخفيف لكل إمام أمر مجمع عليه مندوب عند العلماء إليه. وقال أيضًا: لا أعلم بين أهل العلم خلافًا في استحباب التخفيف لكل من أم قومًا علىٰ ما شرطنا من الائتمام بأقل ما يجزئ.(١)

المسألة السادسة:

قال الحافظ ولي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: هذا الأمر بالتخفيف صرح

(١) السابق ١٠/٣٢٢

أصحابنا ـ (الشافعية) ـ وغيرهم بأنه علىٰ سبيل الاستحباب، وذهب جماعة إلىٰ الوجوب، تمسكًا بظاهر الأمر. قال ابن حزم الظاهري: يجب علىٰ الإمام التخفيف إذا أم جماعة، لا يدري كيف طاقتهم.

وقال ابن عبد البر المالكي: في هذا الحديث أوضح الدلائل علىٰ أن أئمة الجماعة، يلزمهم التخفيف، لأمر رسول اللَّه ﷺ إياهم بذلك، ولا يجوز لهم التطويل؛ لأن في الأمر لهم بالتخفيف نهيًا عن التطويل. وكذا قال ابن بطال في شرح البخاري: فيه دليل علىٰ أن أئمة الجماعة، يلزمهم التخفيف، لأمر رسول اللَّه ﷺ بذلك. انتهىٰ.

قال الجامع عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُ: الراجع عندي قولُ من قال بالوجوب، عملا بظاهر الأمر، إذ ليس له صارف عن الوجوب، واللَّه تعالىٰ أعلم.

المسألة السابعة: المراد بتخفيف الصلاة

المراد بتخفيف الصلاة ـ كما قال أهل العلم ـ أن يكون بحيث لا يخلّ بسننها، ومقاصدها. وفي «الصحيحين» عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول اللَّه ﷺ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات، وبوّب النسائي، علىٰ حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [الرخصة في التطويل]. ويحتمل أن هذا ليس تطويلا، وإنما هو بيان للتخفيف المأمور به.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ـ كما نقله عنه الصنعاني في عدّته: إذا أمرهم بالتخفيف، وأمرهم أن يصلوا كصلاته في قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي» عُلم بالضرورة أن الذي كان يفعله هو الذي أمَرَ به، يوضح ذلك أنه ما من فعل في الغالب إلا ويسمىٰ تخفيفًا بالنسبة إلىٰ ما هو أطول منه، ويسمىٰ تطويلا بالنسبة إلىٰ ما هو أخف منه، فلا حد له في اللغة يُرجع إليه، وليس من الأفعال المعروفة التي

يرجع فيها إلىٰ العرف، كالحرز، والقبض، وإحياء الموات، والعباداتُ ترجع إلىٰ الشارع في مقدارها وصفاتها وهيآتها، كما يُرجع إليه في أصلها، فلو جاز الرجوع في ذلك إلىٰ عرف الناس، وعوائدهم في مسمىٰ التخفيف والإيجاز لاختلفت أوضاع الصلاة، ومقاديرها اختلافًا بينًا لا ينضبط.

ولهذا لَمَّا فهِمَ بعضُ من نكس اللَّه قلبه أن التخفيف المأمور به هو ما يمكن من التخفيف اعتقد أن الصلاة كلما خففت، وأخرت كانت أفضل، فصار كثير منهم يمر فيها مَرّ السهم، ولا يزيد علىٰ «اللَّه أكبر» في الركوع والسجود بسرعة، فيكاد سجوده يسبق ركوعه، وركوعه يكاد يسبق قراءته، وربما ظن الاقتصار علىٰ تسبيحة واحدة أفضل من ثلاث.

ويحكىٰ عن بعض هؤلاء أنه رأىٰ غلامًا له يطمئن في صلاته، فضربه، وقال: لو بعثك السلطان في شغل أكنت مبطئًا عن شغله مثل هذا الإبطاء؟ وهذا كله تلاعب بالصلاة، وتعطيل لها، وخداع من الشيطان. انتهىٰ.

قال الجامع عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُ: هذا الذي حققه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هو الراجح عندي، وإن اعترض عليه الصنعاني، وطول الكلام في الرد عليه في كتابه «العدة حاشية العمدة».

وحاصله أن ما ثبت عنه ﷺ من كيفية الصلاة، هو الذي أمر به، وقد كان يخفف أحيانًا، ويطول أحيانًا علىٰ حسب ما يراه من حال المأمومين.

فقد ثبت أنه ﷺ خفف صلاته تارة، فقرأ في صلاة العشاء بـ«التين

والزيتون» وجاء في هذا أنه كان في سفر. وقد روي عنه أنه قرأ بها في المغرب، ولم يذكر السفر، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقرأ بقصار المفصل، ولا يعارضه حديث زيد بن ثابت أنه أنكر علىٰ مروان قراءته بقصار المفصل، لأنه أنكر استمراره علىٰ ذلك، وجاء في الصحيح أنه قرأ فيها بـ«والليل إذا يغشىٰ»، وكذلك ورد أنه قرأ بها في صلاة الظهر، وكذلك صلىٰ الصبح بـ «الزلزلة» في الركعتين، وقرأ فيه أيضًا بـ«المعوذتين»، ونحو ذلك من رواية قراءته بالسور القصار.

وثبت عنه أنه طول تارة، فقرأ في المغرب بـ«المرسلات»، وبـ«الطور»، وبطولىٰ الطوليين، وظاهره أنه أتمها. وقول القاضي عياض: إن المراد ببعضها ـ خلاف الظاهر، وكان يطول بالصبح، فيقرأ في الركعتين ما بين الستين إلىٰ مائة، وصلاها بـ«المؤمنون» حتىٰ إذا وصل ذكر موسىٰ وهارون، فأخذته سَعْلَة، فركع، وقرأ فيها بـ«ق»، وقرأ فيها بـ«الطور».

وعن أبي سعيد أنهم قدّروا قراءته ﷺ في صلاة الظهر في الأوليين من الظهر بقدر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾: «السجدة»، وفي الأخريين بقدر النصف من ذلك، وجاء أنه كان يقرأ في الظهر والعصر بـ« السماء ذات البروج»، و«السماء والطارق». وصلىٰ تارة الظهر بـ«سورة لقمان»، و«الذاريات»، وقرأ فيها بـ«سبح اسم ربك الأعلىٰ»، و«الغاشية». والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وكذا ثبت عنه أنه كان سجوده وركوعه علىٰ حسب قراءته، فإذا خفف خفف، وإذا طول طول. فعلىٰ الإمام أن يقتدي به في ذلك؛ لأنه صح عنه قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وبالجملة فعلىٰ الإمام أن يراعي أحوال المأمومين، كما كان ﷺ يراعي ذلك، فقد قال: «إني لأقوم في الصلاة، فأسمع بكاء الصبي، فأوجز في صلاتي كراهية أن أشق علىٰ أمه». فإن خفي علىٰ الإمام حالهم فليخفف احتياطًا. واللَّه تعالىٰ أعلم.

المسألة الثامنة: الحكم بالتخفيف مذكور مع علته

هذا الحكم، وهو الأمر بالتخفيف مذكور مع علته، وهو كون المأمومين فيهم السقيم، والضعيف، والكبير، فإن انتفت هذه العلة، فلم يكن في المأمومين أحد من هؤلاء، وكانوا محصورين، ورضوا بالتطويل طوّل، لانتفاء العلة، قال ولي الدين رحمه الله: وبذلك صرح أصحابنا وغيرهم.

(قلت وكذلك الأمر بالتخفيف لمعاذ رضي الله عنه معه علل أخرىٰ مثل القراءة بالبقرة والنساء وآل عمران، ومثل تأخر الوقت لبعد صلاة النبي ﷺ ومثل حال القوم الذين صلىٰ بهم معاذ أنهم أهل نواضح)

وقال أيضا بعد هذا الحديث:

أَخْبَرَنَا قُتَيْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَخَفَّ النَّاسِ صَلاَةً فِي تَمَامٍ.

وأورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حديث أنس رضي الله عنه بعد حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه أمر النبي ﷺ، مَن أم الناس أن يخفف، بيانًا للمراد بالتخفيف المأمور به، فحديث أنس رضي الله عنه يفسر حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحاصل: أن التخفيف المأمور به هو الذي يكون مع إتمام الصلاة بأركانها، وواجباتها، وسننها، وآدابها، فلا يجوز للإمام أن يخفف

تخفيفًا مخلا ببعض ذلك. واللَّه تعالىٰ أعلم، وهو المستعان، وعليه التكلان.

الأئمة النقارون والانتقال من التخفيف الى الاستخفاف

(قلت قال إن من فوائد هذا الحديث): أن التخفيف المأمور به يكون مع الإتمام، ولا يجوز فيه التفريط، بحيث يخل ببعض أجزاء الصلاة، فإن ذلك ليس تخفيفًا، بل هو استخفاف بحق الصلاة، فيدخل تحت الوعيد الشديد فيمن ضيع حقوق الصلاة، وبقية مباحث الحديث تقدمت في مسائل الحديث الماضي. واللَّه تعالىٰ أعلم، وهو حسبنا، ونعم الوكيل.

الرُّخْصَةِ لِلإِمَامِ فِي التَّطْوِيلِ:

أي في هذا باب ذكر الحديث الدّالّ علىٰ التسهيل للإمام في تطويل الصلاة. والمراد الترخيص في بعض الأحيان، كما تقدم البحث عنه مستوفىٰ في الباب السابق.

والظاهر أن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ يرىٰ أن الأمر بالتخفيف المذكور في الباب السابق ليس دائمًا، بل أحيانًا يرخص له التطويل، بدليل حديث عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المذكور في الباب، وهو محمول علىٰ ما إذا علم الإمام بعدم المشقة علىٰ المأمومين، كما هو حال النبي ﷺ، وهذا هو الذي رجحناه في الباب الماضي. واللَّه أعلم.

ثم ساق بعد ذلك حديث كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالتَّخْفِيفِ، وَيَؤُمُّنَا بـ«الصَّافَّاتِ»[1]

---

(١) السابق ١٠/٣٤٦

الإخلاص غالبا ما يكون في الركوع والسجود

قال ابن الملقن (المتوفى: ٨٠٤هـ) في كتاب التوضيح لشرح الجامع الصحيح «المؤلف:

«حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ قَال: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ قَالَ رَأَىٰ حُذَيْفَةُ رَجُلًا لاَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ قَالَ: مَا صَلَّيْتَ، وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ الْفِطْرَةِ التِىٰ فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ» وكذا قول حذيفة للرجل: ما صليت. أي: صلاة كاملة. وأراد تبكيته وتوبيخه عَلَىٰ فعله ليرتدع، وإنما خص الركوع والسجود؛ لأن الإخلاص غالبًا يظهر فيهما.

- باب حَدِّ إِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالِاعْتِدَالِ فِيهِ والطمأنينة

- حَدَّثَنَا بَدَلُ بْنُ الْمُحَبَّرِ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي الْحَكَمُ عَنِ ابن أَبِي لَيْلَىٰ، عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ ﷺ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ مِنَ الرُّكُوعِ - مَا خَلاَ الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ - قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ»

وبعد أن ذكر المصنف حديث المسيء صلاته قال: «واستدل به جماعة من الفقهاء فقالوا: الطمأنينة في الركوع والسجود فرض لا تجزئ الصلاة إلا بها، ألا ترىٰ أنَّه ﷺ قَالَ له: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثمَّ علمه الصلاة وأمره بالطمأنينة.[1]

ومن أقواله عن التسبيح والاختلاف في أدناه وكماله في «شرح الطحاوىٰ»: يسبح الإمام ثلاثًا، وقيل: أربعًا؛ ليتمكن المقتضي من

---

(١) ابن الملقن عمر بن علىٰ الشافعىٰ: التوضيح لشرح الجامع الصحيح/ /١٥٤

الثلاث، وقال الروياني في «الحلية»: لا يزيد الإمام علىٰ خمس. وقال الماوردي: أدنىٰ الكمال ثلاث، والكمال إحدىٰ عشرة أو تسع، وأوسطه خمس. وفي «شرح الهداية»: إن زاد عَلَىٰ الثلاث حتَّىٰ ينتهي إلىٰ اثنتي عشرة فهو أفضل عند الإمام، وعندهما إلىٰ سبع. وعن بعض الحنابلة: الكمال أن يسبح مثل قيامه، وعن الشافعي: عشرة.

وقال علاء الدين السمرقندىٰ في كتابه تحفة الفقهاء عن حكم الطمأنينة: «فَأَما الطُّمَأْنِينَة والقرار فِي الرُّكُوع وَالسُّجُود فَلَيْسَ بِفَرْض عِنْد أبي حنيفَة وَمُحَمّد

وَقَالَ أَبُو يُوسُف وَالشَّافِعِيّ إِن الْفَرْض هُوَ الرُّكُوع وَالسُّجُود مَعَ الطُّمَأْنِينَة بِمِقْدَار تَسْبِيحَة وَاحِدَة حَتَّىٰ لَو ترك تجوز صَلَاته عِنْد أبي حنيفَة وَمُحَمّد وَعِنْدَهُمَا لَا تجوز «

قلت هنا التسبيحة الواحدة هي مقدر الطمأنينة.

قال «ويقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم ثلاثة، وذلك أدناه، وإن زاد أفضل. وقال الشافعي: يكفيه تسبيحة واحدة.

هذا إذا كان منفردا. فأما المقتدي فيسبح إلىٰ أن يرفع الامام رأسه. وإن كان إماما ينبغي أن يسبح ثلاثا»[1]

(قلت وقول الشافعي يكفيه تسبيحة واحدة سبق ذكرها في كتاب المجتبىٰ وهذه التي تمسك بها النقارون وهي أيضا التي رفضها ابن تيمية وابن القيم والغزالي والسبكي والشوكاني وغيرهم)

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي: تحفة الفقهاء (١٣٤/١)

وقال ابن قدامة في الشرح الكبير: (مسألة) (ثم يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا وهو أدنىٰ الكمال) ثم قال» وروىٰ ابن مسعود أن النبي ﷺ قال «إذا ركع أحدكم فليقل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات وذلك أدناه « ثم قال، قال أحمد جاء الحديث عن الحسن البصري أنه قال «التسبيح التام سبع، والوسط خمس، وأدناه ثلاث «وقال ويجزئه تسبيحة واحده وقال

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْكَمَالُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ؛ لِأَنَّ أَنَسًا رَوَىٰ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي كَصَلَاةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَحَزَرُوا ذَلِكَ بِعَشْرِ تَسْبِيحَاتٍ. وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابنا: الْكَمَالُ أَنْ يُسَبِّحَ مِثْلَ قِيَامِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَىٰ عَنْهُ الْبَرَاءُ قَالَ: «قَدْ رَمَقْتُ مُحَمَّدًا ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ، فَرَكْعَتَهُ، فَاعْتِدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجَلْسَتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالِانْصِرَافِ قَرِيبًا مِنْ السَّوَاءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، إلَّا أَنَّ الْبُخَارِيَّ قَالَ: مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنْ السَّوَاءِ»[(١)]

(قلت هنا فرق بين أدنىٰ الكمال ثلاث والكمال عشر والجواز واحدة)

وقال الشيخ سيد سابق في فقه السنة: «وينبغي أن لا ينقص التسبيح في الركوع والسجود عن ثلاث تسبيحات.

قال الترمذي: والعمل علىٰ هذا عند أهل العلم، يستحبون ألا ينقص الرجل في الركوع والسجود عن ثلاث تسبيحات، انتهىٰ.

وأما أدنىٰ ما يجزئ فالجمهور علىٰ أن أقل ما يجزئ في الركوع

---

(١) ابن قدامة: الشرح الكبير (١/٥٤٢)

والسجود قدر تسبيحة واحدة.

وقد تقدم أن الطمأنينة هي الفرض وهي مقدرة بمقدار تسبيحة.

وأما كمال التسبيح فقدره بعض العلماء بعشر تسبيحات لحديث سعيد بن جبير عن أنس قال: (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول اللَّه ﷺ من هذا الغلام، يعني عمر بن عبد العزيز فحزرنا في الركوع عشر تسبيحات)»[١]

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز في الإفهام في شرح عمدة الأحكام:

«ويقول: «سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي»، ويقول: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح». فالمؤمن يطمئن لا يعجل: ثلاث تسبيحات، أربع تسبيحات، خمس تسبيحات، سبع تسبيحات، حول هذا مع: «سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي»، مع الطمأنينة والركود.

وقال وقد تقدم قول عائشة رضي الله عنها: أن النبي كان إذا اعتدل بعد الركوع يطيل حتىٰ يقول القائل: قد نسي. وهكذا بين السجدتين: لا يعجل يطمئن ويعتدل، يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي، ويدعو، قال أنس رضي الله عنه: «كان النبي إذا جلس بين السجدتين اطمأن، حتىٰ يقول القائل: قد نسي»»

وقال في توضيح الأحكام من بلوغ المرام: «أما الأئمة الثلاثة: فيرون أنَّ ذلك مستحبٌّ، ليس بواجب.

(١) سيد سابق: فقه السنة (١/ ١٦٥)

قال النووي: تسبيح الركوع والسجود، وسؤال المغفرة سنة، وليس بواجب، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي. والراجح الوجوب للأمر به.»[١]

(قلت رحم اللَّه الشيخ ابن باز فهو الوحيد من المعاصرين الذى قرأت له هذا التفصيل ولم يقل بتسبيحة واحدة بل أضاف إلى التسبيح ذكر من الأذكار ولم أقرأ هذا لغيره)

وقال الشيخ السبكي في الدين الخالص بعد ذكر قول أنس ابن مالك (قال) الشوكاني: فيه حجة لمن قال إن كمال التسبيح عشر تسبيحات. والأصح أن المنفرد يزيد في التسبيح ما أراد. وكلما زاد كان أولى. والأحاديث الصحيحة في تطويله ﷺ ناطقة بهذا. وكذا الإمام إذا كان المؤتمون لا يتأذّوْن بالتطويل. والمختار أن أعلى الكمال لاينضبط بعدد. بل يكون التسبيح في الركوع والسجود على حسب طول القراءة وقصرها، لأن السنة تَقارُب الأركان.

هذا. ولم يثبت من طريق صحيح اقتصاره ﷺ على ثلاث تسبيحات في الركوع والسجود».

ثم قال السبكي (إذا علمت) هذا تعلم أن صلاة غالب أهل الزمان غير صحيحة. فإنهم لا يطمئنون ولا مقدار تسبيحة في أركان الصلاة كما هو مشاهد[٢]

(قلت سبحان اللَّه!! السبكى يعاني من إضاعة الصلاة حتى قال صلاة غالب أهل الزمان غير صحيحه)

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٢/ ٢٢٠)

(٢) محمد خطاب السبكى: الدين الخالص ٢/ ١٩٨

قلت: كيف يزهد المصلىٰ في التسبيح وقد ورد في كتاب الحاوي في الفتاوىٰ: «وَلَوْ أَنَّ ثَوَابَ تَسْبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ قُسِّمَ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَصَابَ كُلَّ وَاحِدٍ عَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا»(١)

✍ أقوال ابن القيم في الصلاة وحكم تاركها عن النقارين والسارقين من صلاتهم ومن نكس الله قلوبهم:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والعبادات يرجع إلىٰ الشارع في مقاديرها وصفاتها وهيآتها كما يرجع إليه في أصلها، فلو جاز الرجوع في ذلك إلىٰ عرف الناس وعوائدهم في مسمىٰ التخفيف والإيجاز لاختلفت أوضاع الصلاة ومقاديرها اختلافا متباينا لا ينضبط ولهذا لما فهم بعض من نكس اللَّه قلبه أن التخفيف المأمور به هو ما يمكن من التخفيف اعتقد أن الصلاة كلما خفت واوجزت كانت افضل فصار كثير منهم يمر فيها مر السهم ولا يزيد علىٰ اللَّه أكبر في الركوع والسجود بسرعة ويكاد سجوده يسبق ركوعه وركوعه يكاد يسبق قراءته وربما ظن الاقتصار علىٰ تسبيحه واحدة أفضل من ثلاث.

من الخشوع والتعظيم والقرب والمناجاة والهيبة الى النقر والرقة من الصلاة

وقال وقد علق اللَّه سبحانه الفلاح بخشوع المصلىٰ في صلاته فمن فاته خشوع الصلاة لم يكن من أهل الفلاح ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة والنقر قطعا بل لا يحصل الخشوع قط إلا مع الطمأنينة وكلما زاد طمأنينة ازداد خشوعا وكلما قل خشوعه اشتدت عجلته حتىٰ تصير حركة يديه بمنزلة العبث الذي لا يصحبه خشوع ولا اقبال علىٰ

---

(١) السيوطي: الحاوي في الفتاوىٰ ٢/ ٥٠

العبودية ولا معرفة حقيقة العبودية ،

وقال فالمصلون في الناس قليل ومقيم الصلاة منهم أقل القليل كما قال عمر رضي الله عنه الحاج قليل والركب كثير .

قال وليس من كانت الصلاة ربيعا لقلبه وحياة له وراحة وقرة لعينه وجلاء لحزنه وذهابا لهمه وغمه ومفزعا له إليه في نوائبه ونوازله كمن هي سحت لقلبه وقيد لجوارحه وتكليف له وثقل عليه فهي كبيرة علىٰ هذا وقرة عين وراحة لذلك

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

وقال : وليس حظ القلب العامر بمحبة اللَّه وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك فإذا وقف الاثنان بين يدي اللَّه في الصلاة وقف هذا بقلب مخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات السوء قد امتلأت ارجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات فيرتع في رياض معاني القرآن وخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجمالها وكمالها الاعظم وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفات كماله فاجتمع همه علىٰ اللَّه وقرت عينه به وأحس بقربه من اللَّه قربا لا نظير له ففرغ قلبه له واقبل عليه بكليته وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه فإنه سبحانه أقبل عليه أولًا فانجذب قلبه إليه بإقباله ؛ فلما أقبل علىٰ ربه حظي منه بإقبال آخر أتم من الأول(١)

(١) ابن القيم : الصلاة وحكم تاركها ص ١٩٨

الـرد علـى أدلـة المخففين لابـن القـيم مـن كـتـاب «الـصلاة وحكـم تـاركهـا»:

حكم من نقر الصلاة ولم يتم ركوعها ولا سجودها

فهذه المسألة قد شفىٰ فيها رسول اللَّه ﷺ وكفىٰ، وكذلك أصحابه من بعده فلا معدل لناصح نفسه عما جاءت به السنة في ذلك ونحن نسوق مذهب رسول اللَّه ﷺ وأصحابه في ذلك بألفاظه.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلىٰ ثم جاء فسلم علىٰ النبي ﷺ فرد عليه السلام فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثا». ثم أكمل ابن القيم حديث المسيء صلاته.

ثم قال: وعن أبي مسعود البدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تجزيء صلاة الرجل حتىٰ يقيم ظهره في الركوع والسجود»، رواه الإمام أحمد المسند وأهل السنن، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهذا نص صريح في أن الرفع من الركوع وبين السجود الاعتدال فيه والطمأنينة فيه ركن لا تصح الصلاة إلا به.

ثم ذكر حديث أبي عبد اللَّه الأشعري قال: صلىٰ رسول اللَّه ﷺ بأصحابه ثم جلس في طائفة منهم فدخل رجل منهم فقام يصلي وينقر في سجوده ورسول اللَّه ﷺ ينظر إليه فقال: «ترون هذا لو مات ما مات علىٰ ملة محمد ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم إنما مثل الذي يصلي وينقر في سجوده كالجائع لا يأكل إلا تمرة أو تمرتين فما يغنيان عنه فأسبغوا الوضوء وويل للأعقاب من النار فأتموا الركوع والسجود».

وقال أبو صالح: فقلت: لأبي عبد اللَّه الأشعري من حدثك بهذا الحديث؟ قال: أمراء الأجناد: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص

وشرحبيل بن حسنة ويزيد ابن أبي سفيان كل هؤلاء سمعه من رسول اللَّه ﷺ رواه أبو بكر ابن خزيمة في صحيحه فأخبر أن نقار الصلاة لو مات مات علىٰ غير الإسلام.

وفي صحيح البخاري عن زيد بن وهب قال: رأىٰ حذيفة رجلا لا يتم الركوع ولا السجود قال: ما صليت لو مت مت علىٰ غير الفطرة التي فطر اللَّه عليها محمدا ﷺ، ولو أخبر أن صلاة النقار صحت لما أخرجه عن فطرة الإسلام بالنقر. وقد جعل رسول اللَّه ﷺ لص الصلاة وسارقها شرا من لص الأموال وسارقها(١).

ثم قول ابن القيم عن ضياع الصلاة منذ عهد أنس بن مالك:

مقدار صلاة رسول الله ﷺ

فهي: من أجل المسائل وأهمها وحاجة الناس إلىٰ معرفتها أعظم من حاجتهم إلىٰ الطعام والشراب، وقد ضيعها الناس من عهد أنس بن مالك رضي الله عنه،

ففي صحيح البخاري من حديث الزهري قال: دخلت علىٰ أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: له ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت.

وفي الصحيحين أيضا قال: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من صلاة النبي ﷺ زاد البخاري: وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه، فوصف صلاته ﷺ بالإيجاز والتمام. والإيجاز هو الذي كان يفعله، لا الإيجاز الذي كان يظنه من لم يقف

(١) ابن القيم: الصلاة وحكم تاركها ص ١١٩ ـ ١٢٣

علىٰ مقدار صلاته؛ فإن الإيجاز أمر نسبي إضافي راجع إلىٰ السنة لا إلىٰ شهوة الإمام ومن خلفه،

فلما كان يقرأ في الفجر بالستين إلىٰ المئة كان هذا الإيجاز بالنسبة إلىٰ ست مئة إلىٰ ألف، ولما قرأ في المغرب بالأعراف كان هذا الإيجاز بالنسبة إلىٰ البقرة(١).

ثم قال: قال ثابت: كان أنسا يصنع شيئا لا أراكم تصنعونه كان إذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائما حتىٰ يقول القائل قد نسي وإذا رفع رأسه من السجدة مكث حتىٰ يقول القائل قد نسي. وأنس هو القائل هذا. وهو القائل: ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من صلاة النبي ﷺ وحديثه لا يكذب بعضه بعضا.

ومما يبين ما ذكرناه ما رواه أبو داود في سننه من حديث حماد بن سلمة أخبرنا ثابت وحميد عن أنس بن مالك قال: ما صليت خلف رجل أوجز صلاة من رسول اللَّه ﷺ في تمام، وكان رسول اللَّه ﷺ إذا قال: سمع اللَّه لمن حمده قام حتىٰ نقول قد أوهم ثم يكبر ثم يسجد وكان يباعد بين السجدتين حتىٰ نقول: قد أوهم. هذا سياق حديثه. فجمع أنس رضي الله عنه في هذا الحديث الصحيح بين الإخبار بإيجازه ﷺ الصلاة وإتمامها وبيَن فيه أن من إتمامها الذي أخبر به إطالة الاعتدالين حتىٰ يظن الظان أنه قد أوهم أو نسي من شدة الطول فجمع بين الأمرين في الحديث.

وهذا هو الذي كان يعتمده صَلَوَاتُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ في صلاته فإنه كان يعدلها حيث يعتدل قيامها وركوعها وسجودها واعتدالها ففي

---

(١) السابق ١٢٤ ـ ١٢٥

الصحيحين عن البراء بن عازب قال: رمقت الصلاة مع محمد ﷺ فوجدت قيامه فركعته فاعتداله بعد ركوعه فسجدته فجلسته بين السجدتين فسجدته فجلسته بين التسليم والانصراف قريبا من السواء.

وفي لفظ لهما: كانت صلاة رسول اللّه ﷺ قيامه وركوعه وإذا رفع رأسه من الركوع وسجوده وما بين السجدتين قريبا من السواء، ولا يناقض هذا ما رواه البخاري في هذا الحديث، كان ركوع النبي ﷺ وسجوده وما بين السجدتين وإذا رفع رأسه ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء، فإن البراء هو القائل هذا وهذا، فإنه في السياق الأول أدخل في ذلك قيام القراءة وجلوس التشهد، وليس مراده أنهما بقدر ركوعه وسجوده وإلا ناقض السياق الأول: الثاني، وإنما المراد أن طولهما كان مناسبا لطول الركوع والسجود والاعتدالين بحيث لا يظهر التفاوت الشديد في طول هذا وقصر هذا كما يفعله كثير ممن لا علم عنده بالسنة، يطيل القيام جدا ويخفف الركوع والسجود[(١)].

قال: وأما قدر قيامه للقراءة فقال أبو برزة الأسلمي: كان النبي ﷺ يصلي الصبح فينصرف الرجل فيعرف جليسه وكان يقرأ في الركعتين أو إحداهما ما بين الستين إلىٰ المئة متفق علىٰ صحته.

وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾. وكانت صلاته بعد تخفيفا[(٢)].

وأكمل ابن القيم أحاديث ما كان يقرأه ﷺ في الصلاة، ثم قال: قال المكملون للصلاة فالصلاة وضعت علىٰ هذا النحو وهذا الترتيب لا

---

(١) السابق ٥٤ ـ ١٢٦

(٢) السابق ١٢٨ ـ ١٢٩

يمكن أن يحصل ما ذكرناه من مقاصدها التي هي جزء يسير من قدرها وحقيقتها إلا مع الإكمال والإتمام والتمهل الذي كان رسول اللَّه يفعله، ومحال حصول ما ذكرناه مع النقر والتخفيف الذي يرجع إلىٰ شهوة الإمام والمأمومين، ومن أراد أن يصلي هذه الصلاة الخاصة فلا بد له من مزيد تطويل وأما الصلاة الحرجية فلا تتوقف علىٰ ذلك.

وأما استدلالكم بأحاديث الأمر بالإيجاز فقد بينا أن الإيجاز هو الذي كان يفعله وعليه دوام حتىٰ قبضه اللَّه إليه فلا يجوز غير هذا البتة.

وأما قراءته في الفجر بالمعوذتين فهذا إنما كان في السفر كما هو مصرح به في الحديث، والمسافر قد أبيح له أو أوجب عليه قصر الصلاة لمشقة السفر، فأبيح له تخفيف أركانها، فهلا عملتم بقراءته في الحضر بمئة آية في الفجر.

وأما قراءته صلاة اللَّه عليه وسلامه بسورة التكوير في الفجر فإن كان في السفر فلا حجة لكم فيه، وإن كان في الحضر فالذي يحكىٰ عنه ذلك روىٰ عنه أنه كان يقرأ فيها بالستين إلىٰ المئة وبسورة ق ونحوها فإنه كان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها فيخففها لعارض من بكاء صبي وغيره

وأما حديث تسبيحه في الركوع والسجود ثلاثا فلا يثبت والأحاديث الصحيحة بخلافه، وهذا السعدي مجهول لا تعرف عينه ولا حاله، وقد قال أنس: إن عمر بن عبدالعزيز كان أشبه الناس صلاة برسول اللَّه، وكان مقدار ركوعه وسجوده عشر تسبيحات، وأنس أعلم بذلك من السعدي عن أبيه أو عمه لو ثبت، فأين علم من صلىٰ مع النبي عشر

سنين كوامل إلىٰ علم من لم يصل معه إلا بتلك الصلاة الواحدة أو صلوات يسيرة؟

فإن عم هذا السعدي أو أباه ليس من مشاهير الصحابة المداومين الملازمة لرسول اللَّه كملازمه أنس والبراء بن عازب وأبي سعيد الخدري وعبداللَّه بن عمر وزيد بن ثابت وغيرهم ممن ذكر صفة صلاته وقدرها، وكيف يقوم بعد الركوع حتىٰ يقولوا قد نسي ويسبح فيه ثلاث تسبيحات فيجعل القيام منه بقدرة أضعافا مضاعفة وكذلك جلوسه بين السجدتين حتىٰ يقولوا قد أوهم.

ولا ريب أن ركوعه وسجوده كان نحوا من قيامه بعد الركوع وجلوسه بين السجدتين حتىٰ تكرهوا إطالتها ويغلو من يغلو منكم في بطل الصلاة بإطالتها، وقد شهد البراء بن عازب أن ركوعه وسجوده كان نحوا من قيامه، ومحال أن يكون مقدار ذلك ثلاث تسبيحات ولعله خفف مرة لعارض فشهده عم السعدي أو أبوه فأخبر به.(١)

وقد حكم النبي أن طول صلاة الرجل من فقهه وهذا الحكم أولىٰ من الحكم له بقلة الفقه فحكم رسول اللَّه هو الحكم الحق وما خالفه فهو الحكم الباطل الجائز الصلاة، فروىٰ مسلم في صحيحه(٢) من حديث عمار بن ياسر قال قال رسول اللَّه إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة عن فقهه فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة والمئنة العلامة

وعند سراق الصلاة أن العجلة فيها من علامات الفقه، فكلما سرق ركوعها وسجودها وأركانها كان ذلك علامة فضيلته وفقهه

---

(١) السابق ص ١٥٣ ـ ١٥٥

(٢) مسلم رقم: ٨٦٩

وفي صحيح بن حبان[١] وسنن النسائي[٢] عن عبداللّه بن أبي أوفىٰ قال كان رسول اللّه ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف المشي مع الأرملة والمسكين فيقضىٰ له الحاجة.

فهذا فعله وذاك قوله في مثل صلاة الجمعة التي يجتمع لها الناس وكان يقرأ فيها سورة الجمعة والمنافقين كاملتين[٣] ولم يقتصر علىٰ الثلاث الآيات من آخرهما في جمعة واحدة أصلا فعطل كثير من الناس سنته فاقتصر علىٰ آخرهما ولم يقرأ بهما كاملتين أصلا

وكذلك كان يقرأ في فجر يوم الجمعة سورة الم تنزيل السجدة و سورة هل اتىٰ علىٰ الإنسان كاملتين في الركعتين مع قراءته المترسلة علىٰ مهله وتأن البخاري[٤] ومسلم[٥] فعطل كثير من الأئمة ذلك واقتصروا علىٰ هذه وهذه وعلىٰ إحدىٰ السورتين في الركعتين ومن يقرأ بهما كاملتين فكثير منهم يقرأ بهما بسرعة وهذا مكروه للإمام

وكل هذا فرار من هديه فإن جاءهم حديث صحيح خالف ما ألفوه واعتادوه قالوا هذا منسوخ أو خلاف الإجماع، والمعيار علىٰ ذلك عندهم مخالفة أقوالهم.

ولو كانت أحاديث التطويل منسوخة لكان أصحاب رسول اللّه أعلم بذلك ولما احتجوا بها علىٰ من لم يعمل بها ولا عمل بها أعلم الأمة به وهم الخلفاء الراشدون.

---

(١) صحيح ابن حبان رقم: ١١٢٩

(٢) سنن النسائي رقم ١٤١٤

(٣) مسلم رقم: ٨٧٧

(٤) البخارىٰ رقم: ٨٩١

(٥) مسلم رقم: ٨٨٠

فهذا صديق الأمة وشيخ الإسلام صلىٰ الصبح فقرأ البقرة من أولها إلىٰ آخرها وخلفه الكبير والصغير وذو الحاجة فقالوا له يا خليفة رسول اللَّه كادت الشمس تطلع فقال لو طلعت الشمس لم تجدنا غافلين[(١)]

ومضىٰ علىٰ منهاجه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وكان يقرأ في الفجر بالنحل ويوسف وبهود ويونس وبني اسرائيل سورة الإسراء ونحوها من السور[(٢)]

وقد تقدم حديث عبداللَّه بن عمر كان رسول اللَّه يأمر بالتخفيف ويؤمنا بالصافات فالذي فعله هو الذي أمر به.

وقد تقدم حكاية الذكر والدعاء الذي كان يقوله في ركن الاعتدال من الركوع، وأنه كان يطيله حتىٰ يقول من خلفه قد أوهم، وتقدم حديث أبي سعيد في دخوله في صلاة الظهر فيذهب الذاهب إلىٰ البقيع فيقضي حاجته ويأتي أهله فيتوضأ ثم يأتي المسجد فيدركه في الركعة الأولىٰ فيا للعجب للذي حرم الاقتداء به في ذلك أو جعله مكروها!!

ونحن نقول كلا والذي بعثه بالحق إن الاقتداء به في ذلك مرضاة اللَّه ورسوله وإن تركها من تركها.

وأما حديث سعيد بن عبدالرحمن ابن أبي العمياء[(٣)] ودخول سهيل بن أبي أمامة علىٰ أنس بن مالك فإذا هو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فقال إنها لصلاة رسول اللَّه، فهذا مما تفرد به ابن أبي العمياء وهو شبه المجهول، والأحاديث الصحيحة عن أنس كلها تخالفه كيف

---

(١) الموطأ ١/٨٢

(٢) الموطأ ١/٢٨

(٣) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٠٤

يقول أنس هذا وهو القائل إن أشبه من رأىٰ صلاة برسول اللَّه عمر بن عبدالعزيز وكان يسبح عشرا عشرا، وهو الذي كان يرفع رأسه من الركوع حتىٰ يقال قد نسي، وكذلك ما بين السجدتين ويقول ما آلو أن أصلي لكم صلاة رسول اللَّه، وهو الذي يبكي علىٰ إضاعتهم الصلاة.

ويكفي في رد حديث ابن أبي العمياء ما تقدم من الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا مطعن في سندها، ولا شبهة في دلالتها فلو صح حديث ابن أبي العمياء وهو بعيد عن الصحة لوجب حمله علىٰ أن تلك صلاة رسول اللَّه للسنة الراتبة كسنة الفجر والمغرب والعشاء وتحية المسجد ونحوها لا أن تلك صلاته التي كان يصليها بأصحابه دائما، وهذا مما يقطع ببطلانه وترده سائر الأحاديث الصحيحة الصريحة ولا ريب أن رسول اللَّه كان يخفف سنة الفجر حتىٰ تقول عائشة أم المؤمنين هل قرأ فيها بأم القرآن(١)، وكان يخفف الصلاة في السفر حتىٰ كان ربما قرأ في الفجر بالمعوذتين(٢)، وكان يخفف إذا سمع بكاء الصبي.(٣)

فالسنة التخفيف حيث خفف والتطويل حيث أطال والتوسط غالبا

فالذي أنكره أنس هو التشديد الذي لا يخفف صاحبه علىٰ نفسه مع حاجته إلىٰ التخفيف ولا ريب أن هذا خلاف سنته وهديه.

وأما حديث معاذ وقوله أفتان أنت يا معاذ فلم يتعلق السراق منه إلا بهذه الكلمة ولم يتأملوا أول الحديث وآخره فاسمع قصة معاذ:

---

(١) البخاري رقم ١١٦٥ مسلم رقم/ ٢٤

(٢) مسند أحمد ٤ /١٥٣ ـ ١٥٠ أبو داود رقم ١٤٦٢

(٣) البخاري رقم/٠٨ مسلم رقم ٤٦٩

فعن جابر بن عبد اللَّه قال أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذ يصلي فترك ناضحيه وأقبل إلىٰ معاذ فقرأ سورة البقرة أو النساء فانطلق الرجل وبلغه أن معاذا نال منه فأتىٰ رسول اللَّه يشكوا إليه معاذا فقال النبي ﷺ: أفتان أنت أو قال أفاتن أنت ثلاث مرات فلولا صليت بسورة سبح اسم ربك الأعلىٰ وسورة والشمس وضحها والليل إذا يغشىٰ فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة رواه البخاري ومسلم ولفظه للبخاري.

✍ دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه

وقال بعض السلف دين اللَّه بين الغالي فيه والجافي عنه، وقد مدح تعالىٰ اهل التوسط بين الطرفين المنحرفين في غير موضع من كتابه فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء] وقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء] فمنع ذي القربىٰ والمسكين وابن السبيل حقهم انحراف في جانب الإمساك، والتبذير انحراف في جانب البذل، ورضاء اللَّه فيما بينهما ولهذا كانت هذه الأمة أوسط الأمم وقبلتها أوسط القبل بين القبلتين المنحرفتين، والوسط دائما محمي الأطراف أما الأطراف، فالخلل إليها أسرع كما قال الشاعر:

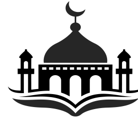
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتىٰ أصبحت طرفا

حجة المخالفين التي انقلبت حجة عليهم

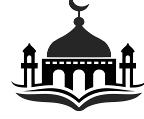
وأما قولهم إن محبة الصحابة لرسول اللَّه ﷺ ولصوته وقراءته

يحملهم علىٰ احتمال إطالته فلا يجدون بها مشقة، فلعمر اللَّه إن الأمر كما ذكروا، بل حبهم له يحملهم علىٰ بذل نفوسهم وأموالهم بين يديه، وعلىٰ وقاية نفسه الكريمة بنفوسهم، فكانوا يتقدمون إلىٰ الموت بين يديه تقدم المحب إلىٰ رضاء محبوبه، ولعمر اللَّه هذا شأن أتباعه من بعده إلىٰ يوم القيامة، لا تأخذهم في متابعة سنته لومة لائم ولا يثنيهم عنها عذل عاذل، فهم يحتملون في متابعته والاهتداء بهديه لوم اللائمين وطعن الطاعنين ومعاداة الجاهلين: الذين رضوا من سنته بآراء الرجال بدلا، وتمسكوا بها فلا يبغون عنها حولا، وعرضوا عليها نصوص السنة والقرآن عرض الجيوش علىٰ السلطان فما وافقها قبوله وما خالفها تلطفوا في رده بأنواع التأويل فمرة يقولون هذا متروك الظاهر، ومرة يقولون لا يعلم له قائل، ومرة يقولون هو منسوخ، ومرة يقولون متبوعنا أعلم به منا، وما خالفه إلا وقد صح عنده ما يقتضي مخالفته.

فأتباعه في مجاهدة هذه الفرق دائبون، وعلىٰ متابعة سنته دائرون، فإن كان قد غاب عن أعينهم شخصه الكريم فقد شاهدوا ببصائرهم ما كان عليه الهدي المستقيم.







فقه الصلاة وضبطها



المقدمة:

ولأن الصلاة هي الركن الجامع لأركان الإسلام وعماد الدين الذي يقوم عليه بنيانه، والنور والبرهان علىٰ العبودية للرحمن، اختصها اللَّه ﷻ في القرآن بأكثر من مائة آية، وزادها النبي ﷺ بما لا يُحصىٰ من أحاديث الفقه والترغيب والترهيب والبيان. وجاء من بعده العلماء والفقهاء، فبنوا لها صرحًا جمعوا فيه من الحقائق والدقائق والرقائق، والقواعد والأصول، والمقاصد، والشروط، والأركان والواجبات، والسنن، والمباحات، والمكروهات والبدع والمبطلات.. بالشرح والبيان بإتقان.

وقد خُصِّص للصلاة أكثر من ربع الفقه الإسلامي في أمهات كتب الفقهاء، بخلاف الآلاف من الكتب المؤلَّفة في الصلاة وحدها.

ومع هذه المكانة والرصانة والهيبة، اشتكت المساجد وبكت المحاريب من سوء صلاتنا، بل ومن جهلنا بفقهها ومقاصدها، إلّا من رحم ربي.

ولعلّك ترىٰ أنه منذ سنوات، كان اهتمام الشيوخ والدعاة هو دعوة الناس إلىٰ الصلاة، والخطاب الموجّه خاصة إلىٰ تارك الصلاة، وكل هذا طبيعي؛ لأن أكثر الأمة كانوا تاركين للصلاة. غير أنّ النادر من العلماء والدعاة والأئمة من تناول الفقه تفصيلًا، والمقاصد تطبيقًا.

إنّ فقه الصلاة محفوظ في صدور العلماء وكتبهم، ويحفظه جيدًا حتىٰ الصغار والكبار من طلبة المعاهد والمدارس الدينية حتىٰ يتخرجوا، ثم بعد التخرج قد يُنسىٰ أو لا يُطبَّق، وأما المصلّي المسلم، مهما كان تفوقه ونبوغه العلمي في حياته الدنيوية، فمجرد معرفته غائبة، وتطبيقه كذلك، وأكثر المسلمين الملتزمين بالصلاة، وحتىٰ الأكثر تدينًا منهم بالسنن الشكلية، لا يعرفون مجرد المسميات الأساسية لفقه الصلاة: الشروط، والأركان، والواجبات، والمستحبات، والمباحات، والمكروهات، والبدع، والمبطلات؛ وتبعًا لذلك لا يعرفون الفرق بينها ولا يضبطون صلاتهم بها.

وقد قال لي أحد الدعاة من المتطوعين في الدعوة: ظللت أعظ وأخطب علىٰ المنابر، ولي تلاميذ وأتباع أكثر من عشر سنوات، وأنا لا أعلم هذا السرد ولا التفصيل، أن:

- **أركان** الصلاة أربعة عشر.
- **وشروطها** أحد عشر.
- **وواجباتها** سبعة.
- **وسننها** كثيرة علىٰ اختلاف بين العلماء، وهي أكثر من عشرين.
- **ومكروهاتها** كذلك أكثر من عشرين.
- **ومبطلاتها** أكثر من اثني عشر في الكتب فقط، وظهرت حديثًا مبطلات لم تُذكر في كتب الفقهاء، بل ولم يتصوّرها العلماء قديمًا.
- وأما **البدع**، فحدّث ولا حرج! فلكل قطر وبلد وقرية ومسجد بدعه الخاصة به.

إن من أسوأ ما في الأمة الآن: الانفصال بين العلم المدفون في الصدور والقابع على الأرفف في الكتب، وبين حياة المسلمين التي يعيشونها. والأسوأ أن هذا في أعظم أمر في الإسلام: **الصلاة.**

وقد آن للخطباء والأئمة أن يقوموا بواجب الوقت، وأن ينهضوا بأفراد الأمة لإصلاح صلاتهم.

ولنبدأ بإزاحة الستار الحاجب بيننا وبين ضبط الصلاة بملخص فقهي، مع مراعاة الآتي:

• الأحكام الفقهية للصلاة فيها اختلافات بسيطة بين الفقهاء في الأصول؛ فمثلًا الجمهور عندهم أن الواجب هو الفرض، خلافًا للأحناف؛ فالواجب عندهم دون الفرض.

• الخلاف بين العلماء في الفروع معتبر، والكل مأخذه من النبي ﷺ، والمرجع في صحة الاجتهاد إلى صلاته ﷺ، كما قرّر ابن تيمية في قاعدته الذهبية السابقة.

• يجب مراعاة ما جرى به العمل في كل مكان إذا كان مما يتسع له الخلاف بين العلماء، ولا يخالف صلاة النبي ﷺ، درءًا للمفاسد والفتن بين المصلين.

• البدع في الصلاة تختلف من قطر لقطر، ومن بلدة لبلدة، بل ومن مسجد لمسجد مجاور.

• المذكور من البدع هنا ما شاع عندنا، ويوجد خلاف في بعضها بين كونها بدعة أو غير ذلك، وكل إمام في مسجده أدرى ببدع مسجده وبلده.

التعريف المختصر للأحكام بالنسبة للصلاة:

ـ الشرط هو ما يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، كالطهارة، فإنها شرط لصحة الصلاة، فإذا عدمت عدمت الصحة، ولا يلزم من وجود الطهارة صحة الصلاة ولا عدم صحتها.

ـ والركن جزء الماهية، وإن شئت جزء الذات كالركوع والسجود بالنسبة للصلاة.

ـ والواجب فعل المكلف الذي أمره اللَّه تعالىٰ به علىٰ سبيل الإلزام، وإن شئت فقل هو فعل المكلف الذي يذم شرعًا تاركه قصداً.

ـ والمستحب أو المندوب هو ما أمر به الشارع لا علىٰ وجه الإلزام، فيثاب فاعله ولا يأثم تاركه.

ـ والمكروه هو ما نهي عنه الشارع لا علىٰ وجه الإلزام فيثاب تاركه امتثالا ولا يأثم فاعله.

ـ والمبطلات هي جمع مبطل وهو ما يفسد الشئ أو يبطل حكمه.

ـ والبدع جمع بدعة وهي طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد للَّه سبحان، أو هي: خلاف السنة اعتقاداً وعملاً وقولاً.

وهذة هي الأحكام الغالب الاتفاق عليها.

✍ أوَّلًا: شروط الصلاة:

شروط الوجوب:

١- الإسلام.

٢- العقل.

٣- البلوغ.

٤- شرط زائد للمرأة: النقاء من دم الحيض والنفاس.

شروط الصحّة:

١- الطهارة.

٢- استقبال القبلة.

٣- النيّة.

٤- ستر العورة.

٥- دخول الوقت.

٦- ترك مبطلات الصلاة.

٧- العلم بالكيفية: أي أن يعلم فرائضها، فلا يُؤدّي سنّة وهو يظنّ أنّها ركن، ولا يترك ركنًا من الأركان عن جهل؛ فالعلم بكيفية الأداء والأركان والشروط واجبٌ لصحّة الصلاة.

ثانيًا أركان الصلاة:

١ ـ النية.

٢ ـ تكبيرة الإحرام.

٣ ـ القيام مع القدرة في الفرض.

٤ ـ قراءة الفاتحة في كل ركعة.

٥ ـ الركوع.

٦ ـ القيام من الركوع.

٧ ـ السجود.

٨ ـ الجلوس بين السجدتين.

٩ ـ الطمأنينة في الجميع.

١٠ ـ الجلوس للتشهد الأخير.

١١ ـ التشهد الأخير.

١٢ ـ الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير.

١٣ ـ التسليم.

١٤ ـ الترتيب بين الجميع.

وعند المالكية ستة عشر ركنا

وما عدا هذه الأركان فهو قسمان:

الأول: واجبات.

الثاني: سنن.

وهذا التقسيم مذهب الحنفية والحنابلة، وبينهم اختلاف في تحديد الواجبات والسنن.

ثالثًا: واجباتها

١ . جميع التكبيرات عدا تكبيرة الإحرام لأنها ركن.

٢ . قول سبحان ربي العظيم في الركوع.

٣ . قول سبحان ربي الأعلى في السجود.

٤ . قول سمع اللَّه لمن حمده للإمام والمنفرد .

٥ . قول ربنا ولك الحمد للمأموم .

٦ . الدعاء بين السجدتين .

فهذه هي واجبات الصلاة ، **والفرق بين الركن والواجب في** الصلاة أن الركن إذا تركه المصلي سهوا أو نسيانا ثم ذكر ، فيجب عليه أن يأتي به ، ويسجد للسهو .

وأما **الواجب** ، فلا يجب عليه الإتيان به إذا تجاوز محله ، ويجبره سجود السهو .

✍ رابعًا : سنن الصلاة :

١ . رفع اليدينِ .

٢ . وضع اليد اليُمنىٰ علىٰ اليسرىٰ فوق الصدر .

٣ . نظر المصلي يكون إلىٰ مكان سجوده .

٤ . دعاء الاستفتاح .

٥ . الاستعاذة قبل قراءة الفاتحة .

٦ . قول آمين عقب الفاتحة

٧ . القراءة بعد الفاتحة .

٨ . التسبيح في الركوع والسجود .

٩ . ذِكر اللَّه تعالىٰ عقب الرفع مِن الركوع .

١٠ . الدعاء بين السجدتينِ .

١١ . جَلسة الاستراحة .

١٢ . افتراش القدم اليسرىٰ ونصب اليُمنىٰ عند التشهد الأول، ونصب القدم اليمنىٰ والجلوس علىٰ المقعدة عند التشهد الأخير.

١٣ . الاعتماد علىٰ الأرض باليدينِ عند القيام للركعة التالية.

١٤ . الإشارة بالسبَّابة اليُمنىٰ في التشهد مِن أوله إلىٰ آخره.

١٥ . الدعاء عقِب التشهد الأخير.

١٦ . التسليمة الثانية: التسليمة الأولىٰ ركنٌ من أركان الصلاة، وأما التسليمة الثانية فهي سنَّة.

١٧ . تكبيرات الانتقال عند الخَفْض والرفع.

١٨ . اتخاذ سُترة أمام المصلي.

١٩ . الأذكار عقب الصلاة.

✍ خامسًا: مكروهات الصلاة

١- عبث المصلي بثوبه أو ببدنه إلا إذا دعت إليه الحاجة.

٢- رفع البصر إلىٰ السماء.

٣- الالتِفَاتُ لغير حاجة.

٤- النظرُ إلىٰ ما يُلهِيهِ عن الصلاة.

٥- (التَّخَصُّرُ (وهو وضع اليد علىٰ الخاصرة.

٦- تغميض العينين: لأنه يشبه فعل المجوس عند عبادتهم النيران، وقيل: يشبه فعل اليهود أيضا، وقد نهينا عن التشبه بالكفار.

٧- التمطي وهو التمغط في الصلاة، فهو عمل ينافي الخشوع، ومعنىٰ التمطىٰ أو التمغط حركات التمدد المصحوبة غالبا بالتثاؤب،

تحدث عادةً عند الاستيقاظ من النوم أو بعد فترات من الخمول.

٨- افتراش الذراعين في السجود كانبساط الكلب أو افتراش السبع.

٩- تغطية الفم التلثم والسدل، والسدل إرسال الثوب حتىٰ يصيب الارض، أو لبس الثوب من غير إدخال اليدين في كمه.

١٠- اشتمال الصَّمَّاء: أي أن يلتحف بالثوب ولا يجعل ليديه مخرجا؛ وقيل معناه: أن يشتمل بثوب ليس عليه غيره، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه علىٰ أحد منكبيه.

١١- كَفُّ الشعر والثوب (ومنه تشمير الأكمام).

١٢- البصاق في جهة القبلة أو عن اليمين لمن يصلي في فلاة.

١٣- تشبيك الأصابع.

١٤- فرقعة الأصابع.

١٥- التطبيق في الركوع: وهو جعل بطن الكف علىٰ بطن الكف الأخرىٰ ووضعهما بين الركبتين والفخذين في الركوع.

١٦- قراءة القرآن في الركوع والسجود.

١٧- وضع اليد علىٰ الأرض في الجلوس في الصلاة إلا لعذر.

١٨- جلسة الإقعاء: ويعني (إلصاق الإليتين بالأرض ونصب الساقين ووضع اليدين علىٰ الأرض).

١٩- التثاؤب في الصلاة من دون منعه بإطباق الشفتين أو الأسنان أو بوضع اليد علىٰ الفم.

٢٠- الاشارة باليدين عند السلام.

٢١- الصلاة بحضرة الطعام.

٢٢- الصلاة مع مدافعة الأخبثين، والأخبثان هما: البول والغائط.

٢٣- الصلاة عند مغالبة النوم.

٢٤- التزام مكان خاص من المسجد للصلاة فيه غير الإمام.

سادسًا: مبطلات الصلاة:

١- حدوث ما يَنْقُضُ الوضوء.

٢- كشف العورة: فإذا انكشفت العورة عمدا، بطلت الصلاة، وإذا انكشف منها جزء كبير وطال الزمن بغير عمد بطلت الصلاة.

٣- استِّدْبار القبلة: لأنه شُرِطَ استقبالها لصحة الصلاة، فإن كان عالما عامدا بطلت صلاته.

٤- الزِّيادة في الأركان أو النقص منها عمدا.

٥- تقديم بعض الأركان علىٰ ما قبلها.

٦- فَسْخُ النية أو تغييرها.

٧- ترك شرط من شروط الصلاة أو ركن من أركانها بدون عذر.

٨- الكلام عمدا لغير مصلحة الصلاة.

٩- العمل الكثير عمدا.

١٠- الأكل والشرب عمدا.

١١- مسابقة الإمام عمدا.

١٢- الضحك بصوت: وهو القهقهة، فإنه يبطلها بالإجماع، لأنه

كالكلام بل أشد، ولما في ذلك من الاستخفاف والتلاعب المنافي لمقصود الصلاة.

✍ سابعًا: البدع في الصلاة وبعض التنبيهات:

١ . الجهر بالنية للصلاة.

٢ . القعود قبل صلاة تحية المسجد.

٣ . اتخاذ الرجل مكانا معينا في المسجد، لا يصلىٰ إلا فيه.

٤ . عدم تحريك اللسان عند تكبيرة الإحرام و الركوع و الاعتدال منه و عند الوقوف من التشهد الأول.

٥ . رفع الصوت بتكبيرة الإحرام.

٦ . رفع الصوت بقراءة القرآن و الأذكار أثناء الصلاة.

٧ . عدم إقامة الصلب بعد التكبيرة و عدم الاستعاذة قبل قراءة الفاتحة.

٨ . تحريك النظر يمنة او يسرة أو أىٰ جهة. السنة أن ينظر المصلىٰ إلىٰ موضع السجود.

٩ . كثرة الحركة (في الأنف، أو حك الرأس، أو تعديل الغُترة، أو فرقعة الأصابع و غيرها).

١٠ . نقر الصلاة و الإسراع في أدائها و عدم الطمأنينة، وبعض العلماء يعتبر هذا من مبطلات الصلاة.

١١ . مسابقة الإمام في الصلاة.

١٢ . الركض أو الجرىٰ لإدراك الجماعة.

١٣ . بعض الناس إذا دخل و الإمام راكع تنحنح أو قال إن اللَّه مع الصابرين .

١٤ . انتظار الإمام إن كان ساجدا حتىٰ يرفع ، أو جالسا حتىٰ يقوم و عدم الدخول معه في الصلاة إلا إذا كان قائما أو راكعا .

١٥ . بعض المصلين إذا رفع من الركوع رفع يديه علىٰ هيئة الدعاء ، و السنة يرفع يديه حذو منكبيه ، أو إلىٰ أطراف أذنيه .

١٦ . زيادة لفظ (و الشكر) عند قولهم (ربنا و لك الحمد) عند الاعتدال من الركوع .

١٧ . زيادة لفظ (سيدنا) في التشهد أو في الصلاة علىٰ رسول اللَّه ﷺ .

١٨ . زيادة لفظ (حقا) بعد أن يقول المؤذن في آخر إقامة الصلاة (لا إله إلا اللَّه) .

١٩ . أن يقوم المصلىٰ لقضاء ما فاته من الصلاة قبل أن يكمل الإمام (التسليمتين) الأولىٰ و الثانية .

٢٠ . الإشارة باليد اليمنىٰ جهة اليمين ، و باليد اليسرىٰ جهة الشمال عند التسليمتين .

٢١ . هز الرأس عند السلام من الصلاة ، (رفع الرأس ثم خفضها)

٢٢ . مصافحة المصلىٰ لمن يجلس بجانبه ، عقب الصلاة ن و قول (تقبل اللَّه) أو (حرما) .

٢٣ . انتظار المصلين للمؤذن في صلاة الجمعة حتىٰ ينهىٰ الآذان الثاني ثم يصلون ، و الأولىٰ عليهم أن يصلوا ركعتي المسجد فور دخولهم المسجد ، و لا ينتظرون انتهاء الآذان .

٢٤. أداء النافلة و قد أقيمت الصلاة.

٢٥. ترك الإقامة لمن فاتته الجماعة.

٢٦. الجري في المسجد و الركض لإدراك الركعة.

٢٧. تشبيك الأصابع، و قد نهىٰ الرسول ﷺ عن تشبيك الأصابع من بعد الوضوء، و حتىٰ الانتهاء من الصلاة.

٢٨. إحداث صف جديد قبل اكتمال الصف الذي قبله.

٢٩. الخروج من المسجد عند الآذان.

٣٠. إذا جاء المصلىٰ و الإمام راكع، فإنه يكبر تكبيرة الإحرام و هو منحنىٰ إلىٰ الركوع و الواجب عليه أن يكبر و هو قائم غير منحنىٰ الظهر.

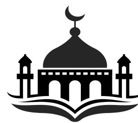
٣١. يجب علىٰ المصلىٰ عند دخوله للصلاة و الإمام راكعا، عليه أن يكبر تكبيرتين تكبيرة الإحرام تكبيرة الركوع.

٣٢. رفع المصلين أيديهم بالدعاء عند جلوس الإمام بين الخطبتين في صلاة الجمعة.

٣٣. رفع المصليين أيديهم تأمينا (آمين) عند دعاء الإمام في خطبة الجمعة.

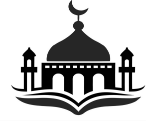
٣٤. مسح الوجه بعد الدعاء.

٣٥. رفع اليدين و الدعاء بعض صلاة الفريضة.



الباب الثاني
فصول الوصول







مقاصد الصلاة

المقدّمة

الصلاةُ في الإسلام ليست كغيرها في باقي الأديان عبادةً وتقربًا إلىٰ اللَّه، بل هي منظومةٌ متكاملة من المقاصد التعبديّة والعقائديّة والأخلاقيّة والتربويّة والاجتماعيّة والنفسيّة والإصلاحيّة، لبناء شخصيّة المسلم الفريدة في خيرِ أمّةٍ أُخرجت للنّاس. وقد ظهرت هذه الأمّة وانتَصرت علىٰ الأمم كلِّها: فارس والروم وأتباعهما، من العدم، في نحو خمسين عامًا، وعجزت الأممُ كلُّها حتّىٰ الآن عن تفسيرٍ تاريخيٍّ أو عقليٍّ لهذا النصر، ولكنّنا نعلم أنّ ذلك كان بفضل القرآن، وتربية النبيّ ﷺ، وهذه الصلاة.

والآن نحن لسنا تلك الأمّة المنتصرة مطلقًا، ولن نكون كذلك حتّىٰ تكون صلاتُنا كصلاة النبيّ ﷺ وصلاتِهم، وحتّىٰ يأتيَنا الشيطان فيُذكّرَنا بالجنّة والنار في الصلاة، كما قال يحيىٰ بن معاذ الرّازي: «إنّ الشيطان ليُشغلني في صلاتي بذكر الجنّة والنار»، أي يُشغله عن تدبّر القرآن وكلامه مع الرحمن، ولو بذكر الجنّة والنار. قلت: ليتَ شيطانَه يُشغلُنا في صلاتنا، ولكنّ كلَّ الشياطين تركَتنا لأنفُسِنا؛ فنحن تشغلنا نفوسُنا بذكر أموالِنا، أو آلامِنا، أو آمالِنا، أو جوّالِنا.

فإن قلتَ: وكيفَ تُفرِّق بين شُغل الشيطان وشُغل النفس؟ فاعلَم أنّ الشيطان يُشغلك بأيِّ شيء، فإن غلبتَه فيه شغَلك بغيره، حتّىٰ لو شغَلك بذكر الجنّة والنار إن كنت حاضرًا في صلاتك. أمّا النفس

فتشغلك بأهواء محدّدة لا تحيد عنها إلىٰ غيرها، وكلّما غلبتَها عادت إليها. فبعضُنا شغله المالُ أو الجوّال أو الآمال، ولا يمكن أن تشغلك النفسُ بذكر الجنّة والنار في الصلاة. فيا ليتَ شيطانَه يُشغلُنا في صلاتنا، ولكنّ كلَّ الشياطين تركَتنا لأنفُسِنا.

وسترىٰ في مقاصد الصلاة هذه كم ابتعدَت الأمّة عن مراد اللَّه ﷻ ومقاصدِ تشريعاته؛ فمقاصدُ الصلاة أصبحت لفظًا غريبًا غيرَ معروفٍ حتّىٰ عند المصلّين.

وقد قمتُ بإحصائيّة بين أكثر من مائة رجلٍ وامرأة من أكثر الناس تدينًا وعلمًا والتزامًا بالصلاة، وبعضُهم أئمّة مساجد ودُعاة ونشطاء، فكانت النتائج صادمة:

٣٨,٧٪ لم يسمعوا من قبلُ بلفظ «مقاصد الصلاة»، وهم من هم!

٨٣,٨٪ ممّن سمعوا عن المقاصد لا يعلمون إلا أقلَّ من ثُلث مقاصد الصلاة، وأكثرهم لا يطبّقها في صلاته. فما بالك بحال عامّة المسلمين؟

وأوّل قاعدة في مقاصد الشريعة أنّ الأمور بمقاصدها. فالصلاةُ بمقاصدها، فإن جهلناها أو أضعناها أضعْنا الصلاة.

✍ تعريف المقاصد

المقصد لغةً: مأخوذ من قصد الشيء، أي الرجوع إليه والاعتدال في الاتجاه (ابن فارس، مقاييس اللغة).

والمقصد اصطلاحًا: الغاية التي شرعها اللَّه من الأحكام الشرعيّة، وهو ما تستهدفه الشريعة من الخير للعباد ودفع الضّرر.

وفي كتاب نظرية المقاصد عند الشاطبي لأحمد الريسوني:

«المقاصد تعني الحِكَم أو المعاني أو الغرض أو المراد أو المغزىٰ أو العلل، كلّها مترادفات وإن كان بينها فُروق. والسّلف كانوا يستخدمون لفظ المعاني، والظاهريّة تجنّبوه لأنّه يهدم ظاهريّتهم، وأمّا لفظ العلل ففيه خلاف».

فمقاصد الصلاة هي الحِكَم أو المعاني أو الغرض أو المراد من اللَّه ﷻ في تشريع الصلاة، وهي مذكورة في القرآن إمّا باللفظ الصريح أو بالمعنىٰ أو بالفحوىٰ، ومذكورة في السنّة النبويّة، ومشروحة في كتب العلماء.

والمطلوب من العبد أن يقصد في صلاته ما أراده اللَّه ﷻ منها. قال الشاطبي في الموافقات: «قصدُ الشارع من المكلَّف أن يكون قصدُه في العمل موافقًا لقصدِه في التشريع».

قلتُ: فإن أنا جهلتُ قصد الشارع من التشريع لن آتيَ به في العمل، بمعنىٰ أنّي إذا جهلتُ المقاصدَ من الصلاة لن أعملها أو أستحضرها، ولن أحقّق مرادَ اللَّه منها. ولن يتحقّق فيَّ مرادُ اللَّه ﷻ منها، فلن يكون لهذه الصلاة الأثرُ الذي أراده اللَّه في نفسي وفي الأمّة. واللَّه أعلم بالأجر الذي سيترتّب عليها: عُشرها، أو تُسعها، أو أكثر، إن لم تردّ عليّ وتقول: «ضيّعك اللَّه»، كما ورد.

أضربُ أوّلًا مثالًا واحدًا لمقصدٍ من مقاصد الصلاة التي أرادها اللَّه ﷻ، لم أرَه في كتابٍ من كتب الصلاة أو مقاصد الصلاة، ولم أسمع به، وإنّما أدركتُه عند قراءتي لآيات الصلاة في أوّل هذا الكتاب.

وهذا المقصد هو أنّ المداومة علىٰ الصلاة تُغيِّر الجِبِلّة والصفات السيّئة التي خُلِق عليها كلُّ البشر، وهي في قولِه تعالىٰ:

﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ٢٣﴾ [المعارج].

هذا خبرٌ من اللَّه ﷻ عن المداومة على الصلاة وأثرها، وما جاء بعد هذه الآية من أعمال، غير أنّ البداية بالمداومة على الصلاة.

فهذا مقصدٌ من مقاصد تشريع الصلاة. وكثير من المسلمين اليوم يداومون على الصلاة، ولا نجد فيهم هذا الأثر، والسبب هو غياب المقاصد عن علمهم وصلاتهم. أمّا الصحابة فكانت صلاتُهم تُغيِّر صفاتهم فملَكوا الأرض.

بحث استقصاء المقاصد الشرعية للصلاة، مستمدة من:

- القرآن الكريم
- السنة النبوية
- الاستنباطات التعبدية والفقهية والتربوية (أقوال العلماء)
- ما ورد حديثا في البحوث والرسائل الجامعية والمؤتمرات.

أولًا: المقاصد من القران الكريم والسنة النبويه:

١- **تغيير الصِّفات المذمومة في الإنسان:** ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾.

٢- **تحقيق التوحيد وصدق العبوديّة لله:** ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة].

٣- **البراءة من الشِّرك:** ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم]. وقد سبق أن ابن حجر استدلَّ بها.

٤- **تعظيم الله جَلَّ جَلَالُهُ بالرُّكوع والسُّجود والتكبير: قال ﷺ:** «أمّا الرُّكوعُ فَعَظِّموا فيه الرَّبَّ».

٥- **ذِكْر الله دائمًا:** ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

٦- **ذِكْـر الله جَلَّ جَلَالُهُ لَـكَ:** ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقـرة: ١٥٢]. وكـذلك جـاء في تفـسير ابــن عــباس لقــوله تعالــىٰ: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي: وذِكْرُ اللَّه لكم أكبرُ من ذِكْرِكم له.

٧- **النهي عــن الفحــشــاء والمنكــر:** ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت].

٨- **الــصبر والاســتعانة والثــبات عــند الــشدائد:** ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

٩- **الفلاح والخشوع والتواضع:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون].

١٠- **تــزكية الــنفس:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلىٰ].

١١- **الطهــارة والــنظافــة الشخـصيــة:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

١٢- **الطمأنيــنة القلبــيّة والــسَّكينة:** ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

١٣- الأجر والثواب في الآخرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف].

١٤- تكفير السيِّئات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود].

١٥- البُعْد عن الشهوات واتقاء النّار: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم]. وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون].

١٦- تعظيم حُرُمات الله وشعائره: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

١٧- تعزيز خُلُق الانضباط والالتزام بارتباط الصلاة بأوقات محددة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

١٨- القُرب من الله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق].

١٩- السعي لرضا اللّه والتواضع له: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

٢٠- تقديم العبادة على الدنيا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

٢١- التزكية والتطهير من الذنوب: قال ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ» (رواه مسلم). وقال ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» (رواه مسلم).

٢٢- **الرّاحة من الشواغل**: قال النبي ﷺ: «يا بلالُ، أرحْنا بالصلاة» (رواه أبو داود). وقال ﷺ: «وجُعلت قُرّةُ عيني في الصلاة».

٢٣- **كلام العبد مع الله بالثناء والطلب بالدعاء**: وذلك في الفاتحة كاملة، وكلام اللّه ردًّا علىٰ عبده في الحديث: «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي».

٢٤- **النور والحُجّة والنجاة يوم القيامة**: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة» (رواه أحمد).

٢٥- **دفع الهمّ والقلق**: «كان ﷺ إذا حزبه أمرٌ فزع إلىٰ الصلاة».

٢٦- **نَبْذ الكِبْر وعلاجه**: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة].

٢٧- **المساواة بين المسلمين**: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وقال ﷺ: «لا فضل لعربيٍّ علىٰ عجميٍّ إلا بالتقوىٰ».

٢٨- **الأخوّة والتعارف**: قال ﷺ: «مَن غدا إلىٰ المسجد لا يريد إلّا أن يتعلم خيرًا أو يعلِّمه، كان له أجر حاجٍّ تامٍّ حجته» (رواه البخاري في الأدب المفرد). وقال ﷺ: «صلاةُ الجماعة تفضُل صلاة الفَذّ بسبعٍ وعشرين درجة» (متفق عليه).

٢٩- **الأمن من الله والدخول في خِفَارته**: قال ﷺ: «مَن صلّىٰ الصُّبحَ في جماعةٍ فهو في ذمّة اللّه، فلا تَخفروا اللّه في ذِمّته» (رواه الترمذي).

هذه تسعةٌ وعشرون مقصدًا للصلاة من القرآن والأحاديث فقط، بأدلّتها.

ولعلّ أعجبَها مقصدُ أن تصلّي ليذكُرَك اللّه ﷻ، لا لتذكرَه أنتَ فقط، في قولِه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

والدليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾. وكذلك تفسيرُ ابن عبّاسٍ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾، قال: «ذكرُ اللّه لكم أكبرُ من ذِكركم له».

وأمّا الأعجب، فإنّ داخلَ كلِّ مقصدٍ من هذه المقاصد مقاصدَ أخرىٰ، ألّف فيها العلماء كتبًا، منهم: الحكيم الترمذي وكتابه «الصلاة ومقاصدها»، والحافظ قطب الدين القسطلاني وكتابه «مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة»، والرسالة الشهيرة للعِزّ بن عبد السلام «مقاصد الصلاة»، وغيرها من الكتب.

وعندما تقرأ إحدىٰ صفحات هذه الكتب، تعلم أنّك لا تصلّي!

ويتجلّىٰ إعجازُ القرآن في العصر الحديث ليكشف لنا مقاصدَ للصلاة لم يذكرها أحدٌ من العلماء من قبل، لأنّ أغراضَها لم تكن موجودةً في عصورهم. وتخرج علينا الأبحاثُ والرسائلُ الجامعيّة والمؤتمراتُ العالميّة لتكشف لنا خفايا جديدة، وإعجازَ تشريع الصلاة ومقاصدها. وهنا أسردُ لك جزءًا منها.

✍ ثانيًا: المقاصد داخل المقاصد

لقد ظهر في شرح العلماء للمقاصد ما يمكن تسميته بالمقاصد داخل المقصد الواحد، خاصةً المقصد التعبدي.

فمن ذلك ما ذكره الحكيم الترمذي في كتابه الصلاة ومقاصدها، إذ قسم المصلين إلىٰ صادقين وصديقين، وخاصةِ اللّه من الصديقين. فقال:

«الصادقون إقبالهم في صلاتهم على أفعال الصلاة وتلاوتهم وتسابيحهم، والصديقون إقبالهم على معاني الأفعال والتلاوة والتسابيح والتحاميد.

وأمّا خاصةُ الله من الصديقين فإقبالهم على خالقهم، ثم إقبال الله عليهم من حيث يقبلون عليه؛ فإذا انتصب العبد قائمًا فإقباله على قيوميته، وإذا كبّر فإقباله على كبريائه، فإذا نزّهه وأثنى عليه فإقباله على سبحات وجهه الكريم، وإذا تعوّذ فإقباله على ركنه الشديد، وإذا تلا فإقباله على جوده وكرمه، وإذا ركع فإقباله على عظمته، وإذا سجد فإقباله على التعلّق به، وإذا جثا على ركبتيه متشهّدًا فإقباله على صمديّته.»

ثم يسرد الترمذي الثمرات المترتبة علىٰ هذه الإقبالات، فجاء كتابه مليئًا بالإشارات الصوفية والمقاصد التعبدية.

وكذلك الحافظ **قطب الدين القسطلاني** في كتابه مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، حيث قرر أن القصد من مقاصد الصلاة هو ثمراتها، وعدّد منها سبعًا وعشرين ثمرة؛ سبع عشرة عاجلة، وعشر آجلة.

أما **العز بن عبد السلام فقد** اشتهرت رسالته مقاصد الصلاة، حتىٰ إن السلطان الأشرف كان إذا دخل عليه أحد من خواصه ناوله هذه الرسالة ليقرأها، وقد بيّن فيها أن المقاصد تتنوع: فمنها ما هو خاص بالعبد، ومنها ما هو خاص باللَّه تعالىٰ، ومنها ما هو خاص برسول اللَّه ﷺ، ومنها ما هو عام للمسلمين جميعًا. وتناول ألفاظ الصلاة وأذكارها وأفعالها بتفصيل عميق في مقاصدها التعبدية.

ومع هذا، فلا أريد أن يطول الكتاب بكثرة النقول، خاصةً وقد أوردتُ في الفصول السابقة أمثلة كثيرة، ولا بدّ لطالب العلم من الرجوع إلىٰ هذه الأصول.

✍ ثالثًا: العلماء ومقاصد الصلاة:

ومقاصد الصلاة موجودة في كتب العلماء الأوائل كثيرة. وأول من ألّف كتابًا مستقلًّا هو الحكيم الترمذي (ت ٢٨٦هـ) في كتابه الصلاة ومقاصدها، وجمع فيه مقاصد داخل المقصد التعبدي لكل ركن وفعل وقول في الصلاة كما سبق.

وأمّا الحافظ القسطلاني (ت ٦٨٦هـ) في كتابه مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة، فجمع المقاصد الأصولية مع المقصد التعبدي، وكذلك رسالة العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ).

وكل من تكلّم في الصلاة لم يغفل الكلام في المقاصد في ثنايا كتبه، خاصة المقصد التعبدي، وتجد هذا كثيرًا جدًّا عند أعلام علماء الإسلام.

وكذلك كل من تكلّم في مقاصد الشريعة أو مقاصد العبادات ذكر مقاصد الصلاة، ومنهم الشاطبي قديمًا وابن عاشور حديثًا وغيرهم. وترىٰ عندهم أن الضروريات الخمس في مقاصد الشريعة تحققها الصلاة:

- **حفظ الدين:** تحقّقه الصلاة كأوّل أركان الإسلام العملية.
- **حفظ النفس:** بعلاقتها بالصحة النفسية والجسدية.
- **حفظ العقل:** كوسيلة سلوكية ضد الإدمان بكل أنواعه.
- **حفظ العرض:** بتهذيب الأخلاق والحياء.
- **حفظ المال:** بالانضباط السلوكي وتأثيره في الرشد المالي.

رابعًا: الأبحاث والرسائل الجامعية والمؤتمرات العالمية عن الصلاة ومقاصدها:

كَثيرةٌ هي الأبحاثُ الفرديّةُ لأساتذةِ الجامعات عن مقاصدِ الصلاة، وقد تناولت المقاصدَ المختلفةَ قديمًا وحديثًا مع ذكرِ التوصيات.

ولعلّ أبرز التوصيات التي نحتاجها لإصلاح صلاتنا:

- ضرورةُ دمجِ مقاصد الصلاة في المناهجِ التعليميةِ الشرعية بشكلٍ منهجي.
- توسيعُ البرامجِ التوعويّة لفهم مقاصد الصلاة، لا الاقتصار على تعليم الحركات والأذكار فقط.
- تضمينُ مقاصد الصلاة في المناهج التعليمية العامة والبرامج الدعوية.
- استخدامُ المقاصد في مواجهة التحديات الحديثة التي تؤثر على أداء الصلاة كالانشغالات التكنولوجية.
- تعزيزُ دورِ الجماعة في أداء الصلاة لزيادة مقصد الأثر الاجتماعي.

المؤتمرات والأبحاث الدورية:

وهذه عيّنةٌ من الجهود المختلفة من المؤتمرات والأبحاث الحديثة:

- Studies Islamic of Journal (٢٠٢١ ـ ٢٠٢٣): الصلاة والتكنولوجيا.

- دراسة جامعة الأزهر (٢٠٢٢): الصلاة والعمل.
- Spirituality and Religion of Psychology (٢٠٢١): الصلاة والصحة النفسية.
- بحث جامعة قطر (٢٠٢٢): الصلاة والتركيز الذهني لدىٰ الطلاب.
- جامعة العلوم الإسلامية العالمية (٢٠٢٣): تأثير التكنولوجيا علىٰ الصلاة.
- جامعة نيويورك (٢٠٢٢): الأجهزة الإلكترونية وأداء الصلاة.

ومن توصيات هذه المؤتمرات:

- تطويرُ تطبيقاتٍ تكنولوجيّة للتذكير والتحفيز.
- تخصيصُ أوقات/أماكن صلاة في الأماكن الرسمية والعامّة، خاصّةً في الدول غير الإسلامية.
- إنتاجُ محتوىً عصريٍّ هادفٍ يُواجه تأثيراتِ العولمة والإعلام الموجَّه.
- بناءُ نماذجَ قُدواتٍ معاصرةٍ للتحفيز علىٰ الحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية والالتزام.
- دعمُ البرامجِ الأسرية والدوراتِ العلمية الهادفة.
- تشريعُ سياساتٍ حكوميةٍ داعمةٍ للتوصيات التي يقدّمها المختصّون.
- تعزيزُ المحتوىٰ الإعلاميّ الديني وتمكينه من التأثير.

ولقد رصدت بعضُ الدراسات والرسائل بعضَ الظواهر التي تُبيّن مقاصدَ مختلفةً للصلاة، منها مقاصدُ اجتماعية وتربوية ونفسيّة، وكذلك

العوائق أمام هذه المقاصد ومواجهتها. وهذه عيّنةٌ منها:

١- من رسالة «أثر الصلاة في الوقاية من الجريمة» (ص ٨٧):

«أظهرت النتائج أنّ ٩٢٪ من المبحوثين من غير المحافظين علىٰ الصلاة يرون أنّ «الذنب أمرٌ سهل»، بينما انخفضت هذه النسبة إلىٰ ٪ ٣١ بين المحافظين علىٰ الصلاة بخشوع».

٢- من رسالة «الأبعاد التربوية للصلاة» (جامعة أم القرى، ص ١٢٠):

٨٥٪ من عيّنة الدراسة من المعلّمين علىٰ الطلاب أنّ الطلاب الملتزمين بالصلاة أكثرُ التزامًا وتحمّلا للمسؤولية وتفوّقًا.

٣- من دراسة في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (٢٠٢١، مج ١٧، ع ٣):

«وجدت الدراسة علاقةً ارتباطيّة سالبة ذات دلالة إحصائية بين مستوىٰ الخشوع في الصلاة ومستوىٰ القلق النفسي لدىٰ الأفراد».

٤- من دراسة في Health and Religion of Journal **(٢٠١٥):**

وجدت أنّ ٦٠٪ من المشاركين يعانون من تشتّت الذهن أثناء الصلاة أحيانًا.

٥- بحث من جامعة أم القرى (٢٠٢٠):

أشار إلىٰ أنّ التكنولوجيا قلّلت تركيز الشباب في العبادات بنسبة ٪ ٦٥.

٦- بعض الدراسات تشير إلى أنّ ٣٠٪ من المصلّين لا يلتزمون بالأخلاق الإسلامية خارج المسجد (بحث من مركز البيان للدراسات، ٢٠٢٢).

مع انتقادي لهذه النسبة، وأرىٰ أنّ أُسس الأبحاث وعيّنات البحث تؤثّر تأثيرًا كبيرًا في نتائجها، فإنّ مثل هذا البحث تتفاوت نتائجه تفاوتًا كبيرًا طبقًا لعينات البحث ومكانها ومعاييرها، وقد تصل النسبة ٧٠٪ خاصّةً إذا حُدّدت معايير الأخلاق الإسلامية المطلوب الالتزام بها.

٧- دراسة في مجلة الإسلام والعلم (٢٠٢٣): وجدت أنّ ٥٥٪ من الشباب يشعرون بتشتّت الذهن في الصلاة بسبب الهواتف.

٨- في المساجد الكبرى (كالحرم والنبوي)، تظهر الدراسات أنّ ٧٠٪ من المصلّين يتفقّدون بعضهم اجتماعيًا (بحث من جامعة أم القرى، ٢٠٢١).

وهذه نسبةٌ خاصة، ولا أظن تكرارها لطبيعة المكان المتفرّد في العالم.

٩- في السعودية: تقلّ معدلات الجريمة في المناطق المحافظة علىٰ الصلاة (بحث جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠١٩).

١٠- بحث منشور في Health and Religion of Journal (٢٠٢٠): أظهر أنّ المصلّين أكثر مقاومةً للضغوط النفسيّة.

١١- في المدن الكبرىٰ (مثل القاهرة وجدة): فقط ٢٠٪ من المصلّين يعرفون جيرانهم في المسجد (دراسة المسجد والمجتمع الحديث ـ جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠٢٠).

١٢- من دراسة «أثر وسائل التواصل الاجتماعي علىٰ الالتزام بأداء الصلاة بين الشباب المسلم» (تحديدًا TikTok، Instagram، YouTube) ـ مجلة جامعة أم القرىٰ للعلوم الاجتماعية، ٢٠٢٢.

النتائج: ٪٦٣ من العينة يعترفون بتأخير الصلاة بسبب الانشغال بوسائل التواصل، و٪٢١ يُفوّتونها أحيانًا بالكامل.

هكذا ترى:

أوّلًا: أن عطاء القرآن لا ينتهي، ويتجدّد مع كل زمان، وكلّما زاد علم الإنسان واتسعت أبحاثه، عرف من القرآن ما لم يصل إليه من قبله.

ثانيًا: أن مقاصد الصلاة لم ننتهِ بعدُ إلىٰ الوصول إلىٰ كل حقائقها.

ثالثًا: أن المسلمين أبعد ما يكونون عن مقاصد الصلاة علمًا وتطبيقًا، وذلك من أسرار تخلّفهم.

رابعًا: حاجة الأمة إلىٰ جهود علمائها وأئمّتها والعاملين لدين اللَّه والمصلحين في إصلاح الصلاة.

ولما كان الهدف من الكتاب هو الإصلاح فإننا نختتم هذا الفصل ببيان دور أئمة المساجد في التعريف بمقاصد الصلاة والحث عليها.

دور أئمة المساجد في نشر مقاصد الصلاة:

لابدَّ للأئمّة والخطباء من مواكبة القفزة التكنولوجيّة ووسائل الاتّصال وتسخيرها في خدمة الدعوة؛ لأنّ أثرها الآن أكثر فاعليّة من التقاليد القديمة، خاصّة مع شباب الأمّة الذين تحوّلت حياتهم إلىٰ سكروول وكليك (Scroll & Click)، ولا يصبر أحدٌ منهم كثيرًا علىٰ الجلوس في درسٍ في المسجد ـ ولو قليلًا ـ ليتلقّىٰ مقاصد وفقه الصلاة، مع أنّه يجلس أمام شاشة الهاتف بالساعات يُقلّبها.

فلنذهب إليه في شاشاته بجرعات صغيرة، مُصمَّمة بذكاء، جذّابة،

سريعة، وبلُغته العصريّة التي يهواها، متمثّلين بقول اللَّه تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾.

ولنُعدِّد طُرُق الوصول إليهم:

• تارةً بعمل جروب خاص باسم المسجد، فيه الجمع بين الأنشطة الترفيهيّة الشرعيّة، والكبسولات الدعويّة، والبطاقات العلميّة المختصرة.

• وتارةً بإشراكهم من خلال حوارات أو فيديوهات قصيرة تكون تطبيقيّة للأنشطة السابقة.

• وتارةً بتحفيزهم علىٰ الإبداع التكنولوجي وتطويرهم لهذه الأنشطة وغيرها من الإبداعات الحديثة.

مع الإبقاء علىٰ الدروس والأعمال التقليديّة للمسجد وتطويرها.

وأسوق هنا نموذجًا كاملًا من تصميم بطاقات مختصرة يقوم به الإمام في تعريفهم بمقاصد الصلاة وفقهها وضبطها، وكلّ ما عليه تفعيله مقصَدًا وحُكمًا وضابطًا، واحدًا وراء الآخر، يوميًّا أو دوريًّا.

بطاقات مقاصد الصلاة للإمام والخطيب

١. التوحيد والخضوع لله:

• المقصد: غرس التوحيد وتجديد العهد بالعبودية للَّه.

• الدليل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

• الرسالة: الصلاة إعلان عملي للتوحيد كل يوم.

٢. تهذيب النفس وتزكيتها:

- المقصد: تحرير النفس من أهوائها وتطهير القلب من الغفلة.
- الدليل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾.
- الرسالة: الصلاة مدرسة يومية لتزكية القلوب.

٣. الانضباط والالتزام بالوقت:

- المقصد: تربية المسلم على النظام واحترام المواعيد.
- الدليل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾.
- الرسالة: من يلتزم بالصلاة في وقتها يسهل عليه الانضباط في شؤون حياته.

٤. الخشوع وحضور القلب:

- المقصد: تنمية حضور القلب ومراقبة اللَّه.
- الدليل: «أن تعبد اللَّه كأنك تراه...» (حديث جبريل).
- الرسالة: الصلاة لحظة صفاء يتذوق فيها العبد القرب من اللَّه.

٥. الوقاية من الفحشاء والمنكر:

- المقصد: تقوية الوازع الداخلي وردع الشهوات.
- الدليل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾.
- الرسالة: الصلاة حارس أخلاقي يقي من الانحراف.

٦. الوحدة والتكافل:

- المقصد: جمع القلوب وربط المسلمين بروح الجماعة.
- الدليل: صلاة الجماعة، وقول النبي ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبعٍ وعشرين درجة».
- الرسالة: الصلاة تجسيد عملي لوحدة الأمة وتكافلها.

٧. السكينة والراحة النفسية:

- المقصد: بث الطمأنينة في قلب المؤمن.
- الدليل: قال النبي ﷺ: «أرحنا بها يا بلال».
- الرسالة: الصلاة ملجأ المؤمن من قلق الدنيا وضغوطها.

المقاصد العقدية والإيمانية:

١- تجديد الإيمان ومحو الذنوب.

- ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.
- الصلاة تجديد دائم للعهد مع اللَّه وغسل للذنوب.

٢ ـ إظهار العبودية والخضوع.

- السجود أعظم مظهر للتذلل، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

١- تعظيم الله واستشعار كبريائه.

- التكبير المتكرر في الصلاة يرسّخ معنىٰ عظمة اللَّه في النفس.

المقاصد التربوية والأخلاقية:

١- تعويد المسلم على الطهارة والنظافة.

- لا تُقبل الصلاة بلا طهارة، فهي تربية يومية علىٰ النظافة الجسدية والروحية.

٢- تعويد المسلم على الصدق والإخلاص.

- حضور القلب والنية الصادقة شرط لصحة الصلاة.

٣- الصبر والمجاهدة.

- المحافظة علىٰ الصلوات تحتاج مجاهدة وصبر.
- ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

٤- التواضع ونبذ الكِبر.

- في السجود يتساوىٰ الغني والفقير، الرئيس والمرؤوس.

المقاصد الاجتماعية:

١- المساواة بين الناس.

- في الصف لا فرق بين عربي وأعجمي، غني وفقير.

٢- تربية الأمة على الوحدة والتنظيم.

- الاصطفاف في صفوف الصلاة تدريب عملي علىٰ وحدة الصف.

٣- بث روح الأخوة والتعارف.

- الالتقاء اليومي في المسجد يذيب الفوارق الاجتماعية.

٤- تعميق التكافل الاجتماعي.

- يتفقد المسلم إخوانه في الصلاة: الغائب يُسأل عنه، والمحتاج يُعرف حاله.

المقاصد النفسية والروحية

١- الطمأنينة والراحة النفسية.

٢- ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾.

٣- التخلص من التوتر والقلق.

٤- الحركة البدنية الممزوجة بالذِّكر تبعث علىٰ السكينة.

٥- التربية على اليقظة القلبية.

٦- الانتقال بين الركوع والسجود يربط الجسد بالقلب.

المقاصد الحضارية والعمرانية

١- بناء الشخصية المنضبطة.

- الصلاة خمس مرات يوميًّا تدريب علىٰ الالتزام والجدية.

٢- تربية القيادة والجندية.

- صلاة الجماعة تُعلِّم الطاعة للإمام، وتُدرِّب علىٰ الانضباط.

٣- حضارية على هوية الأمة.

- شهادة الصلاة جماعةً في المساجد مظهرٌ لحياة الإسلام في المجتمع.

مقاصد أخرى شاملة:

١- ذكر الله الدائم.

- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾.

٢- التوازن بين الروح والجسد.

- فيها حركة الجسد وخشوع الروح معًا.

٣- إحياء معنى المراقبة.

- المصلي يستحضر نظر اللَّه إليه في كل ركعة.

٤- الارتباط بالآخرة.

- الصلاة تذكير متكرر بالموت والوقوف بين يدي اللَّه.

٥- البراءة من الشرك.

• ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾.

٦- تكفير السيئات.

• ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود].

٧- القرب من الله.

• ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾.

وهكذا يمكن إعادة ذكر المقاصد التي سبق ذكرها من القرآن والسنة مع التبسيط في هيئة بطاقات أو كبسولات دعوية.

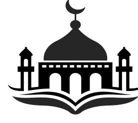
وهكذا كل ما ذكرناه بعاليه من فقه الصلاة وضبطها مع إضافة خاطرة أو لطيفة دعوية تتناسب مع أهل مسجده وواقعهم ومشاكلهم الفقهية، وهذه تختلف من مسجد لآخر.

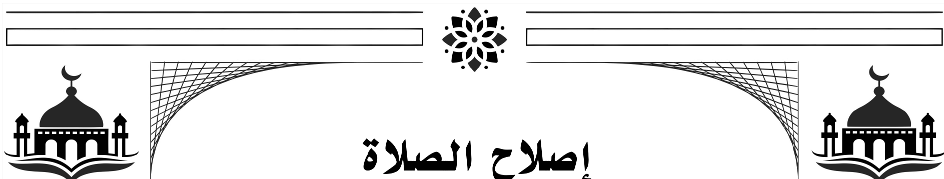
واختِمْ هذا الفصلَ بالقول بأنَّ أثرَ الإمامِ بإخلاصِه، وأنَّ أجرَه في الدنيا والآخرة لا يُعادلُه أجر، فهو وريثُ النبي ﷺ في مِحرابِه ومِنبَرِه ودَعوتِه. وبغير هذا الإخلاص يكون الخُسرانُ المبين، والحُجَّةُ عليه من الناس والملائكة، وجزاءُ ربِّ العالمين.

وأنا أكتب هذه السطورَ في **يومِ الاثنين، الخامسَ عشرَ من سبتمبر عامَ ٢٠٢٥**، جاءني الخبرُ التالي من صحيفة السياسة الكويتية:

«خِلافٌ على إمامةِ مسجدٍ ينتهي بجريمةِ قتل؛ إذ قَتَل أحدُ المتنافسين على الإمامة بأحد مساجدِ اليمن أخاه المسلم».

هذا جزءٌ فَجٌّ من واقعِ الأمةِ الأليمِ في كلِّ مجالاتِها: مساجدِها، مصانعِها، جامعاتِها، حكوماتِها، قُراها وأحيائِها. لكن أن يكون في مساجدِها ـ المأمولُ منها إصلاحُ الواقع ـ ومن أئمتِها المنوطُ بهم إصلاحُ الأمة، وإن كان أمرًا شاذًّا، فلا يمكن تصوُّرُه. والأمرُ العامُّ معروفٌ فيه الصراعاتُ والنزاعاتُ بين الأفرادِ والجماعاتِ العاملةِ للدِّين، فيحتاجُ هذا جهدَ المُخلِصين.





إصلاح الصلاة

ولإصلاح الصلاة هذه عشرة محاور لتحفيز وجود المقتضي وانتفاء المانع، أولها زيادة الإيمان، ثم تعظيم حب اللَّه، ثم القرآن وأثره وسطوته وتدبره، ثم أسرار الصلاة، وكيفية الخروج من قسوة القلب وإلف الاعتياد، ثم التحفيز بمعرفة ٣٧ مكانة للصلاة و٣٥ من معانيها وفضائلها ولطائفها، ثم بيان عملي كأمثلة من صلاة ابن القيم والشيخ عبد الرحيم الطحان والشيخ العثيمين.

من العلاج تحفيز وجود المقتضى وتحقيق انتفاء المانع

والعلاج لضياع الصلاة بأمرين معًا جنبا إلىٰ جنب:

١- أن يتم منع الأسباب التي أدت إلىٰ ضياع الصلاة.

٢- أن يتم الاتيان بأسباب صلاحها وذوق رحيقها.

وسنعرض أسباب الضياع والإصلاح.

□ أول وأهم تحفيز لوجود المقتضى هو الإيمان

الإيمان وزيادة الإيمان أول وأهم خطوة لإصلاح الصلاة، وبغيره لا تكون صلاة.

هذا الإيمان الذي جعل من قبائل متناحرة مبعثرة لم تعرف يومًا حضارة ولا دولة، جعلها أمة واحدة بحضارة ارتقت علىٰ انقاض أعتىٰ حضارتين في عهدها، وكانت نورًا ومنارة للبشرية. وحتىٰ يومنا هذا

ينحي المنصف من أعدائها لفضلها علىٰ البشرية ويقر كل باحث عادل بمعجزاتها التي تخالف نواميس الكون وسيرة الأمم، وإلىٰ الآن لم يفسروا كيف استطاع العرب في ثمانين عامًا فقط أن يمتلكوا ناصية الحياة وحضارتها، ولا يجدوا أي تفسير عقلاني أو مادي لذلك، وصدقوا في عجزهم عن التفسير لأن السر يكمن في الإيمان وحقائقه. قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧]

إنه السر الذي يكمن في اتصال المؤمن باللَّه في عليائه وارتقاء فكره واستمداده من سمائه، الإيمان والمعية مع اللَّه جعلت المؤمن يرىٰ الجنة ويسعىٰ إليها حاملًا روحه بكفيه، ملقيًا بكل متاع الدنيا وأموالها ومغرياتها تحت قدميه لينال شهادة يلقىٰ بها ربه الذي تعود أن يلقاه كل يوم في مصلاه ويناجيه في صلاته ويسمع كلامه ونداءه في قرآنه يرتجف قلبه في صدره ويرتفع أنينه ونشيجه شوقًا إلىٰ ربه.

إنه الإيمان بالغيب، الإيمان بالوعد والوعيد.

إنه الحب للَّه والشوق إلىٰ لقائه.

◻ ثانيًا تعظيم الحب لله لإصلاح الصلاة

أول ما خطب رسول اللَّه ﷺ في أصحابه كان قوله: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»(١)

وكما جاء في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ

---

(١) أخرجه الترمذىٰ عن ابن عباس رقم: ٣٧٨٩ وقال: هذا حديث حسن غريب

يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(١)]

إنه الحب والبغض، الحب الأعظم المطلق من كل القلب للَّه، والبغض كل البغض للكفر وما والاه.

«وأحبو اللَّه لما يغذوكم به من نعمه «كلما تفكرت في النعم وأنواعها وإبداعها، كلما تفكرت في نعم مادية ودنيوية في نفسك، وما خلق اللَّه من أجلك وفي الكون وما أبدعه اللَّه في خلقه وملكه، وكلما تفكرت في نعمٍ روحية من رحمته ولطفه وبره وإحسانه.

كلما تفكرت في نعمة الإيمان والإسلام والدين الذي شرعه لك، بل كلما تفكرت في نعمة واحدة عجزت!

كما قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فليس فقط العجز عن عدِّ النعم؛ بل العجز عن عدِّ الفضل والعطاء والنعم في النعمة الواحدة.

تفكر في نعمة عينيك وتأمل ما تدركه العين من نعمة الألوان، من نعمة الأشكال، من نعمة الأحجام، من نعمة الجمال، من نعمة الإدراك، بل من نعمة النوم عن الكون!

□ ثالثًا: الصلاة والقرآن

من قرأ القرآن فإنه يقرأ كلام اللَّه له ويسمعه ومن يصلي بالقرآن فإنه يكلم اللَّه به ويكلم نفسه وعقله وقلبه بكلام اللَّه، وفرق كبير بين من يسمع ومن يتكلم في الحضور واستحضار المعانىٰ والفكر والتدبر، القرآن في الصلاة له شأن اخر له سطوه تأخذ العقل والقلب تعرج بك

(١) متفق عليه، البخارىٰ: ١٦، ومسلم: ٦٧

الىٰ علم الفتوحات الربانية لو انك كنت فعلا تصلىٰ وتتدبر. وهذه بعض اللمحات.

العلاقة مع القران

يقول الدكتور إبراهيم عمر السكران في كتابه الطريق إلىٰ القرآن عن العلاقة مع القرآن:

أترىٰ أن اللَّه جَلَّ وَعَلَا ينوع ويعدد التوجيهات لتعميق العلاقة مع القرآن عبثا؟ فتارةً يحثنا صراحة علىٰ التدبر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [محمد: ٢٤]، وتارةً يحثنا علىٰ الإنصات إليه ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وتارةً يأمرنا بالتفنن في الأداء الصوتي الذي يخلب الألباب لتقترب من معاني هذا القرآن ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]. وتارةً يأمرنا بالتهيئة النفسية قبل قراءته بالاستعاذة من الشيطان لكي تصفو نفوسنا لاستقبال مضامينه ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل]، وتارةً يغرس في نفوسنا استبشاع البعد عن القرآن ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان] وتارات أخرىٰ ينبهنا علىٰ فضله، وتيسيره للذكر فهل من مدكر، وعظيم المنة به... الخ؛ كل ذلك ليرسخ علاقتنا بالقرآن، فهل ترىٰ ذلك كله كان اتفاقا ومصادفة لا تحمل وراءها الدلالات الخطيرة؟! بل هل من المعقول أن يكون القرآن الذي أقسم اللَّه به، وتمدح بالتكلم به، وجعله أعظم الكتب السماوية التي أنزلها سبحانه، وخص به أفضل البشرية محمدا، وجعل حفظ ألفاظه خاصية أهل العلم، هل من المعقول أن تكون كل هذه الخصائص والشرف والعظمة للقرآن ويكون كتابا اعتياديا في حياتنا؟

سطوة القرآن

ثم يتكلم عن سطوة القران فيقول:

هكذا إذن، الجمادات الرواسي تتصدع، ونساء المشركين وأطفالهم يتهافتون سرا لسماع القرآن، وصنديد جاء يفاوض في حالة حرب ومع ذلك «كاد قلبه يطير» مع سورة الطور، والجن استنصت بعضهم بعضا وتعجبوا وولوا إلىٰ قومهم منذرين، والمؤمنون الذين يخشون ربهم ظهر الاقشعرار في جلودهم، والقساوسة الصادقون فاضت عيونهم بالدمع، والملائكة الكرام دنت من السماء تتلألأ تقترب من قارئ في حرّات الحجاز يتغنىٰ في جوف الليل بالبقرة، والأنبياء من لدن آدم إذا سمعوا كلام اللَّه خروا إلىٰ الأرض ساجدين باكين، ورسول اللَّه حين سمع الآية تصور عرصات القيامة ولحظة الشهادة علىٰ الناس استوقف صاحبه ابن مسعود من شدة ما غلبه من البكاء، رباه، ما أعظم كلامك وما أحسن كتابك.

ثم وقفة تدبر في القرآن في الصلاة

كثيرا ما أتساءل هل نحن حين نقرأ الفاتحة ونمر بهذه الآيات نستشعر أن رب الأرض والسماوات يقول لنا ذلك، إنه اللَّه، يتحدث عنا ونحن نقرأ الفاتحة، هل تتصور؟! فباللَّه عليك تأمل في هذه الآيات الثلاث التي ذكر اللَّه تعالىٰ في الحديث القدسي في صحيح مسلم أنها نصف الفاتحة، حين قال: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) هذه الآيات الثلاث التي هي نصف الفاتحة، أي أنها نصف أعظم سورة في القرآن، كلها حمد للَّه وثناء علىٰ اللَّه وتمجيد للَّه،

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، هي جوهر مشروع الإصلاح، وهي قاعدة النهضة،

وهي مختبر الحضارة، وهي معيار التقدم، وهي خطة التنمية ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾. هي قلب سورة الفاتحة، قلب أعظم سورة في كتاب اللَّه، ومع ذلك، كم تاهت عن هذه السورة، بل عن هاتين الكلمتين فقط؛ أمم من الخلق. آية نكررها في اليوم عشرات المرات في كل ركعة من الفرائض والنوافل لماذا؟ لأنها «منهج حياة».

وأما الاستعانة في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فهي عبادة مشمولة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ولكن اللَّه أفردها بالذكر في هذا الموضع من فاتحة الكتاب ليكون تنبيها مستمرا يسمعه المؤمن يذكّره بأن المطلوب الأكبر وهو (العبادة) لا يكون إلا بـ(الاستعانة)، وهذا الموضع في تعقيب العبادة بالاستعانة موضع أسهب فيه أئمة التأله والسلوك وفقهاء الطريق إلىٰ اللَّه في تأملاتهم الإيمانية.

السهر القرآنى

ثم يتكلم عن الصلاة ثمرة القرآن في الصلاة والسهر الإيماني ـ وهو ما أراه من الإصلاح المطلوب للأئمة:

وقد يقول قائل: لكن كثيرا ممن لا يقنت آناء الليل نرىٰ بالمقاييس المادية المباشرة أن لديه علما؟ فالجواب: أن القرآن اعتبر العلم بثمرته لا بآلته، وثمرة العلم العبودية للَّه، فمن ضيع الثمرة لم تنفعه الآلة. ثم لاحظ كيف وصفت الآيات تنوع العبادة ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾. بل وصفت الآية أحاسيس ومشاعر ذلك الساهر، فهو من جهة قد اعتراه الوجل من يوم الآخرة، ومن جهة أخرىٰ قد دفعه رجاء رحمة اللَّه ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾، تمتزج هذه المشاعر الإيمانية طوال الليل البهيم بينما الناس حوله هاجعون. هذا الوصف لأحاسيس

المتنسّك آناء الليل توحي بالسكينة الداخلية التي يعيشها، والمعالي التي يفكر فيها، ولذة المناجاة التي يذوقها

هل ترىٰ اللَّه تعالىٰ بعظمته وقدسيته سبحانه يصوِّر هذا المشهد الإيماني الليلي بلا رسالة يريد إيصالها لنا؟ أليس من الواضح أن اللَّه يريدنا كذلك؟ يريدنا أن نكون قانتين آناء الليل ساجدين وقائمين نحذر الآخرة ونرجو رحمة ربنا؟

ومن ألطف مواضع السهر الإيماني أن اللَّه جعله من أهم عناصر التأهيل الدعوي في بداية الطريق، اللَّه ﷻ لم يجعل أعظم السهر الإيماني في آخر الدعوة النبوية بعد استيفاء التدرج، كلا، بل جعله في أولها! فقال تعالىٰ لنبيه في آياتٍ كادت تستغرق الليل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل] ويبين الامراض التي تحول بينك وبين هذه المعاني وضياعها في صلاتك.

قسوة القلب والقرآن

يقول: «لما طال بهم الأمد قست قلوبهم. ولو جددوا العهد مع الوحي لحيت قلوبهم،

فإذا قسا القلب تجرأ الإنسان علىٰ الميل بالشريعة مع هواه،

وإذا قسا القلب تهاون الإنسان في الطاعات واستثقلها

وإذا قسا القلب عظمت الدنيا في عين المرء فأقبل عليها وأهمل حمل رسالة الإسلام للناس، وإذا قسا القلب ضعفت الغيرة والحمية لدين اللَّه،

وما العلاج إذا؟ العلاج لما يحيك في هذه الصدور هو مداواتها بتدبر القرآن.

ولكن ما الذي في الصدور؟!

في الصدور شهوات تتشوف.

وفي الصدور شبهات تنبح،

وفي الصدور حجبٌ غليظة، وفي الصدور طبقات مطمورة من الرين ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين]،

وهذه الدوامات التي في الصدور دواؤها كما قال اللَّه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]».

ويعقب: «وقد يتصور كثيرٌ من الناس أن (قسوة القلب) مجرد سبب للمعصية، ويغفل الكثيرون عن أن (قسوة القلب) قد تكون نتيجة وعقوبة من اللَّه علىٰ المعصية ذاتها، فيعاقب اللَّه العبد إذا عصاه بأن يسلط عليه قسوة القلب، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾».

مرادات الله في القرآن وصلاة الجماعة

ولهؤلاء القاسية قلوبهم تحدث عن مرادات اللَّه في القران وصلاة الجماعة يقول:

«المراد عمارة النفوس بتعظيم اللَّه والاستسلام المطلق له، القرآن يريد النفس البشرية مشدودة الارتباط باللَّه جَلَّوَعَلَا في جميع الأحوال، يريد من المسلم أن يكون اللَّه حاضرا في كل سكنة وحركة»

ومن أعجب ما قيل في صلاة الجماعة قوله: هل تستيقظ نفوس افترشت سجاداتها في غرفها ومكاتبها تصلي «آحادا» لتتأمل كيف يطلب اللَّه صلاة «الجماعة» بين السيوف والسهام والدروع والخنادق؟!

أترىٰ اللَّه يأمر المقاتل الخائف المخاطر بصلاة الجماعة، ويشرح له صفتها في كتابه، ويعذر المضطجعين تحت الفضائيات، والمتربعين فوق مكاتب الشركات؟!

هل تأتي شريعة اللَّه الموافقة للعقول بمثل ذلك؟!

ومن اللطيف أن الآية التي أعقبت الآية السابقة (أية صلاة الخوف في جماعه في وسط الحرب) تكلمت عن حال إتمام الصلاة، حسنا، نحن عرفنا الآن من الآية السابقة صفة الصلاة لحظة احتدام الصفين، فما هو التوجيه الذي سيقدمه القرآن بعد الانقضاء من الصلاة؟ يقول تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] يا سبحان ربي، الآن انتهىٰ المقاتل من صلاة الجماعة، فيرشده القرآن لاستمرار ذكر اللَّه.

ترك الصلاة والشرك من القران

ويقول في كتابه رقائق القرآن: إن ابن حجر في فتح الباري قال عن هذه الآية أنها: «من أعظم ما ورد في «فضل الصلاة» بسبب هذا الاقتران الترهيبي، حيث يقول اللَّه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم]

ولذلك قال الإمام ابن تيمية: «فإن الصلاة إذا أتىٰ بها كما أُمر نهته عن الفحشاء والمنكر، وإذا لم تنهه دل علىٰ تضييعه لحقوقها».

الصلاة وتدبر القران في كتاب صلاة المؤمن لوهف القحطاني

نقلا عن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتبه، فقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ تدبر القرآن مع الخشوع عند قراءته هو المقصود والمطلوب، فبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك

عند تلاوته، وسماعه، وألقِ سمعك، واحْضُر حضور من يخاطبه به من تكلم به، منه إليه، فتمام التأثير موقوف علىٰ: مؤثر مقتضٍ، ومحلٍ قابلٍ، وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالىٰ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾».

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ إشارة إلىٰ ما تقدم من أول السورة إلىٰ ها هنا، وهذا هو المؤثر

وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ القلب الحي، وهذا هو المحل القابل، كما قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ أي وجّه سمعه وأصغىٰ حاسة سمعه إلىٰ ما يقال له، وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب، واستمع كتاب اللَّه، وشاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساهٍ، وهذا إشارة إلىٰ المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عما يقال له، والنظر فيه، وتأمله فإذا حصل المؤثر: وهو القرآن، والمحل القابل: وهو القلب الحي، ووجد الشرط: وهو الإصغاء، وانتفىٰ المانع: وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنىٰ الخطاب وانصرافه عنه إلىٰ شيء آخر حصل الأثر، وهو: الانتفاع، والتذكر.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن حياة القلوب، وشفاء لما في الصدور، . فبا لجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر، والتفكر، . وهذا الذي يورث المحبة، والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر

الأحوال التي بها حياة القلب وكماله

وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها» ؛ فإن العبد إذا قرأه بالتدبر حتىٰ مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ، ولو ليلة ، فقراءة آية بتفكُّرٍ وتفهُّمٍ خير من قراءة ختمةٍ بغير تَدَبُّرٍ وتفَهُّمٍ ، وأنفع للقلب ، وأدعىٰ إلىٰ حصول الإيمان ، وذوق حلاوة الإيمان والقرآن ، وهذه كانت عادة السلف يردّد أحدهم الآية إلىٰ الصباح ، وقد تقدم أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يُردّدُها إلىٰ الصباح وهي قوله تعالىٰ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

وقد أخبر اللَّه تعالىٰ في القرآن : أن أهل العلم هم الذين ينتفعون بالقرآن ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت] وفي القرآن الكريم بضعة وأربعون مثلا ، وقد كان بعض السلف الصالح ، وهو عمرو بن مرة : إذا مرَّ بِمَثَلٍ من أمثال القرآن ولم يفهمه يبكي ويقول : «لست من العالمين» .

وينبغي للإنسان أن يبتعد عن مفسدات القلب الخمسة التي تحول بينه وبين التدبر ، وتحول بينه وبين كل خير ، وهي : التمنّي ، وخلطة الناس ، والتعلق بغير اللَّه تعالىٰ ، وكثرة الطعام أو المحرمات ، وكثرة النوم ؛ فإنها مفسدات للقلوب .

وليحذر المسلم من هجر القرآن ؛ فإن هجرهُ خمسة أنواع

النوع الأول : هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه

النوع الثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه ، وإن قرأه

وآمن به

النوع الثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه

النوع الرابع: هجر تدبُّره وتفهّمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه

النوع الخامس: هجر الاستشفاء به والتداوي به من جميع أمراض القلوب، والأجساد، . وكل هذا داخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض.

أسرار الصلاة

ومن إصلاح الصلاة البحث عن أسرارها التي تؤدي الىٰ آثارها وتؤتي ثمارها.

ومن هذه الأسرار عند ابن القيم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا أخذ العبد في قراءة القرآن، فقد قام في مقام مخاطبة ربِّه و مناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرّض لمقته و سخطه، بأن يناجيه و يخاطبه، و قلبه معرِض عنه، ملتفت إلىٰ غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته، و يكون بمنزلة رجل قرَّبه ملك من ملوك الدنيا، و أقامه بين يديه فجعل يخاطب الملك، و قد ولاَّه قفاه، أو التفت عنه بوجهه يَمنَة و يسرة، فهو لا يفهم ما يقول الملك، فما الظن بمقت الملك لهذا، فما الظن بمقت الملك الحق المبين رب العالمين و قيوم السماوات و الأرضين»[(١)]

وعن حال العبد في الفاتحة يقول:

«فينبغي بالمصلي أن يقف عند كل آية من الفاتحة وقفة يسيرة،

---

(١) عادل الزروقي: ذوق الصلاة عند ابن القيم ص ٢٢

ينتظر جواب ربِّه له، و كأنه يسمعه و هو يقول: «حمدني عبدي «إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقف لحظة ينتظر قوله: «أثنىٰ عليَّ عبدي».

فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ انتظر قوله: «مجَّدني عبدي».

فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ انتظر قوله تعالىٰ: «هذا بيني و بين عبدي».

فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلىٰ آخرها انتظر قوله: «هذا لعبدي و لعبدي ما قال».

و مَن ذاق طعم الصلاة عَلِمَ أنه لا يقوم مقام التكبير و الفاتحة غيرهما مقامها، كما لا يقوم غير القيام و الركوع و السجود مقامها، فلكلٍّ عبوديته من عبودية الصلاة سرٌّ و تأثيرٌ و عبودية لا تحصل في غيرها، ثمَّ لكل آية من آيات الفاتحة عبودية و ذوق و وجد يخُصُّها لا يوجد في غيرها(١)

«ولما كان سجود القلب خضوعه التام لربّه أمكنه استدامة هذا السجود إلىٰ يوم القيامة، كما قيل لبعض السلف هل يسجد القلب؟

قال: «أي و اللَّه سجدةً لا يرفع رأسه منها حتىٰ يلقىٰ اللَّه ﷻ، إشارة إلىٰ إخبات القلب، و ذلّه، وخضوعه، وتواضعه وإنابته وحضوره مع اللَّه أينما كان، ومراقبته له في الخلاء و الملأ».

وقال «فالصلاة ثمرتها الإقبال علىٰ اللَّه، و إقبال اللَّه سبحانه علىٰ

(١) السابق ٢.

العبد[١].

ومن العلاج إدخال تعليم إتقان الصلاة بخشوعها كما صلاها رسولنا ﷺ

أعني في مناهج وزارات التعليم وجميع مراحل التعليم، من المبادئ للطفل إلى الإتقان إلى الإحسان حتى أثناء الجامعة، وأما المساجد فلها الدور المستمر والمثمر في إصلاح الصلاة. وليس المقصود تعليم الأحكام ولا الفقه وخلافاته، بل المقصود تعليم المقصود من الصلاة، وأن تقوم هيئة من العلماء بوضع الأسس والمبادئ والوسائل لتحقيق ذلك.

ومن إصلاح الصلاة الاستعداد لها

ومما جاء في كتاب كيف تخشعين في الصلاة لرقية المحارب:

ـ الاستعداد باللباس الحسن النظيف والتطيب والبعد عن الريح الكريهة.

ـ الاستعداد بإحكام ستر العورة.

ـ الاستعداد بإبعاد كل ما يشغلك سواء كان أمامك أو تلبسينه أو تسجدين عليه.

ـ الاستعداد باختيار مكان معتدل الحرارة وتجنب الصلاة في المكان الحار.

ـ الاستعداد للصلاة في المكان البعيد عن الإزعاج والضوضاء.

---

(١) السابق ٥١

ـ الاستعداد للصلاة بتفريغ قلبك من كل شغل.

ـ الاستعداد للصلاة بانتظارها.

ـ الاستعداد للصلاة بالنظر في حاجة جسمك الشاغلة لك وبقضائها قبل الشروع في الصلاة.

الخروج من قسوة القلب وإلف الاعتياد بعدة أمور

▫ أولها التنقل بين السنن

تقول «ولما كان القلب يقسو حينما يألف ما اعتاد عليه ولا يتأثر به لم يكن رسول اللَّه ﷺ يكتفي بهذا الاستفتاح فقد كان يستفتح الصلاة باستفتاحات متعددة».

▫ ثانيها التدبر للسنن والاذكار

تقول «فإذا قلت: «سمع اللَّه لمن حمده» ورفعت يديك حذو منكبيكِ اطمأن قلبك بأن اللَّه يسمع حمدك ولن تبخسي شيئًا فتحمدين اللَّه علىٰ ذلك قائلة: «ربنا ولك الحمد»، حمدًا علىٰ حمدكِ إياه وحمدًا علىٰ سماعه لك. لذا فلا يليق باللَّه علىٰ هذه النعمة إلا حمد عظيم ليس بعده حمد، فتقولين «ملء السموات وملء الأرض وملء كل ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد».

حمدٌ عظيمٌ حَمَدَ به خير المرسلين فلا يفوتكِ أن تتذكري، وأنت تحمدين اللَّه به أنه لا يقابل آلاءه ولا يوازي نعمه وذلك حق اللَّه وهو أهله فتقولين: «أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد «وهذا المقام مقام الربوبية مقام مستحق العبودية مقام اللَّه الذي لا إله معه ولا ندَّ له.

وتذكري أن الملائكة يصطفون لسماع حمدك ويبتدرونه أيهم يكتبه، فقد قال رجل من الصحابة كان يصلي خلف رسول اللَّه ﷺ: «ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه».

«لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا».

▫ تدبر الدعاء

ثم تقول: ومن روعة تدبر الدعاء تقولين: «رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني». وتستحضرين في دعائك هذا أنك مذنبة تحتاجين المغفرة، مسكينة تحتاجين إلىٰ الرحمة، وكسيرة تحتاجين الجبر، وضيعة تحتاجين الرفع، وضالة تحتاجين الهداية، مريضة مبتلاه تحتاجين العافية، فقيرة تحتاجين الرزق.

ومن سبل الإصلاح إيضاح مكانة الصلاة بين الترغيب والترهيب

أولا: ٣٧ مكانة للصلاة

بعض ما جاء في كتاب صلاة المؤمن مختصرا (سعيد بن وهف القحطاني)

١ ـ الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، ففي حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رأس الأمر الإسلام، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ». وإذا سقط العمود سقط ما بني عليه.

٢ ـ أول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فصلاح عمله وفساده بصلاح صلاته وفسادها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت صلح سائرُ عمله، وإن فسدت فسد سائرُ عمله».

٣ ـ الصلاة آخر ما يُفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه، فعن أبي أمامة مرفوعًا: «لتُنقضن عُرَىٰ الإسلام عُروة عُروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس

بالتي تليها، فأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة».

وفي رواية من طريق آخر: «أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخر ما يبقىٰ الصلاة، ورب مصلٍّ لا خير فيه».

٤ ـ آخر وصية أوصىٰ بها النبي ﷺ

٥ ـ مدح اللَّه القائمين بها ومن أمر بها أهله،

٦ ـ ذم اللَّه المضيعين لها والمتكاسلين عنها

٧ ـ أعظم أركان الإسلام ودعائمه العظام بعد الشهادتين

٨ ـ مما يدل علىٰ عظم شأنها أن اللَّه لم يفرضها في الأرض بواسطة جبريل

٩ ـ فرضت خمسين صلاة، وهذا يدل علىٰ محبة اللَّه لها،

١٠ ـ افتتح اللَّه أعمال المفلحين بالصلاة واختتمها بها،

١١ ـ أمر اللَّه النبي محمدًا ﷺ وأتباعه أن يأمروا بها أهليهم،

١٢ ـ أُمِرَ النائم والناسي بقضاء الصلاة

١٣ ـ سمىٰ اللَّه الصلاة إيمانًا.

١٤ ـ خصها بالذكر تمييزًا لها من بين شرائع الإسلام،

١٥ ـ قُرِنَت في القرآن الكريم بكثير من العبادات

١٦ ـ أمر اللَّه نبيه ﷺ أن يصطبر عليها،

١٧ ـ أوجبها اللَّه علىٰ كل حال، ولم يعذر بها مريضًا.

١٨ ـ اشترط اللَّه لها أكمل الأحوال: من الطهارة، والزينة باللباس، واستقبال القبلة مما لم يشترط في غيرها.

١٩ ـ استعمل فيها جميع أعضاء الإنسان: من القلب، واللسان، والجوارح، وليس ذلك لغيرها.

٢٠ ـ نهىٰ أن يشتغل فيها بغيرها، حتىٰ بالخطرة، واللفظة، والفكرة.

٢١ ـ هي دين اللَّه الذي يدين به أهل السموات والأرض، وهي مفتاح شرائع الأنبياء، ولم يُبْعَث نبيٌّ إلا بالصلاة.

٢٢ ـ قُرنت بالتصديق بقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢)﴾.

٢٣ ـ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر؛

٢٤ ـ أفضل الأعمال بعد الشهادتين؛

٢٥ ـ تغسل الخطايا

٢٦ ـ تكفّر السيئات؛

٢٧ ـ نور لصاحبها في الدنيا والآخرة؛

٢٨ ـ يرفع اللَّه بها الدرجات، ويحط الخطايا؛

٢٩ ـ من أعظم أسباب دخول الجنة برفقة النبي ﷺ

٣٠ ـ المشي إليها تكتب به الحسنات وترفع الدرجات وتحط الخطايا؛

٣١ ـ تُعدُّ الضيافة في الجنة بها كلما غدا إليها المسلم أو راح؛ لحديث أبي هريرة

٣٢ ـ يغفر اللَّه بها الذنوب فيما بينها وبين الصلاة

٣٣ ـ تكفر ما قبلها من الذنوب؛

٣٤ ـ تُصلِّي الملائكة علىٰ صاحبها ما دام في مُصلاّه،

٣٥ ـ انتظارها رباط في سبيل اللَّه؛

٣٦ ـ أجر من خرج إليها كأجر الحاج المحرم؛

٣٧ ـ إذا تطهر وخرج إليها فهو في صلاة حتىٰ يرجع،

وجميع ما ذكر أعلاه له أدلة من الآيات او الأحاديث ساقها المؤلف في كتابه

ثانيا: ٣٥ معنى من معانى الصلاة

ومن كتاب شرح معاني الصلاة (ماهر بن ياسين الفحل) بتصرف

الصـلاة:

١ ـ تصلح حال القلب.

٢ ـ تعود المرء الاستعانة باللَّه.

٣ ـ التوكل علىٰ اللَّه.

٤ ـ من عمل المعروف.

٥ ـ الإحسان والمناجاة.

٦ ـ الحمد والاستغفار.

٧ ـ أفضل ما يقرب به العبد.

٨ ـ زيادة الإيمان والصبر.

٩ ـ أعظم فروض الدين.

١٠ ـ أعظم فروض الدين.

١١ ـ ميزان الأعمال لا تصلح إلا بها.

١٢ ـ وصية رسول اللَّه ﷺ.

١٣ ـ أول ما يحاسب عل العبد.

١٤ ـ طاقة روحية تنقي القلب والعقل والروح.

١٥ ـ مكفرة الذنوب.

١٦ ـ الصلاة نور.

١٧ ـ عبادة الأمم والانبياء.

١٨ ـ موطن القربىٰ.

١٩ ـ راحة (تخفف الأحزان والهموم)

٢٠ ـ جنة القلوب والنفوس.

٢١ ـ الأنس والنعيم.

٢٢ ـ عماد الدين «من أول هنا منزلة الصلاة»

٢٣ ـ أول فريضة.

٢٤ ـ آخر ما يفقد من الدين.

٢٥ ـ آخر وصية.

٢٦ ـ موضع المدح والذم، مدح اللَّه القائمين وذم المضيعين.

٢٧ ـ أحبها اللَّه ففرضها خمسين في اليوم والليلة.

٢٨ ـ أمر اللَّه بها النائم والناسي «والخائف».

٢٩ ـ غذاء القلب.

٣٠ ـ تحفظ العبد من الفحشاء والمنكر.

٣١ ـ يستعان بها علىٰ عظائم الأمور.

٣٢ ـ تحفظ صاحبها في القبر.

٣٣ ـ تحرمه علىٰ النار.

٣٤ ـ عصمة من حر يوم القيامة.

٣٥ ـ الصلاة سبب لرؤية اللَّه تعال في الجنة.

✍ ومن معاني الإقامة للصلاة

وذكر الكاتب أن إقامة الصلاة ينبغي فيها:

١ ـ النية الصحيحة الصادقة.

٢ ـ التهيؤ.

٣ ـ الجماعة.

٤ ـ الاتقان للأركان.

٥ ـ الدعاء والتضرع.

٦ ـ التقصير والشعور به.

٧ ـ إكثار النوافل.

٨ ـ حب المساجد.

٩ ـ الحرص علىٰ الخشوع.

▫ **وعن فضائل الفاتحة:**

١ ـ أعظم سورة.

٢ ـ لم ينزل مثلها في القرآن ولا التوراة ولا الإنجيل.

٣ ـ مختصة بمناجاة الرب.

٤ ـ متضمنة لمقاصد الكتب المنزلة كلها.

٥ ـ شفاء من كل داء.

٦ ـ لا صلاة بدونها.

٧ ـ نور وسرور وبشارة.

٨ ـ تقوىٰ القلب علىٰ التحمل والثبات.

٩ ـ تشمل ركائز العبودية الكلية والتوحيد وموضوعات الدين.

▫ **ومن لطائف المعاني:**

«إن ترك الصلاة في جوف الليل هو من أعظم الأسباب فيما أصاب الناس من وهن وضعف وانحراف»،،.

«إن الصلاة هي السلاح الذي يجب أن يسعىٰ المسلمون إلىٰ التسلح به، وهي ترهب الأعداء وتقذف الرعب في قلوبهم» (قلت: لعل من أسرار الفتح لبلاد فارس والروم التي عجز الناس عنها هو هذا السلاح: الصلاة، فهل صلاتنا الآن تصلح أن تكون سلاحا؟

الصلاة التي تقر بها العين ويستريح بها القلب هي التي تجمع ستة مشاهد:

١ ـ الإخلاص.

٢ ـ الصدق في النصح.

٣ ـ المتابعة والاقتداء.

٤ ـ الإحسان.

٥ ـ المنة.

٦ ـ التقصير[١].

ومن لطائف السجود مرتين أن الشيطان أمر بالسجود فلم يسجد، ونحن نسجد مرتين طاعة للَّه وترغيما له، وقيل: لفضل السجود. «واسجد واقترب»

في دعاء الاستفتاح ثلاث مراتب مع الخطايا: المباعدة ومحوها ومحو آثارها.

المباعدة عنها قبل أن تقع، ومحوها بالمغفرة بعد أن وقعت، ومحو آثارها بعد مغفرتها.

باعد بين خطاياي، نقني، اغسلني.

وتبارك اسمك اسم اللَّه يدخل البركة علىٰ كل شيء ذكر عليه، ولعله جاء لزيادة بركة الصلاة واللَّه أعلم.

في الاستعاذة اعتراف من العبد بضعفه وحاجته إلىٰ ربه ليقيه الشيطان في ثلاث آيات ليس لهن رابعة في الاستعاذة (الأعراف، المؤمنون، فصلت) وهو أن اللَّه يأمر بالمصانعة للعدو الأنسي

---

(١) رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه ص٣٩ ـ ٥٥

والإحسان له ليرده عنه طبعه الطيب إلىٰ المولاة والمصفاة، ويأمر بالاستعاذة من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولايبتغي غير هلاك بني آدم.[(١)]

✍ **ذوق الصلاه**

ومن كتاب «ذوق الصلاة عند ابن القيم»

• قال ابن القيم قال شيخ الإسلام ابن تيمية قَدَّسَ ٱللَّهُ رُوحَهُ: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال اللَّه العون علىٰ مرضاته ثم رأيته في الفاتحة «إياك نعبد وإياك نستعين»[(٢)]

• «إياك نعبد وإياك نستعين «نوعي التوحيد وتضمنت التعبد باسم الرب واسم اللَّه، فهو يعبد بألوهيته ويستعين بربوبيته ويهدي إلىٰ الصراط المستقيم برحمته.

• ابن تيمية: إياك نعبد الغاية وإياك نستعين الوسيلة.

• دواء الرياء إياك نعبد، ودواء الكبر إياك نستعين.

• الركوع والسجود سبيل الفلاح والتوفيق «اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون».

• قال الحليمي: «معنىٰ الصلاة علىٰ النبي ﷺ تعظيمه: تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وتعظيمه في الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود.[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير صـ ١١٠ جـ ١.

(٢) عادل الزرقي: ذوق الصلاة عند ابن القيم ص ٦٤

(٣) الحليمي: المنهاج في شعب الإيمان

إصلاح الصلاة وابن القيم

وصف ابن القيم حال الاقبال على الصلاة وحال الانتهاء منها

قال ابن القيم في كتابه «طريق الهجرتين» في بحث ترتيب عبادة الصالحين حين دخول وقت الصلاة ما نصَّه:

فإذا جاءَ فرض الظهر بادر إليه مكملا له ناصحا فيه لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه الذى قد طلب منه أن يعمل له شيئا ما، فهو لا يبقى مجهودا، بل يبذل مقدوره كله في تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعا من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحى العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون في عمله هكذا، وهو يرى المحبين في أشغال محبوبيهم من الخلق كيف يجتهدون [في إيقاعها] على أحسن وجه وأكمله، بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة، ومن أنصف نفسه وعرف أعماله استحى من اللَّه أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئا إلا فعله.

وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه في جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفى هذا المقام حقه، فهو أبدا [يستغفر اللَّه عقيب كل عمل وكان النبى ﷺ] إذا سلم من الصلاة استغفر اللَّه ثلاثا، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾ [الذاريات][1].

---

(١) ابن القيم: طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢١٤

ومن كتاب الصلاة وحكم تاركها قال ابن القيم :

«قال الأمام أحمد : إنما حظُّهُم من الإسلام علىٰ قدر حظّهم من الصّلاة ، ورغبتهم في الإسلام علىٰ قدر رغبتهم في الصّلاة ، فاعرف نفسك يا عبد اللَّه ، احذر أن تلقىٰ اللَّه ﷻ ولا قدر للإسلام عندك ، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصّلاة في قلبك»

وقال الإمام أحمد أيضا : «واعلموا أنه لو أن رجلا أحسن الصّلاة ، فأتمّها وأحكمها ، ثم نظر إلىٰ مَنْ أساء في صلاته وضيَّعها ، وسبق الإمامَ فيها ، فسكت عنه ، ولم يعلّمه إساءته في صلاته ومسابقته الإمام فيها ، ولم ينهه عن ذلك ، ولم ينصحه ، شاركه في وزرها وعارها . فالمحسن في صلاته ، شريك المسيء في أساءته ، إذا لم ينهه ولم ينصحه»

✍ الاستشفاء بالصلاة

وَقَدْ ذَكَرَ الإمامُ ابن القَيّم رَحِمَهُ اللَّهُ عُمُومَ الِاسْتِشْفَاءِ بِالصّلَاةِ مِنْ عَامّةِ الْأَوْجَاعِ قَبْلَ اسْتِحْكَامِهَا فقَال : «وَالصّلَاةُ مُجْلِبَةٌ لِلرّزْقِ ، حَافِظَةٌ لِلصّحّةِ ، دَافِعَةٌ لِلْأَذَىٰ ، مُطْرِدَةٌ لِلْأَدْوَاءِ ، مُقَوّيَةٌ لِلْقَلْبِ ، مُبَيّضَةٌ لِلْوَجْهِ ، مُفْرِحَةٌ لِلنّفْسِ ، مُذْهِبَةٌ لِلْكَسَلِ ، مُنَشّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ ، مُمِدّةٌ لِلْقُوَىٰ ، شَارِحَةٌ لِلصّدْرِ ، مُغَذّيَةٌ لِلرّوحِ ، مُنَوّرَةٌ لِلْقَلْبِ ، حَافِظَةٌ لِلنّعْمَةِ ، دَافِعَةٌ لِلنّقْمَةِ ، جَالِبَةٌ لِلْبَرَكَةِ ، مُبْعِدَةٌ مِنْ الشّيْطَانِ ، مُقَرّبَةٌ مِنْ الرّحْمَنِ

وَبِالْجُمْلَةِ : فَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ صِحّةِ الْبَدَنِ وَالْقَلْبِ ، وَقُوَاهُمَا ، وَدَفْعِ الْمَوَادّ الرّدِيئَةِ عَنْهُمَا ، وَمَا ابْتُلِيَ رَجُلَانِ بِعَاهَةٍ ، أَوْ دَاءٍ ، أَوْ مِحْنَةٍ ، أَوْ بَلِيّةٍ ، إلّا كَانَ حَظّ الْمُصَلّي مِنْهُمَا أَقَلّ ، وَعَاقِبَتُهُ أَسْلَمَ

وَلِلصّلَاةِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي دَفْعِ شُرُورِ الدّنْيَا ، وَلَا سِيّمَا إذَا أُعْطِيَتْ

حَقّهَا مِنْ التكميل ظاهرا وباطنا، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللَّهِ ﷻ، وَعَلَىٰ قَدْرِ صِلَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ ﷻ تُفْتَحُ عَلَيْهِ مِن الْخَيْرَاتِ أَبْوَابُهَا، وَتُقْطَعُ عَنْهُ مِن الشّرُورِ أَسْبَابُهَا، وَتُفِيضُ عَلَيْهِ مَوَادّ التّوْفِيقِ مِنْ رَبّهِ ﷻ، وَالْعَافِيَةُ، وَالصّحّةُ، وَالْغَنِيمَةُ، وَالْغِنَىٰ، وَالرّاحَةُ وَالنّعِيمُ، وَالْأَفْرَاحُ وَالْمَسَرّاتُ، كُلّهَا مُحْضَرَةٌ لَدَيْهِ وَمُسَارِعَةٌ إلَيْهِ». (١)

✍ أقسام الناس في الصلاة عند ابن القيم

الناس في الصلاة أقسام خمسة:

• القسم الأول: مرتبة الظالم لنفسه المُفرّط: وهو الذي انتقص من وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

• القسم الثاني: من يحافظ علىٰ مواقيتها، وحدودها، وأركانها الظاهرة، ووضوئها، لكن قد ضيّع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

• القسم الثالث: من حافظ علىٰ حدودها، وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوّه؛ لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

• القسم الرابع: من إذا قام إلىٰ الصلاة أكمل حقوقها، وأركانها، وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يضيع شيئا منها؛ بل همه كله مصروف إلىٰ إقامتها كما ينبغي، وإكمالها، وإتمامها قد استغرق قلبه شأن الصلاة، وعبوديّة ربه ﷻ فيها.

---

(١) ابن القيم: الطب النبوىٰ ص٢٥٠ ـ ٢٥١

• القسم الخامس: من إذا قام إلىٰ الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه، ووضعه بين يدي ربه ﷻ ناظرا بقلبه إليه، مراقبا له، ممتلئا من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل، وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ، قرير العين به.

فالقسم الأول معاقبٌ، والثاني محاسبٌ، والثالث مكفَّرٌ عنه، والرابع مُثابٌ، والخامس مُقَرَّبٌ من ربّه؛ لأن له نصيبا ممن جُعِلَتْ قرّة عينه في الصلاة، فمن قرّت عينه بصلاته في الدنيا، قرَّت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقرّت عينه أيضا به في الدنيا، ومن قرَّت عينه باللَّه، قرّت به كل عين، ومن لم تقرَّ عينه باللَّه تعالىٰ، تقطَّعت نفسه علىٰ الدنيا حسرات

وإنما يقوىٰ العبد علىٰ حضوره في الصلاة، واشتغاله فيها بربه ﷻ إذا قهر شهوته وهواه، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة، وأسره الهوىٰ، ووجد الشيطان فيه مقعدا تمكن فيه، كيف يخلص من الوساوس والأفكار؟[1].

ومن إصلاح الصلاة الدعاء قبلها عونا على صلاح القلب وفتح الله لعبده

لقد ورد عن النبي ﷺ في كل خطوة قبل الصلاة العديد من الأذكار والدعاء لاستحضار القلب والتفرغ للصلاة ولما اهملنا قلوبنا قبل الصلاة جاءت الصلاة نقرا وغفلة وجفوة.

---

(١) ابن القيم: الوابل الصيب ص ٢٣

- عند سماع الأذان وبعد الأذان
- عند الوضوء وبعد الوضوء
- عند الذهاب الىٰ المسجد وعند دخول المسجد
- عند سماع الإقامة وعند الاستفتاح

وأكتفي بالتذكير بدعاء واحد عند المشي الىٰ المسجد بعضة في صحيح مسلم وبعضه في السنن:

«اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، ومن أمامي نورا، ومن خلفي نورا، واجعل في نفسي نورا، وأعظم لي نورا، وعظِّم لي نورا، واجعل لي نورا، واجعلني نورا، اللهم أعطني نورا، واجعل في عصبي نورا، وفي لحمي نورا، وفي دمي نورا، وفي شعري نورا، وفي بشري نورا».

إصلاح الصلاة من دروس الشيخ عبد الرحيم الطحان

يقول الشيخ: ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﵁ قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه أي العمل أحب إلي اللَّه ﷻ؟ قال: الصلاة علي وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل اللَّه. يقول عبد اللَّه بن مسعود ﵁ حدثني بهن رسول اللَّه ﷺ ولو استزدته لزادني.

أعظم حقوق اللَّه عليك بعد توحيده الصلاة وأحب شيء إلي اللَّه تفعله في هذه الصلاة أن تؤدي الصلاة في أول وقتها.

تحقيق أول ما يرفع في هذه الأمة الحكم ام الخشوع

ويقول: نعم سيأتي علىٰ الناس زمان كما ثبت في مستدرك الحاكم بسند صحيح عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص موقوفا عليه وله حكم الرفع إلىٰ نبينا ﷺ سيأتي علىٰ الناس زمان يجتمعون فيه في المسجد ليس فيه مؤمن يؤذنون ويصلون وليس فيهم من يؤمن بالحي القيوم.

والحديث ثابت في المستدرك بسند صحيح كالشمس أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتىٰ إنك لتدخل المسجد الجامع فلا ترىٰ فيه رجلا خاشعا هذا أول ما يرفع من هذه الأمة.

إخوتي الكرام ولا يتعارض هذا الأثر مع الأثر المصرح فيه بأن أول ما يرفع في هذه الأمة وينقض من أحكام الإسلام الحكم بما أنزل اللَّه، لا تعارض بين الأمرين وقد أشار نبينا ﷺ إلىٰ الأمر الثاني، أذكر دليله وأقرره ثم أجمع بين الأمرين إن شاء اللَّه.

أخرج الإمام أحمد في المسند، والحديث في معجم الطبراني، وصحيح ابن حبان من رواية أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أحمد في المسند عن فيروز الديلمي، ورواية أبي أمامة في درجة الحسن عن نبينا ﷺ أنه قال لتنقضن عرىٰ الإسلام عروة عروة فأولها نقضا الحكم وآخرها الصلاة.

أول ما ينقض من حيث الظاهر الحكم وآخر ما يبقىٰ من شعائر الإسلام الصلاة، لكن ليصلين أقوام ولا دين لهم، فأول ما رفع الخشوع، وهذا أمر بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا اللَّه، وما فساد الحكم إلا من ضياع هيبة الرب من القلب عندما لم يخشع الناس في صلاتهم ولم يعظموا الهيبة لربهم جَلَّ وَعَلَا وأفسدوا الصلة بينهم وبين

ربهـم سـلط علـيهم الفاسـدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ فأول ما يرفع الخشوع وهذا أمر باطني، وأما هذه الصلاة أي التي هي شعيرة ظاهرة بحركات واضحة معلومة مرئية تبقىٰ وهي آخر شعائر الإسلام بقاء، أما الحكم فسيضيع بعد الخشوع، لكن فساد الحكم واضح ظاهر للعيان ولذلك أولها نقضا أي من حيث الظاهر، وأما من حيث الواقع أول ما يفقد في هذه الأمة الخشوع وأنك لا ترىٰ في المسجد خاشعا وكون الحاكم سيفسد والأمانة ستضيع.

إخوتي الكرام.

لابد من الأمر الثاني ألا وهو حضور القلب بين يدي اللَّه ﷻ، صلاة في وقتها مع حضور القلب ومناجاة اللَّه فيها.

الأمر الثالث الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان في صلاته ليتحقق فيه وصف إقامة الصلاة أنه إذا خشع قلبك فينبغي أن تخشع جوارحك وأن يسكن بدنك وأن لا تتحرك خلال صلاتك، اضبط عينيك واضبط سائر جوارحك واضبط فمك أتدري بين يدي من أنت، أنت بين يدي رب العالمين بين يدي أحكم الحاكمين بين يدي الإله العظيم الذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون، أنت بين يدي من لو عذب الخليقة بأسرهم لما اعترض عليه معترض ولا منعه مانع.

اعلم أنت بين يدي من بين يدي الجبار بين يدي العزيز القهار فتأدب إذا كان الناس يتأدبون في مناجاة الملوك والأمراء فتأدب عند مناجاة رب الأرض والسماء، حذار من حركة اليد والرجل أو نظرة عين كل هذا نهينا عنه، وإذا لم يخشع الظاهر فسلام سلام علىٰ خشوع الباطن، إن خشوع الظاهر يدل علىٰ خشوع الباطن أما عدم خشوع الظاهر فهذا

دليل قوي علىٰ عدم خشوع الباطن.

استحضر هذا أيها المصلي عندما تقرأ هذه الآية ينبغي أن ينخلع القلب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وأما أن تقول إياك نعبد وأنت تعبد الريال، وأنت تعبد المرأة، وأنت تعبد الهوىٰ وأنت تعبد الشهوة، وذهنك غاب عما تناجي به ربك فهذا حقيقة مما ينبغي أن يستحي منه الإنسان إياك نعبد.

الأربعة التي يجب ضبطها للخشوع في الصلاة

ومن ضبط هذه الأمور الأربعة فهو صديقٌ: لا يخطر في قلبه إلا حق يرضاه اللَّه، ولا ينظر إلا إلىٰ حلال أحله اللَّه، ولا يمشي إلا لمباح أحله وشرعه اللَّه، وبعد ذلك لا يتكلم إلا بما يحب اللَّه.

حقيقة إذا حصنت نفسك خارج الصلاة ستتلذذ في الصلاة وأما وهذه المنافذ مفتوحة والشياطين تدخل فيها من كل جهة ثم بعد ذلك إذا صليت تقول لا أجد حلاوة الصلاة؟! يا عبد اللَّه ألا سددت منافذ الشيطان خارج الصلاة؟ أضبط خطراتك ولحظاتك وخطواتك ولفظاتك.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾

إخوتي الكرام إن أسباب الخوف كثيرة وفيرة وهي علىٰ تعددها يمكن أن تحصر في ثلاثة أسباب

- أولها: تعظيم اللَّه جَلَّ وَعَلَا وإجلاله.
- ثانيها: الخشية من التفريط الذي يتصف به الإنسان نحو ذي الجلال والإكرام سواء كان ذلك التفريط متعلقا بفعل الطاعات أو ارتكاب المحظورات

• ثالثها: وهو الذي يقطع قلوب الصالحين والصديقين خشية سوء الخاتمة.

إن الخوف من اللَّه إجلالا له وتعظيما له هو أعلىٰ أنواع الخوف ذلك لمن خاف مقامي،

ذلك لمن خاف قيام اللَّه عليه بالاطلاع والمراقبة والإحاطة والقهر والسيطرة فأنت في قبضته وجميع من في هذا الكون من عرشه إلىٰ فرشه تحت حكم اللَّه جَلَّ وَعَلَا.

ذلك لمن خاف قيام اللَّه عليه بالمراقبة والإحاطة والقهر والسيطرة.

ذلك لمن خاف مقامي المصدر مضاف إلىٰ المفعول إلىٰ من خاف قيامه بين يدي في هذه الحياة وبعد الممات يعلم أنه فقير محتاج إلي في جميع الأوقات.

ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ذكر اللَّه نوعين من الخوف قدم الخوف منه إجلالا له إلا الخوف من وعيده وعقابه وناره ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد.

روىٰ عن العبد الصالح يحيىٰ بن معاذ الرازي الذي توفي سنة ٢٥٨ هـ وهو من العلماء الربانيين الصالحين في هذه الأمة وكان يقول: لا يزال العبد مقرونا بالتواني مادام مقيما علىٰ الأماني.

ومن كلامه المحكم: «عمل كالسراب ـ يعني لا حقيقة له مشوب بالأخلاط والآفات ـ وقلب من التقوىٰ خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع بالكواعب الأتراب والنظر إلىٰ وجهه الكريم الوهاب، هيهات هيهات أنت سكران من غير شراب»

ثم يقول «ما أجلّك لو بادرت أجلك، ما أقواك لو خالفت هواك «

إصلاح الصلاة من كتب ورسائل الشيخ العثيمين

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

«هذه الصلاة التي هي أعمال يسيرة، وذات آثار حميدة لو أننا أحصينا المدة التي يكون فيها أداء الصلاة بشرائطها وفروضها فكم تكون نسبة وقتها إلىٰ أوقاتنا؟

تكون علىٰ أقصىٰ تقدير ٦,٢٥٪ من اليوم، فهذا جزء بسيط في عمل عظيم جليل له آثار حميدة علىٰ الإنسان في حياته، وفي قبره، وفي حشرة، قال النبي ﷺ: «الصلاة نور». أي نور علىٰ القلب، وإذا استنار القلب استنار الوجه وانشرح الصدر، ولهذا قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وإذا حزب الإنسان أمر وضاق عليه فإنه يفزع إلىٰ الصلاة، وذلك لأن القلب يستنير بالصلاة، فيستنير الوجه وينشرح الصدر، ويجد الإنسان الدنيا أمامه سعة ولا نهاية لها.

والصلاة نور في القبر، والقبر ظلمة لا يرىٰ الإنسان شمسا ولا قمرا، فإذن كان الإنسان من المصلين كان قبره نورا، وكذلك هي نور في الحشر، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

وكانت الصلاة نورا، لأن الإنسان يتصل بها باللَّه عَزَّوَجَلَّ فالإنسان عندما يقف ليصلي، فإنه يناجي ربه عَزَّوَجَلَّ، وهو علىٰ عرشه يسمعه ويجيبه، كما قال عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: الحمد للَّه رب العالمين، قال اللَّه حمدني عبدي. فإذا قال:

الرحمن الرحيم، قال اللَّه ﷻ، أثني علي عبدي. فإذا قال مالك يوم الدين، قال اللَّه: مجدني عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين قال اللَّه: هذا بيني وبين عبدي نصفين. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم. قال اللَّه: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

واللَّه إن أثر هذه المناجاة عظيم لا يعدله شيء، ولكن نشكو إلىٰ اللَّه ﷻ ما نجده في قلوبنا من الغفلة واللهو، ولا سيما إذا وقفنا بين يديه في الصلاة لا نجد الوساوس والهواجس التي تعتبر لغوا من التفكريات، إلا إذا دخلنا الصلاة، لأن الشيطان في تلك الحال يحرص غاية الحرص علىٰ أن يصدنا عن اللَّه ﷻ، وعن الصلة به، من أجل هذه الصلة كانت الصلاة نورا يكتسب بها الإنسان نورا في قلبه، ويبدو ذلكم علىٰ وجهه، ثم في قبره وحشرة.

إقامة الصلاة وهو أن يأتي بها الإنسان مستقيمة علىٰ الوجه الذي جاءت به الشريعة»(١)

وأخيرا ترقيق القلوب للتسبيح في الصلاة من موسوعة فقه القلوب

«فالكون كله يسبح اللَّه عبودية وطاعة للَّه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الاسراء].

إن كل ذرة في هذا الكون الكبير تنتفض روحا حية، تسبح اللَّه، فإذا الكون كله حركة وحياة، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة ترتفع في جلال ودوام إلىٰ الخالق الكبير المتعال.

---

(١) مجموع فتاوىٰ ورسائل ابن عثيمين ١٧٨/٣٠

وإنه لمشهد كوني فريد حين يتصور القلب كل حصاة، وكل حجر، وكل ذرة، وكل حبة، وكل ورقة، وكل زهرة، وكل ثمرة، وكل نبتة، وكل شجرة، وكل حشرة، وكل زاحفة، وكل طير، وكل حيوان، وكل إنسان، وكل دابة علىٰ الأرض، وكل سابح في الماء، وكل طير في الهواء، وكل مختبئ في الأرض، ومع هؤلاء سكان السماوات، وكلها تسبح اللَّه، وتتوجه إليه في علاه ناطقة بحمده، مسلمة لأمره: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة].

وإن القلب ليرجف، وإن الوجدان ليرتعش، وهو يستشعر الحياة تدبُّ في كل ما حوله فيما يراه وفيما لا يراه.

وكلما همت يده أن تلمس شيئا، وكلما همت رجله أن تطأ شيئا، وكلما همت عينه أن ترىٰ شيئا، سمعه يسبح اللَّه، وينبض بالحياة، ويدين لربه بالطاعة.

ألا ما أجهل البشر، وما أعظم غفلتهم، وما أشد تقصيرهم.

إن كل ذرة في هذا الكون تسبح اللَّه ﷻ.

فأين البشر في ظل هذا الموكب العظيم من الكائنات والمخلوقات العظيمة الهائلة التي تسبح بحمد اللَّه؟

إن البشر في جحود، وفي غفلة.

إن الروح حين تشف وتصفو، فتسمع لكل متحرك أو ساكن، وهو ينبض بالروح، ويتوجه بالتسبيح لبارئه وفاطره، فإنها تتهيأ للاتصال بالملأ الأعلىٰ، وتدرك من أسرار الوجود ما لا يدركه الغافلون.

إن العبادة في الإسلام ليست هي مجرد الشعائر فقط، إنما هي كل عمل، كل نشاط، كل حركة، كل خالجة، كل نية، كل اتجاه، وإنها لمشقة أن يتجه الإنسان في هذا كله إلىٰ اللَّه وحده دون سواه، وأن يتجرد من كل شاغل، ومن كل هاتف، ومن كل التفات.

وإنها مع المشقة للذة لا يعرفها إلا من ذاق طعمها، ولكنها لا تنال إلا بتلك المشقة، وإلا بالتجرد لها، وإلا بالصبر عليها.

إنها مشقة تحث إلىٰ الصبر والاصطبار ليتوجه القلب في كل نشاط من نشاط[1].

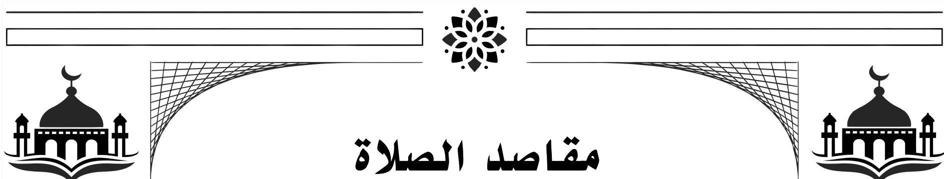


---

(١) موسوعة فقه القلوب ٢/١٧٣٧ ـ ١٧٣٨

الباب الثالث

فصول الفضول



مقاصد الصلاة

المقدّمة

وهذا الباب فيه مزيد علم وبحث وأقوال العلماء واختلافهم وردودهم علىٰ مسائل الصلاة منها هل من لم يخشع في صلاته وغلبه الوسواس يجب عليه إعادة الصلاة؟ وهل تقبل صلاته أم لا؟ ثم الكلام علىٰ النقارين ومقدار وكيفية القراءة عند ابن القيم، ثم عرض لكلام الغزالي الرائع في رده علىٰ الفقهاء، ثم بيان تطبيقي لصلاة ابن القيم مع مقدمته لأدوية القلب، ثم ننتقل الىٰ الحبر الكبير ابن تيمية وقواعده النورانية نقدم لها بروائع الموفق إبراهيم عمر السكران، ثم نختم بوهف القحطاني وتأصيله لصلاة المؤمن.

الاختلاف في الخشوع

يقول ابن القيم: «. . وَمِنْ هَذَا أَيْضًا اخْتِلَافُهُمْ فِي الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ، وَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْفُقَهَاءِ، وَهُمَا فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ. وَعَلَىٰ الْقَوْلَيْنِ اخْتِلَافُهُمْ فِي وُجُوبِ الْإِعَادَةِ عَلَىٰ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَسْوَاسُ فِي صَلَاتِهِ، فَأَوْجَبَهَا ابن حَامِدٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَأَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَائِهِ، وَلَمْ يُوجِبْهَا أَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ. وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ مَنْ سَهَا فِي صَلَاتِهِ بِسَجْدَتَيِ السَّهْوِ وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالْإِعَادَةِ مَعَ قَوْلِهِ «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فِي صِلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ حَتَّىٰ يَضِلَّ الرَّجُلُ أَنْ يَدْرِيَ كَمْ صَلَّىٰ».

وَلَكِنْ لَا نِزَاعَ أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يُثَابُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا بِقَدْرِ حُضُورِ قَلْبِهِ وَخُضُوعِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ لِيَنْصَرِفُ مِنَ الصَّلَاةِ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا نِصْفُهَا، ثُلُثُهَا، رُبْعُهَا حَتَّىٰ بَلَغَ عُشْرَهَا» وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا، فَلَيْسَتْ صَحِيحَةً بِاعْتِبَارِ تَرَتُّبِ كَمَالِ مَقْصُودِهَا عَلَيْهَا، وَإِنْ سُمِّيَتْ صَحِيحَةً بِاعْتِبَارِ أَنَّا لَا نَأْمُرُهُ بِالْإِعَادَةِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَّقَ لَفْظُ الصِّحَّةِ عَلَيْهَا، فَيُقَالُ صَلَاةٌ صَحِيحَةٌ مَعَ أَنَّهُ لَا يُثَابُ عَلَيْهَا فَاعِلُهَا.»(١)

مَنْزِلَةُ الْخُشُوعِ:

وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] مَنْزِلَةُ الْخُشُوعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] قَالَ ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ، وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَىٰ رَأْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١]. وَالْخُشُوعُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الِانْخِفَاضُ، وَالذُّلُّ، وَالسُّكُونُ، قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨] أَيْ سَكَنَتْ، وَذَلَّتْ، وَخَضَعَتْ، وَمِنْهُ وَصْفُ الْأَرْضِ بِالْخُشُوعِ، وَهُوَ يُبْسُهَا، وَانْخِفَاضُهَا، وَعَدَمُ ارْتِفَاعِهَا بِالرَّيِّ وَالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

---

(١) ابن القيم: مدارج السالكين ١/ ١٣٢

وَالْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَي الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ وَقِيلَ: الْخُشُوعُ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُوعِ. فَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ. وَقِيلَ: الْخُشُوعُ خُمُودُ نِيرَانِ الشَّهْوَةِ، وَسُكُونُ دُخَانِ الصُّدُورِ، وَإِشْرَاقُ نُورِ التَّعْظِيمِ فِي الْقَلْبِ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ. وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَىٰ الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ، «وَرَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ، وَرَأَىٰ بَعْضُهُمْ رَجُلًا خَاشِعَ الْمَنْكِبَيْنِ وَالْبَدَنِ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، الْخُشُوعُ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ صَدْرِهِ، لَا هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَىٰ مَنْكِبَيْهِ. وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَهُوَ حُذَيْفَةُ، يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَخُشُوعَ النِّفَاقِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَىٰ الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ،

وَرَأَىٰ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا طَأْطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: يَا صَاحِبَ الرَّقَبَةِ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ، إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقُلُوبِ،

وَرَأَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شَبَابًا يَمْشُونَ وَيَتَمَارَوْنَ فِي مِشْيَتِهِمْ، فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهَا: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: نُسَّاكٌ، فَقَالَتْ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا مَشَىٰ أَسْرَعَ، وَإِذَا قَالَ أَسْمَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ، وَإِذَا أَطْعَمَ أَشْبَعَ، وَكَانَ هُوَ النَّاسِكَ حَقًّا،

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ مِنَ الْخُشُوعِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ، وَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَىٰ فِيهِمْ خَاشِعًا، وَقَالَ سَهْلٌ: مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ.

وَالْحَقُّ أَنَّ الْخُشُوعَ مَعْنًىٰ يَلْتَئِمُ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ(١)

فَصْلٌ. فَإِنْ قِيلَ: مَا تَقُولُونَ فِي صَلَاةٍ مِنْ عَدَمِ خُشُوعٍ هَلْ يُعْتَدُّ بِهَا أَمْ لَا؟ قِيلَ: أَمَّا الِاعْتِدَادُ بِهَا فِي الثَّوَابِ فَلَا يُعْتَدُّ لَهُ فِيهَا إِلَّا بِمَا عَقِلَ فِيهِ مِنْهَا، وَخَشَعَ فِيهِ لِرَبِّهِ.

✍ هل تقبل صلاع بلا خشوع

وَقَدْ عَلَّقَ اللَّهُ فَلَاحَ الْمُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ، وَلَوِ اعْتَدَّ لَهُ بِهَا ثَوَابًا لَكَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ. وَأَمَّا الِاعْتِدَادُ بِهَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَسُقُوطِ الْقَضَاءِ

فَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهَا الْخُشُوعُ وَتَعَقَّلَهَا اعْتُدَّ بِهَا إِجْمَاعًا، وَكَانَتِ السُّنَنُ، وَالْأَذْكَارُ عَقِيبَهَا جَوَابِرَ وَمُكَمِّلَاتٍ لِنَقْصِهَا.

وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الْخُشُوعِ فِيهَا، وَعَدَمُ تَعَقُّلِهَا، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِ إِعَادَتِهَا، فَأَوْجَبَهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَأَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ فِي إِحْيَائِهِ، لَا فِي وَسِيطِهِ وَبَسِيطِهِ.

وَاحْتَجُّوا بِأَنَّهَا صَلَاةٌ لَا يُثَابُ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضْمَنْ لَهُ فِيهَا الْفَلَاحُ، فَلَمْ

---

(١) السابق ١/٥١٦ ـ ٥١٨

تَبْـرَأْ ذِمَّـتُهُ مِـنْهَا، وَيَـسْقُطُ الْقَـضَاءُ عَـنْهُ كَـصَلَاةِ الْمُرَائِـي. قَالُـوا: وَلِأَنَّ الْخُـشُوعَ وَالْعَقْـلَ رُوحُ الـصَّلَاةِ وَمَقْـصُودُهَا وَلُـبُّهَا، فَكَـيْفَ يُعْـتَدُّ بِـصَلَاةٍ فَقَدَتْ رُوحَهَا وَلُبَّهَا، وَبَقِيَتْ صُورَتُهَا وَظَاهِرُهَا؟.

قَالُـوا: وَلَـوْ تَـرَكَ الْعَـبْدُ وَاجِـبًا مِـنْ وَاجِـبَاتِهَا عَمْـدًا لَأَبْطَلَهَـا تَـرْكُهُ. وَغَايَتُهُ: أَنْ يَكُونَ بَعْضًا مِنْ أَبْعَاضِهَا بِمَنْزِلَةِ فَوَاتِ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ الْمُعْـتَقِ فِـي الْكَفَّـارَةِ، فَكَـيْفَ إِذَا عَـدِمَتْ رُوحَهَـا، وَلُـبَّهَا وَمَقْـصُودَهَا؟ وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ، إِذَا لَـمْ يُعْتَدَّ بِالْعَبْدِ الْمَقْطُوعِ الْيَدِ، يَعْتِقُهُ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللَّهِ تَعَالَىٰ فِي كَفَّارَةٍ وَاجِبَةٍ، فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بِالْعَبْدِ الْمَيِّتِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الصَّلَاةُ كَجَارِيَةٍ تُهْدَىٰ الىٰ الْمُلُوكِ، فَمَا الظَّنُّ بِمَـنْ يَهْـدِي إِلَـيْهِ جَارِيَـةً شَـلَّاءَ، أَوْ عَـوْرَاءَ، أَوْ عَمْـيَاءَ، أَوْ مَقْطُـوعَةَ الْـيَدِ وَالرِّجْلِ، أَوْ مَرِيضَةً، أَوْ دَمِيمَةً، أَوْ قَبِيحَةً، حَتَّىٰ يُهْدِيَ إِلَيْهِ جَارِيَةً مَيِّتَةً بِلَا رُوحٍ وَجَارِيَةً قَبِيحَةً، فَكَيْفَ بِالصَّلَاةِ الَّتِي يُهْدِيهَا الْعَبْدُ، وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَىٰ رَبِّهِ تَعَالَىٰ؟ وَاللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَيْسَ مِنَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ صَلَاةٌ لَا رُوحَ فِيهَا، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعِتْقِ الطَّيِّبِ عِتْقُ عَبْدٍ لَا رُوحَ فِيهِ.

قَالُـوا: وَتَعْطِـيلُ الْقَلْـبِ عَـنْ عُـبُودِيَّةِ الْحُـضُورِ وَالْخُـشُوعِ: تَعْطِـيلٌ لِمَلِكِ الْأَعْضَاءِ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ، وَعَزْلٌ لَهُ عَنْهَا، فَمَاذَا تُغْنِي طَاعَةُ الرَّعِيَّةِ وَعُبُودِيَّتُهَا، وَقَدْ عُزِلَ مِلْكُهَا وَتَعَطَّلَ؟. قَالُوا: وَالْأَعْضَاءُ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ، تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ، وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَائِمًا بِعُبُودِيَّتِهِ، فَالْأَعْضَاءُ أَوْلَـىٰ أَنْ لَا يُعْـتَدَّ بِعُبُودِيَّـتِهَا، وَإِذَا فَـسَدَتْ عُبُودِيَّـتُهُ بِالْغَفْلَـةِ وَالْوَسْـوَاسِ فَأَنَّـىٰ تَـصِحُّ عُبُودِيَّةُ رَعِيَّتِهِ وَجُنْدِهِ وَمَادَّتُهُمْ مِنْهُ، وَعَنْ أَمْرِهِ يُصْدِرُونَ، وَبِهِ يَأْتَمِرُونَ؟.

قَالُوا: وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِ، مَرْفُوعًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ

الدُّعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ» وَهَذَا إِمَّا خَاصٌّ بِدُعَاءِ الْعِبَادَةِ، وَإِمَّا عَامٌّ لَهُ وَلِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ، وَإِمَّا خَاصٌّ بِدُعَاءِ الْمَسْأَلَةِ الَّذِي هُوَ أَبْعَدُ، فَهُوَ تَنْبِيهٌ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ الَّذِي هُوَ خَاصٌّ حَقُّهُ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ.

قَالُوا: وَلِأَنَّ عُبُودِيَّةَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ فِي الْغَالِبِ لَا تَكُونُ مُصَاحِبَةً لِلْإِخْلَاصِ، فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ قَصْدُ الْمَعْبُودِ وَحْدَهُ بِالتَّعَبُّدِ. وَالْغَافِلُ لَا قَصْدَ لَهُ، فَلَا عُبُودِيَّةَ لَهُ.

قَالُوا: وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون] وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكَهَا، وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّينَ، وَإِنَّمَا هُوَ السَّهْوُ عَنْ وَاجِبِهَا إِمَّا عَنِ الْوَقْتِ كَمَا قَالَ ابن مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ، وَإِمَّا عَنِ الْحُضُورِ وَالْخُشُوعِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ يَعُمُّ النَّوْعَيْنِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثْبَتَ لَهُمْ صَلَاةً، وَوَصَفَهُمْ بِالسَّهْوِ عَنْهَا فَهُوَ السَّهْوُ عَنْ وَقْتِهَا الْوَاجِبِ، أَوْ عَنْ إِخْلَاصِهَا وَحُضُورِهَا الْوَاجِبِ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ بِالرِّيَاءِ، وَلَوْ كَانَ السَّهْوُ سَهْوَ تَرْكٍ لَمَا كَانَ هُنَاكَ رِيَاءٌ. قَالُوا: وَلَوْ قَدَّرْنَا أَنَّهُ السَّهْوُ عَنْ وَاجِبٍ فَقَطْ، فَهُوَ تَنْبِيهٌ عَلَىٰ التَّوَعُّدِ بِالْوَيْلِ عَلَىٰ سَهْوِ الْإِخْلَاصِ وَالْحُضُورِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَىٰ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْوَقْتَ يَسْقُطُ فِي حَالِ الْعُذْرِ، وَيَنْتَقِلُ إِلَىٰ بَدَلِهِ، وَالْإِخْلَاصَ وَالْحُضُورَ لَا يَسْقُطُ بِحَالٍ، وَلَا بَدَلَ لَهُ.

الثَّانِي: أَنَّ وَاجِبَ الْوَقْتِ يَسْقُطُ لِتَكْمِيلِ مَصْلَحَةِ الْحُضُورِ، فَيَجُوزُ الْجَمْعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ لِلشُّغْلِ الْمَانِعِ مِنْ فِعْلِ إِحْدَاهُمَا فِي وَقْتِهَا بِلَا قَلْبٍ وَلَا حُضُورٍ، كَالْمُسَافِرِ، وَالْمَرِيضِ، وَذِي الشُّغْلِ الَّذِي يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَىٰ الْجَمْعِ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ. فَبِالْجُمْلَةِ: مَصْلَحَةُ الْإِخْلَاصِ وَالْحُضُورِ، وَجَمْعِيَّةُ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ أَرْجَحُ فِي نَظَرِ الشَّارِعِ

مِنْ مَصْلَحَةِ سَائِرِ وَاجِبَاتِهَا، فَكَيْفَ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يُبْطِلُهَا بِتَرْكِ تَكْبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوِ اعْتِدَالٍ فِي رُكْنٍ، أَوْ تَرْكِ حَرْفٍ، أَوْ شَدَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَرْكِ تَسْبِيحَةٍ أَوْ قَوْلِ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ أَوْ قَوْلِ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ أَوْ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَحِّحُهَا مَعَ فَوْتِ لُبِّهَا، وَمَقْصُودِهَا الْأَعْظَمِ، وَرُوحِهَا وَسِرِّهَا.

فَهَذَا مَا احْتَجَّتْ بِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ، وَهِيَ حُجَجٌ كَمَا تَرَاهَا قُوَّةً وَظُهُورًا.

قَالَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْآخَرِ: قَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ «إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّىٰ يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، فَيُذَكِّرُهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، وَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ».

قَالُوا: فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ الَّتِي قَدْ أَغْفَلَهُ الشَّيْطَانُ فِيهَا، حَتَّىٰ لَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّىٰ بِأَنْ يَسْجُدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِإِعَادَتِهَا، وَلَوْ كَانَتْ بَاطِلَةً كَمَا زَعَمْتُمْ لَأَمَرَهُ بِإِعَادَتِهَا. قَالُوا: وَهَذَا هُوَ السِّرُّ فِي سَجْدَتَيِ السَّهْوِ، تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ فِي وَسْوَسَتِهِ لِلْعَبْدِ، وَكَوْنِهِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُضُورِ فِي الصَّلَاةِ. وَلِهَذَا سَمَّاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ «الْمُرْغِمَتَيْنِ»، وَأَمَرَ مَنْ سَهَا بِهِمَا وَلَمْ يُفَصِّلْ فِي سَهْوِهِ الَّذِي صَدَرَ عَنْهُ مُوجِبَ السُّجُودِ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْغَالِبِ وَالْمَغْلُوبِ، وَقَالَ «لِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ» وَلَمْ يَسْتَثْنِ مِنْ ذَلِكَ السَّهْوِ الْغَالِبِ، مَعَ أَنَّهُ الْغَالِبُ.

قَالُوا: وَلِأَنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ الْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا حَقَائِقُ الْإِيمَانِ الْبَاطِنَةُ فَتِلْكَ عَلَيْهَا شَرَائِعُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَلِلَّهِ تَعَالَىٰ

حُكْمَانِ: حُكْمٌ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ الشَّرَائِعِ الظَّاهِرَةِ وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَحُكْمٌ فِي الْآخِرَةِ عَلَىٰ الظَّوَاهِرِ وَالْبَوَاطِنِ،

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ عَلَانِيَةَ الْمُنَافِقِينَ، وَيَكِلُ أَسْرَارَهُمْ إِلَىٰ اللَّهِ فَيُنَاكِحُونَ، وَيَرِثُونَ وَيُورَثُونَ، وَيُعْتَدُّ بِصَلَاتِهِمْ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا، فَلَا يَكُونُ حُكْمُهُمْ حُكْمَ تَارِكِ الصَّلَاةِ، إِذْ قَدْ أَتَوْا بِصُورَتِهَا الظَّاهِرَةِ، وَأَحْكَامُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَيْسَتْ إِلَىٰ الْبَشَرِ، بَلْ إِلَىٰ اللَّهِ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

نَعَمْ لَا يَحْصُلُ مَقْصُودُ هَذِهِ الصَّلَاةِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَاجِلًا وَلَا آجِلًا، فَإِنَّ لِلصَّلَاةِ مَزِيدَ ثَوَابٍ عَاجِلٍ فِي الْقَلْبِ مِنْ قُوَّةِ إِيمَانِهِ، وَاسْتِنَارَتِهِ، وَانْشِرَاحِهِ وَانْفِسَاحِهِ وَوُجُودِ حَلَاوَةِ الْعِبَادَةِ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَاللَّذَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ لِمَنِ اجْتَمَعَ هَمُّهُ وَقَلْبُهُ عَلَىٰ اللَّهِ، وَحَضَرَ قَلْبُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا يَحْصُلُ لِمَنْ قَرَّبَهُ السُّلْطَانُ مِنْهُ، وَخَصَّهُ بِمُنَاجَاتِهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ.

وَكَذَلِكَ مَا يَحْصُلُ لِهَذَا مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ فِي الْآخِرَةِ، وَمُرَافَقَةِ الْمُقَرَّبِينَ. كُلُّ هَذَا يَفُوتُهُ بِفَوَاتِ الْحُضُورِ وَالْخُضُوعِ، وَإِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونُ مُقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَلَيْسَ كَلَامُنَا فِي هَذَا كُلِّهِ.

فَإِنْ أَرَدْتُمْ وُجُوبَ الْإِعَادَةِ لِتَحْصُلَ هَذِهِ الثَّمَرَاتُ وَالْفَوَائِدُ فَذَاكَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ أَنْ يُحَصِّلَهَا وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُفَوِّتَهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِوُجُوبِهَا أَنَّا نُلْزِمُهُ بِهَا وَنُعَاقِبُهُ عَلَىٰ تَرْكِهَا، وَنُرَتِّبُ عَلَيْهِ أَحْكَامَ تَارِكِ الصَّلَاةِ فَلَا. وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي أَرْجَحُ الْقَوْلَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(١)

---

(١) السابق ١/٥٢٢ ـ ٥٢٦

الكلام على مقدار القراءة والنقارين والرد عليهم

وفي زاد المعاد يبين المقادير والكيفية وسنة الوقوف على رأس كل آية والترتيل في الفاتحة، فيقول:

«وَكَانَتْ قِرَاءَتَهُ مَدًّا يَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَيَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ قَالَ «آمِينَ «فَإِنْ كَانَ يَجْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ وَقَالَهَا مَنْ خَلْفَهُ»(١)

ثم قال في مقدار القراءة بعد الفاتحة في الصلوات: «فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْفَاتِحَةِ أَخَذَ فِي سُورَةٍ غَيْرِهَا، وَكَانَ يُطِيلُهَا تَارَةً وَيُخَفِّفُهَا لِعَارِضٍ مِنْ سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَيُتَوَسَّطُ فِيهَا غَالِبًا.

وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِنَحْوِ سِتِّينَ آيَةً إِلَىٰ مِائَةِ آيَةٍ، وَصَلَّاهَا بِسُورَةِ (ق) وَصَلَّاهَا بـ (الرُّوم) وَصَلَّاهَا بـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَصَلَّاهَا بـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ فِي الرَّكْعَتَيْنِ كِلَيْهِمَا، وَصَلَّاهَا بـ (الْمُعَوِّذَتَيْنِ) وَكَانَ فِي السَّفَرِ،

وَصَلَّاهَا فَافْتَتَحَ بـ (سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ ذِكْرَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ أَخَذَتْهُ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ. وَكَانَ يُصَلِّيهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بـ (الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ) وَسُورَةِ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾.

وَأَمَّا الظُّهْرُ فَكَانَ يُطِيلُ قِرَاءَتَهَا أَحْيَانًا، حَتَّىٰ قَالَ أبو سعيد: («كَانَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ تُقَامُ فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَىٰ الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَأْتِي أَهْلَهُ فَيَتَوَضَّأُ وَيُدْرِكُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ مِمَّا يُطِيلُهَا») رَوَاهُ مسلم.

وَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا تَارَةً بِقَدْرِ (الم تَنْزِيلُ) وَتَارَةً بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ وَتَارَةً بـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾.

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد ١/ ٢٠٠

وَأَمَّا الْعَصْرُ فَعَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ قِرَاءَةِ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِذَا طَالَتْ، وَبِقَدْرِهَا إِذَا قَصُرَتْ.

وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ هَدْيُهُ فِيهَا خِلَافَ عَمَلِ النَّاسِ الْيَوْمَ، فَإِنَّهُ صَلَّاهَا مَرَّةً بـ (الْأَعْرَافِ) فَرَّقَهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ، وَمَرَّةً بـ (وَالطُّورِ) وَمَرَّةً بـ (وَالْمُرْسَلَاتِ).

قَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بـ (المص)»، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بـ (الصَّافَّاتِ)، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بـ (حم الدُّخَانِ)، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بـ (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بـ (الْمُعَوِّذَتَيْنِ)، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِيهَا بـ (الْمُرْسَلَاتِ)، وَأَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِيهَا بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ. قَالَ: وَهِيَ كُلُّهَا آثَارٌ صِحَاحٌ مَشْهُورَةٌ. انْتَهَىٰ.

وَأَمَّا الْمُدَاوَمَةُ فِيهَا عَلَىٰ قِرَاءَةِ قِصَارِ الْمُفَصَّلِ دَائِمًا فَهُوَ فِعْلُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَلِهَذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَقَالَ: (مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ؟ وَقَدْ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِطُولَىٰ الطُّولَيَيْنِ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا طُولَىٰ الطُّولَيَيْنِ؟ قَالَ (الْأَعْرَافُ)» وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ. وَذَكَرَ النَّسَائِيُّ عَنْ عائشة رضي الله عنها، «أَنَّ النَّبِيَّ قَرَأَ فِي الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ (الْأَعْرَافِ) فَرَّقَهَا فِي الرَّكْعَتَيْنِ فَالْمُحَافَظَةُ فِيهَا عَلَىٰ الْآيَةِ الْقَصِيرَةِ وَالسُّورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمُفَصَّلِ خِلَافُ السُّنَّةِ، وَهُوَ فِعْلُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ[(١)]

النقارون ورد ابن القيم

وفي قصة معاذ، أَنْكَرَ عَلَيْهِ قِرَاءَتَهُ فِيهَا بـ (الْبَقَرَةِ) بَعْدَ مَا صَلَّىٰ مَعَهُ ثُمَّ

---

(١) السابق ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤

ذَهَبَ إِلَىٰ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَأَعَادَهَا لَهُمْ بَعْدَ مَا مَضَىٰ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَقَرَأَ بِهِمْ بـ (الْبَقَرَةِ)، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ: (أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا معاذ) فَتَعَلَّقَ النَّقَّارُونَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَىٰ مَا قَبْلَهَا وَلَا مَا بَعْدَهَا

وقال «يقرأ فِي الْفَجْرِ بِسُورَةِ (الْبَقَرَةِ) حَتَّىٰ سَلَّمَ مِنْهَا قَرِيبًا مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَقَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ كَادَتِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ، فَقَالَ: لَوْ طَلَعَتْ لَمْ تَجِدْنَا غَافِلِينَ. وَكَانَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقْرَأُ فِيهَا بـ (يُوسُفَ) وَ (النَّحْلِ) وَبِ (هُودٍ) وَ (بَنِي إِسْرَائِيلَ) وَنَحْوِهَا مِنَ السُّوَرِ، وَلَوْ كَانَ تَطْوِيلُهُ ﷺ مَنْسُوخًا لَمْ يَخْفَ عَلَىٰ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ وَيَطَّلِعْ عَلَيْهِ النَّقَّارُونَ.[1]

وقال «وَهَدْيُهُ الَّذِي كَانَ وَاظَبَ عَلَيْهِ هُوَ الْحَاكِمُ عَلَىٰ كُلِّ مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُتَنَازِعُونَ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالتَّخْفِيفِ، وَيَؤُمُّنَا بـ (الصَّافَّاتِ)»، فَالْقِرَاءَةُ بـ (الصَّافَّاتِ) مِنَ التَّخْفِيفِ الَّذِي كَانَ يَأْمُرُ بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ

وقال في دليل أن التسبيح في الركوع والسجود عشر تسبيحات

وَكَانَ رُكُوعُهُ الْمُعْتَادُ مِقْدَارَ عَشْرِ تَسْبِيحَاتٍ وَسُجُودُهُ كَذَلِكَ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أنس الَّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ أَنَّهُ قَالَ: («مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا هَذَا الْفَتَىٰ، يَعْنِي: عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: فَحَزَرْنَا فِي رُكُوعِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ، وَفِي سُجُودِهِ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ»)[2]

---

(١) السابق ١/٢٠٦

(٢) السابق ١/٢١٠

وقال في وحوب استقامة الظهر في الرفع من الركوع والسجود:

«لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ فِيهَا الرَّجُلُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ») ذَكَرَهُ ابن خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ»

وَصَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ يَمْكُثُ حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، مِنْ إِطَالَتِهِ لِهَذَا الرُّكْنِ. وَذَكَرَ مسلم عَنْ أنس ﵁: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: (سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَامَ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ، ثُمّ يَسْجُدُ، ثُمَّ يَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ»

وذكر حديث البراء ، وَأَمَّا حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: («كَانَ رُكُوعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُجُودُهُ وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ») رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وبعد الشرح علق بقوله قَالَ شَيْخُنَا: وَتَقْصِيرُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ مِمَّا تَصَرَّفَ فِيهِ أُمَرَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الصَّلَاةِ وَأَحْدَثُوهُ فِيهَا. (١)

✍ سُنه تركها أَكْثَرُ النَّاسِ

وبعد شرحه للسجود واذكاره قال في الركن بين السجدتين وإطالته بمقدار السجود:

وَكَانَ هَدْيُهُ ﷺ إِطَالَةَ هَذَا الرُّكْنِ بِقَدْرِ السُّجُودِ، وَهَكَذَا الثَّابِتُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ، وَفِي «الصَّحِيحِ «عَنْ أنس ﵁: («كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ») وَهَذِهِ السُّنَّةُ تَرَكَهَا أَكْثَرُ النَّاسِ مِنْ بَعْدِ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَلِهَذَا قَالَ ثابت: وَكَانَ أنس يَصْنَعُ شَيْئًا لَا أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ، يَمْكُثُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ

(١) السابق ١/ ٢١٤

نَسِيَ أَوْ قَدْ أَوْهَمَ. وَأَمَّا مَنْ حَكَّمَ السُّنَّةَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ مَا خَالَفَهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْبَأُ بِمَا خَالَفَ(١).

ولا تكاد نرىٰ إماما يعطيك فرصة الدعاء في مواضع الدعاء في الصلاة.

سبعة مواضع للدعاء في الصلاة

وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي كَانَ يَدْعُو فِيهَا فِي الصَّلَاةِ فَسَبْعَةُ مَوَاطِنَ.

- أَحَدُهَا: بَعْدَ تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ فِي مَحَلِّ الِاسْتِفْتَاحِ.
- الثَّانِي: قَبْلَ الرُّكُوعِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي الْوِتْرِ وَالْقُنُوتِ الْعَارِضِ فِي الصُّبْحِ قَبْلَ الرُّكُوعِ، إِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَإِنَّ فِيهِ نَظَرًا.
- الثالث: بَعْدَ الِاعْتِدَالِ مِنَ الرُّكُوعِ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي «صَحِيح مسلم «مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ («سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»).
- الرَّابِعُ فِي رُكُوعِهِ كَانَ يَقُولُ («سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»).
- الْخَامِسُ: فِي سُجُودِهِ، وَكَانَ فِيهِ غَالِبُ دُعَائِهِ.
- السَّادِسُ: بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ.
- السَّابِعُ: بَعْدَ التَّشَهُّدِ وَقَبْلَ السَّلَامِ(٢)

---

(١) السابق ١/٢٣٢

(٢) السابق ١/٢٤٩

الصلاة والغزالي

من إضاعة الصلاة الى رحيق الصلاة

والآن تعال معىٰ إلىٰ نقلة أخرىٰ بعيدة جديدة عالية تسمو بالمصلىٰ إلىٰ مقاصد الصلاة وأثر الصلاة وروح الصلاة و الوصول إلىٰ رحيق الصلاة، وليس مجرد الوقوف علىٰ النصوص والأحكام والقواعد الفقهية ولا الخلافات في المقادير والعدد للأذكار والآيات. . فلنحلق مع الغزالي إلىٰ عالم أخر في الصلاة:

▫ فصل فضيلة الْخُشُوعِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه] وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف] وقال ﷻ: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] قيل سكارىٰ من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا.

وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه علىٰ سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال حتىٰ تعلموا ما تقولون، وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته.

وقال النبي ﷺ من صلىٰ ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه(١)

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا الصَّلَاةُ تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو في الصحيحين من حديث عثمان بزيادة في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد الطيالسي إلا بخير

وتضع يديك فتقول اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهِيَ خِدَاجٌ»[١].

وروي عن اللّه سبحانه في الكتب السالفة أنه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علىٰ عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي وقال ﷺ: «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر اللّه تعالىٰ»[٢] فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغىٰ عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك

وقال ﷺ للذي أوصاه «وإذا صليت فصل صلاة مودع»[٣] أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلىٰ مولاه كما قال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق] وقال تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢﴾ [البقرة] وقال تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣][٤]

□ بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة

المعانى السته، حُضُورُ الْقَلْبِ وَالتَّفَهُّمُ وَالتَّعْظِيمُ وَالْهَيْبَةُ وَالرَّجَاءُ وَالْحَيَاءُ،

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل

---

(١) سبق تخريجه في الباب الأول

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة، قال الترمذي حسن صحيح

(٣) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر

(٤) الغزالىٰ: إحياء علوم الدين ١/١٥٠

وهي (حُضُورُ الْقَلْبِ وَالتَّفَهُّمِ وَالتَّعْظِيمُ وَالْهَيْبَةُ وَالرَّجَاءُ وَالْحَيَاءُ) . .

وهكذا راح يحلق في كوكب آخر يشرح معاني لا يدركها إلا من تذوقها في صلاته وعمل بها

فَلْنَذْكُرْ تَفَاصِيلَهَا ثُمَّ أَسْبَابَهَا ثُمَّ الْعِلَاجَ فِي اكْتِسَابِهَا :

أَمَّا التَّفَاصِيلُ **فَالْأَوَّلُ حُضُورُ الْقَلْبِ**، وَنَعْنِي بِهِ أَنْ يَفْرَغَ الْقَلْبُ عَنْ غَيْرِ مَا هُوَ مُلَابِسٌ لَهُ وَمُتَكَلِّمٌ بِهِ فَيَكُونُ الْعِلْمُ بِالْفِعْلِ وَالْقَوْلِ مَقْرُونًا بِهِمَا وَلَا يَكُونُ الْفِكْرُ جائلا في غيرهما ومهما انصرف في الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنىٰ الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنىٰ اللفظ فاشتمال القلب علىٰ العلم بمعنىٰ اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم

وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وَكَمْ مِنْ مَعَانٍ لَطِيفَةٍ يَفْهَمُهَا الْمُصَلِّي فِي أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فإنها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة .

وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما .

وأما الهيبة فزائدة علىٰ التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمىٰ هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمىٰ مهابة بل

الخوف من السلطان المعظم يسمىٰ مهابة والهيبة خوف مصدرها الإجلال.

وأما الرجا فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب اللَّه ﷻ كما أنه خائف بتقصيره عقاب اللَّه ﷻ

وأما الحياء فهو زائد علىٰ الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذَنْبٍ.[1]

▫ **أسباب المعانى الستة والعلاج**

وَأَمَّا أَسْبَابُ هَذِهِ الْمَعَانِي السِّتَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّ حُضُورَ الْقَلْبِ سَبَبُهُ الْهِمَّةُ فَإِنَّ قَلْبَكَ تَابِعٌ لِهِمَّتِكَ فَلَا يَحْضُرُ إِلَّا فِيمَا يُهِمُّكَ وَمَهْمَا أَهَمَّكَ أَمْرٌ حَضَرَ الْقَلْبُ فِيهِ شَاءَ أَمْ أَبَىٰ فَهُوَ مَجْبُولٌ عَلَىٰ ذَلِكَ وَمُسَخَّرٌ فِيهِ

وَالْقَلْبُ إِذَا لَمْ يَحْضُرْ فِي الصَّلَاةِ لَمْ يَكُنْ مُتَعَطِّلًا بَلْ جَائِلًا فِيمَا الْهِمَّةُ مَصْرُوفَةٌ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَلَا حِيلَةَ وَلَا عِلَاجَ لِإِحْضَارِ الْقَلْبِ إِلَّا بِصَرْفِ الْهِمَّةِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَالْهِمَّةُ لَا تَنْصَرِفُ إِلَيْهَا مَا لَمْ يَتَبَيَّنْ أَنَّ الْغَرَضَ الْمَطْلُوبَ مَنُوطٌ بِهَا وَذَلِكَ هُوَ الْإِيمَانُ وَالتَّصْدِيقُ بِأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وأبقىٰ وأن الصلاة وسيلة إليها فإذا أضيف هذا إلىٰ حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر علىٰ مضرتك ومنفعتك فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له

---

(١) السابق ١/١٦١ ـ ١٦٢

سببا سوىٰ ضعف الإيمان فاجتهد الآن في تقوية الإيمان وطريقه يستقصىٰ في غير هذا الموضع وَأَمَّا التَّفَهُّمُ فَسَبَبُهُ بَعْدَ حُضُورِ الْقَلْبِ إِدْمَانُ الْفِكْرِ وَصَرْفُ الذِّهْنِ إِلَىٰ إِدْرَاكِ الْمَعْنَىٰ وَعِلَاجُهُ ما هو علاج إحضار القلب مَعَ الْإِقْبَالِ عَلَىٰ الْفِكْرِ وَالتَّشَمُّرِ لِدَفْعِ الْخَوَاطِرِ

وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قَطْعُ مَوَادِّهَا أَعْنِي النُّزُوعَ عَنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ التي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئا أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم علىٰ القلب بضرورة لذلك ترىٰ أن من أحب غير اللَّه لا تصفو له صلاة عن الخواطر.

وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين إحداهما معرفة جلال اللَّهِ ﷻ وَعَظَمَتُهُ وَهُوَ مِنْ أُصُولِ الإيمان فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه

الثَّانِيَةُ مَعْرِفَةُ حَقَارَةِ النَّفْسِ وَخِسَّتِهَا وَكَوْنِهَا عَبْدًا مُسَخَّرًا مَرْبُوبًا حَتَّىٰ يَتَوَلَّدَ مِنَ الْمَعْرِفَتَيْنِ الِاسْتِكَانَةُ وَالِانْكِسَارُ وَالْخُشُوعُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالتَّعْظِيمِ.

وَأَمَّا الْهَيْبَةُ وَالْخَوْفُ فَحَالَةٌ لِلنَّفْسِ تَتَوَلَّدُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَسَطْوَتِهِ وَنُفُوذِ مَشِيئَتِهِ فِيهِ مَعَ قِلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِهِ وَأَنَّهُ لَوْ أَهْلَكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِهِ ذَرَّةٌ هذا مع مطالعة ما يجري علىٰ الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة علىٰ الدفع علىٰ خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض. وبالجملة كلما زاد العلم باللَّه زادت الخشية والهيبة.

وَأَمَّا الرَّجَاءُ فَسَبَبُهُ مَعْرِفَةُ لُطْفِ اللَّهِ ﷻ وَكَرَمِهِ وَعَمِيمِ إِنْعَامِهِ وَلَطَائِفِ

صُنْعِهِ وَمَعْرِفَةُ صِدْقِهِ فِي وَعْدِهِ الْجَنَّةَ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا حَصَلَ الْيَقِينُ بِوَعْدِهِ وَالْمَعْرِفَةُ بِلُطْفِهِ انْبَعَثَ مِنْ مَجْمُوعِهِمَا الرَّجَاءُ لَا مَحَالَةَ.

وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَبِاسْتِشْعَارِهِ التَّقْصِيرَ في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حَقِّ اللَّهِ ﷻ وَيُقَوِّي ذَلِكَ بِالْمَعْرِفَةِ بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وَمَيْلِهَا إِلَىٰ الْحَظِّ الْعَاجِلِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهَا مَعَ الْعِلْمِ بِعَظِيمِ مَا يَقْتَضِيهِ جَلَالُ اللَّهِ ﷻ وَالْعِلْمِ بِأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ السِّرِّ وَخَطِرَاتِ الْقَلْبِ وَإِنْ دَقَّتْ وَخَفِيَتْ وَهَذِهِ الْمَعَارِفُ إِذَا حَصَلَتْ يَقِينًا انْبَعَثَ مِنْهَا بِالضَّرُورَةِ حَالَةٌ تُسَمَّىٰ الْحَيَاءَ فَهَذِهِ أَسْبَابُ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَكُلُّ مَا طُلِبَ تَحْصِيلُهُ فَعِلَاجُهُ إِحْضَارُ سَبَبِهِ فَفِي مَعْرِفَةِ السَّبَبِ مَعْرِفَةُ الْعِلَاجِ، وَرَابِطَةُ جَمِيعِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْإِيمَانُ وَالْيَقِينُ، ومن انطوىٰ باطنه علىٰ حب الدنيا حتىٰ مال إلىٰ شيء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها علىٰ الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة.(١)

بَيَانُ تَفْصِيلِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ كُلِّ رُكْنٍ وَشَرْطٍ مِنْ أَعْمَالِ الصلاة

فإذا سَمِعْتَ نِدَاءَ الْمُؤَذِّنِ فَأَحْضِرْ فِي قَلْبِكَ هَوْلَ النِّدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَأَمَّا الطَّهَارَةُ فقال فَلَا تَغْفُلْ عَنْ لُبِّكَ الَّذِي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بِالتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ

وَأَمَّا سَتْرُ الْعَوْرَةِ فَاعْلَمْ أَنَّ مَعْنَاهُ تَغْطِيَةُ مَقَابِحِ بَدَنِكَ عَنْ أَبْصَارِ الْخَلْقِ فإن ظاهر بدنك مرتع لِنَظَرِ الْخَلْقِ فَمَا بَالُكَ فِي عَوْرَاتِ بَاطِنِكَ وَفَضَائِحِ

(١) السابق ١/ ١٦٢ ـ ١٦٥

سَرَائِرِكَ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا رَبُّكَ ﷻ فَأَحْضِرْ تِلْكَ الْفَضَائِحَ بِبَالِكَ وَطَالِبْ نَفْسَكَ بِسَتْرِهَا وَتَحَقَّقْ أَنَّهُ لَا يَسْتُرُ عن عين اللَّه سبحانه ساتر.

وَأَمَّا الِاسْتِقْبَالُ فَهُوَ صَرْفٌ ظاهر وَجْهِكَ عَنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ إِلَىٰ جِهَةِ بَيْتِ اللَّه تعالىٰ أفترىٰ أن صرف القلب عن سائر الأمور إلىٰ اللَّهِ ﷻ لَيْسَ مَطْلُوبًا مِنْكَ هَيْهَاتَ فَلَا مَطْلُوبَ سِوَاهُ.

وَإِنَّمَا هَذِهِ الظَّوَاهِرُ تَحْرِيكَاتٌ لِلْبَوَاطِنِ وَضَبْطٌ لِلْجَوَارِحِ وَتَسْكِينٌ لَهَا بِالْإِثْبَاتِ فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ لَا تَبْغِيَ عَلَىٰ الْقَلْبِ فَإِنَّهَا إِذَا بَغَتْ وَظَلَمَتْ فِي حَرَكَاتِهَا وَالْتِفَاتِهَا إِلَىٰ جِهَاتِهَا اسْتَتْبَعَتِ الْقَلْبَ وَانْقَلَبَتْ بِهِ عَنْ وَجْهِ اللَّهِ ﷻ فَلْيَكُنْ وَجْهُ قَلْبِكَ مع وجه بدنك

وَأَمَّا التَّكْبِيرُ فَإِذَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُكَ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُكَذِّبَهُ قَلْبُكَ فَإِنْ كَانَ فِي قَلْبِكَ شيء هو أكبر من اللَّه سبحانه فاللَّه يشهد إنك لكاذب، فإن كَانَ هَوَاكَ أَغْلَبَ عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ فأنت أَطْوَعُ لَهُ مِنْكَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فَقَدِ اتَّخَذْتَهُ إلهك وكبرته.

وَأَمَّا دُعَاءُ الِاسْتِفْتَاحِ فَأَوَّلُ كَلِمَاتِهِ قَوْلُكَ وجهت وجهي للذي فطر السموات وَالْأَرْضَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الْوَجْهَ الظَّاهِرَ فَإِنَّكَ إِنَّمَا وَجَّهْتَهُ إِلَىٰ جِهَةِ الْقِبْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يتقدس عَنْ أَنْ تَحُدَّهُ الْجِهَاتُ حَتَّىٰ تُقْبِلَ بِوَجْهِ بَدَنِكَ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا وَجْهُ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي تَتَوَجَّهُ بِهِ إِلَىٰ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَإِذَا قُلْتَ حَنِيفًا مُسْلِمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِكَ أَنَّ الْمُسْلِمَ هُوَ الَّذِي سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ كُنْتَ كَاذِبًا فَاجْتَهِدْ فِي أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ فِي الِاسْتِقْبَالِ وَتَنْدَمَ عَلَىٰ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَإِذَا قُلْتَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَخْطِرْ بِبَالِكَ الشرك الخفي فإن قوله

تعالىٰ فمن كان يرجو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بعبادة ربه أحدا نزل فيمن يقصد بعبادته وجه اللَّه وحمد الناس وكن حذرا مشفقا مِنْ هَذَا الشِّرْكِ وَاسْتَشْعِرِ الْخَجْلَةَ فِي قَلْبِكَ إِنْ وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِأَنَّكَ لَسْتَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِ بَرَاءَةٍ عَنْ هَذَا الشِّرْكِ فَإِنَّ اسْمَ الشِّرْكِ يَقَعُ عَلَىٰ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ مِنْه.

وَإِذَا قُلْتَ مَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا حَالُ عَبْدٍ مَفْقُودٍ لِنَفْسِهِ مَوْجُودٌ لِسَيِّدِهِ وَأَنَّهُ إِنْ صَدَرَ مِمَّنْ رِضَاهُ وَغَضَبُهُ وَقِيَامُهُ وَقُعُودُهُ وَرَغْبَتُهُ فِي الْحَيَاةِ وَرَهْبَتُهُ مِنَ الْمَوْتِ لِأُمُورِ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ مُلَائِمًا لِلْحَالِ.

وَإِذَا قُلْتَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ عَدُوُّكَ وَمُتَرَصِّدٌ لِصَرْفِ قَلْبِكَ عَنِ اللَّهِ ﷻ حَسَدًا لَكَ عَلَىٰ مُنَاجَاتِكَ مَعَ اللَّهِ ﷻ وَسُجُودِكَ لَهُ.

فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلىٰ المعاني أولا ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَانْوِ بِهِ التَّبَرُّكَ لِابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ لِكَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَافْهَمْ أن الأمور كلها باللَّه سبحانه.

فَإِذَا قُلْتَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَأَحْضِرْ فِي قَلْبِكَ جَمِيعَ أَنْوَاعِ لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رَجَاؤُكَ ثُمَّ اسْتَثِرْ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْخَوْفِ

بِقَوْلِكَ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ أَمَّا الْعَظَمَةُ فَلِأَنَّهُ لا ملك إلا له.

وَأَمَّا الْخَوْفُ فَلِهَوْلِ يَوْمِ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ الَّذِي هُوَ مَالِكُهُ.

ثُمَّ جَدِّدِ الْإِخْلَاصَ بِقَوْلِكَ إِيَّاكَ نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ بِقَوْلِكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَتَحَقَّقْ أَنَّهُ مَا تَيَسَّرَتْ طَاعَتُكَ إِلَّا بِإِعَانَتِهِ وَأَنَّ له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته، ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين.

ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم اللَّه الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلىٰ الإعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وَقُلِ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي يَسُوقُنَا إِلَىٰ جِوَارِكَ وَيُفْضِي بِنَا إِلَىٰ مَرْضَاتِكَ.

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وَإِحْسَانِهِ.

وَلِكُلِّ وَاحِدٍ حَقٌّ فَالرَّجَاءُ حَقُّ الْوَعْدِ وَالْخَوْفُ حَقُّ الْوَعِيدِ وَالْعَزْمُ حَقُّ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق إخبار الأنبياء.

وَتَكُونُ هَذِهِ الْمَعَانِي بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الْفَهْمِ وَيَكُونُ الْفَهْمُ بِحَسَبِ وفور العلم وَصَفَاءِ الْقَلْبِ وَدَرَجَاتُ ذَلِكَ لَا تَنْحَصِرُ.

وَالصَّلَاةُ مِفْتَاحُ الْقُلُوبِ فِيهَا تَنْكَشِفُ أَسْرَارُ الْكَلِمَاتِ فَهَذَا حَقُّ الْقِرَاءَةِ وَهُوَ حَقُّ الْأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيحَاتِ أَيْضًا.

ثُمَّ يُرَاعِي الْهَيْبَةَ فِي الْقِرَاءَةِ فَيُرَتِّلُ وَلَا يَسْرُدُ فَإِنَّ ذَلِكَ أيسر للتأمل، ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد.[1]

✍ الصلاة وابن القيم

◘ دواء إياك نعبد وإياك نستعين

ولأنه طبيب القلوب يبدأ بالدواء يقول في مدارج السالكين: وَلَا شِفَاءَ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ إِلَّا بِدَوَاءِ «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]». فَإِنَّ هَذَا الدَّوَاءَ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةِ أَجْزَاءٍ

(١) عُبُودِيَّةِ اللَّهِ لَا غَيْرِهِ

(٢) بِأَمْرِهِ وَشَرْعِهِ

(٣) لَا بِالْهَوَىٰ

(٤) وَلَا بِآرَاءِ الرِّجَالِ وَأَوْضَاعِهِمْ، وَرُسُومِهِمْ، وَأَفْكَارِهِمْ

(٥) بِالِاسْتِعَانَةِ عَلَىٰ عُبُودِيَّتِهِ بِهِ

(٦) لَا بِنَفْسِ الْعَبْدِ وَقُوَّتِهِ وَحَوْلِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ[2]

◘ دواء الفاتحة

[الفاتحة] تَدْفَعُ الْكِبْرِيَاءَ. فَإِذَا عُوفِيَ مِنْ مَرَضِ الرِّيَاءِ بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَمِنْ مَرَضِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعُجْبِ بـ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَمِنْ مَرَضِ الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ بـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ عُوفِيَ مِنْ

---

(١) السابق ١/ ١٦٥ ـ ١٦٨

(٢) ابن القيم: مدارج السالكين ١/ ٧٧

أَمْرَاضِهِ وَأَسْقَامِهِ، وَرَفَلَ فِي أَثْوَابِ الْعَافِيَةِ، وَتَمَّتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ[(١)].

▫ سِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالشَّرَائِعِ

وَسِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْكُتُبِ وَالشَّرَائِعِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ انْتَهَىٰ إِلَىٰ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، حَتَّىٰ قِيلَ: أَنْزَلَ اللَّهُ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ فِي الْمُفَصَّلِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ الْمُفَصَّلِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَمَعَانِيَ الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وَالِاسْتِعَانَةُ تَجْمَعُ أَصْلَيْنِ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَثِقُ بِالْوَاحِدِ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِ مَعَ ثِقَتِهِ بِهِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ، وَقَدْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مَعَ عَدَمِ ثِقَتِهِ بِهِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلِعَدَمِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهَ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ اعْتِمَادِهِ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِ. وَالتَّوَكُّلُ مَعْنًىٰ يَلْتَئِمُ مِنْ أَصْلَيْنِ: مِنَ الثِّقَةِ، وَالِاعْتِمَادِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» وَهَذَانَ الْأَصْلَانِ وَهُمَا التَّوَكُّلُ، وَالْعِبَادَةُ قَدْ ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِيهَا، هَذَا أَحَدُهَا

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْأَلُهُ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَعْدَاؤُهُ وَيَمُدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ،

وَأَبْغَضُ خَلْقِهِ عَدُوُّهُ إِبْلِيسُ وَمَعَ هَذَا فَقَدَ سَأَلَهُ حَاجَةً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَمَتَّعَهُ بِهَا، وَلَكِنْ لَمَّا لَمْ تَكُنْ عَوْنًا لَهُ عَلَىٰ مَرْضَاتِهِ، كَانَتْ زِيَادَةً لَهُ فِي شِقْوَتِهِ، وَبُعْدِهِ عَنِ اللَّهِ وَطَرْدِهِ عَنْهُ،

---

(١) السابق ١/ ٧٨

وَهَكَذَا كُلُّ مَنِ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَىٰ أَمْرٍ وَسَأَلَهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَوْنًا عَلَىٰ طَاعَتِهِ كَانَ مُبْعِدًا لَهُ عَنْ مَرْضَاتِهِ، قَاطِعًا لَهُ عَنْهُ وَلَا بُدَّ.

وَلْيَتَأَمَّلِ الْعَاقِلُ هَذَا فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ إِجَابَةَ اللَّهِ لِسَائِلِيهِ لَيْسَتْ لِكَرَامَةِ السَّائِلِ عَلَيْهِ، بَلْ يَسْأَلُهُ عَبْدُهُ الْحَاجَةَ فَيَقْضِيهَا لَهُ، وَفِيهَا هَلَاكُهُ وَشِقْوَتُهُ، وَيَكُونُ قَضَاؤُهُ لَهُ مِنْ هَوَانِهِ عَلَيْهِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنِهِ، وَيَكُونُ مَنْعُهُ مِنْهَا لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، فَيَمْنَعُهُ حِمَايَةً وَصِيَانَةً وَحِفْظًا لَا بُخْلًا، وَهَذَا إِنَّمَا يَفْعَلُهُ بِعَبْدِهِ الَّذِي يُرِيدُ كَرَامَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ، وَيُعَامِلُهُ بِلُطْفِهِ، فَيَظُنُّ بِجَهْلِهِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُ وَلَا يُكْرِمُهُ، وَيَرَاهُ يَقْضِي حَوَائِجَ غَيْرِهِ، فَيُسِيءُ ظَنَّهُ.

فَاحْذَرْ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ تَسْأَلَهُ شَيْئًا مُعَيَّنًا خِيرَتُهُ وَعَاقِبَتُهُ مُغَيَّبَةٌ عَنْكَ، وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنْ سُؤَالِهِ بُدًّا، فَعَلِّقْهُ عَلَىٰ شَرْطِ عِلْمِهِ تَعَالَىٰ فِيهِ الْخِيَرَةَ، وَقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِكَ الِاسْتِخَارَةَ، وَلَا تَكُنِ اسْتِخَارَةٌ بِاللِّسَانِ بِلَا مَعْرِفَةٍ، بَلِ اسْتِخَارَةُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمَصَالِحِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهَا، وَلَا اهْتِدَاءَ لَهُ إِلَىٰ تَفَاصِيلِهَا، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا، بَلْ إِنْ وُكِّلَ إِلَىٰ نَفْسِهِ هَلَكَ كُلَّ الْهَلَاكِ، وَانْفَرَطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ.

وَإِذَا أَعْطَاكَ مَا أَعْطَاكَ بِلَا سُؤَالٍ تَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَوْنًا لَكَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَبَلَاغًا إِلَىٰ مَرْضَاتِهِ، وَلَا يَجْعَلَهُ قَاطِعًا لَكَ عَنْهُ، وَلَا مُبْعِدًا عَنْ مَرْضَاتِهِ، وَلَا تَظُنُّ أَنَّ عَطَاءَهُ كُلَّ مَا أَعْطَىٰ لِكَرَامَةِ عَبْدِهِ عَلَيْهِ، وَلَا مَنْعَهُ كُلَّ مَا يَمْنَعُهُ لِهَوَانِ عَبْدِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ عَطَاءَهُ وَمَنْعَهُ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، يَمْتَحِنُ بِهِمَا عِبَادَهُ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَىٰ التَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ؟. قُلْتُ: هُوَ حَالٌ لِلْقَلْبِ يَنْشَأُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ، وَالْإِيمَانِ بِتَفَرُّدِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَأَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَإِنْ لَمْ يَشَأِ النَّاسُ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَإِنْ شَاءَهُ النَّاسُ، فَيُوجِبُ لَهُ هَذَا اعْتِمَادًا عَلَيْهِ، وَتَفْوِيضًا إِلَيْهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِهِ، وَثِقَةً بِهِ، وَيَقِينًا بِكِفَايَتِهِ لِمَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِيهِ، وَأَنَّهُ مَلِيٌّ بِهِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ، شَاءَهُ النَّاسُ أَمْ أَبَوْهُ. فَتُشْبِهُ حَالَتُهُ حَالَةَ الطِّفْلِ مَعَ أَبَوَيْهِ فِيمَا يَنْوِيهِ مِنْ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ هُمَا مَلِيَّانِ بِهِمَا، فَانْظُرْ فِي تَجَرُّدِ قَلْبِهِ عَنِ الِالْتِفَاتِ إِلَىٰ غَيْرِ أَبَوَيْهِ، وَحَبْسِ هَمِّهِ عَلَىٰ إِنْزَالِ مَا يَنْوِيهِ بِهِمَا، فَهَذِهِ حَالُ الْمُتَوَكِّلِ.(١)

▫ العبد المطلق

ليس مطلوب منك أن تكون مصليا بل تكون عبدا مطلقا قبل الصلاة وبعد الصلاة.

وكيف أكون عبدا مطلقا وأنا لا أريد أن أحسن صلاتي؟

يقول الإمام بن القيم عن العبد المطلق: « فَإِنْ رَأَيْتَ الْعُلَمَاءَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الْعُبَّادَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُجَاهِدِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الذَّاكِرِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ الْمُتَصَدِّقِينَ الْمُحْسِنِينَ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ، وَإِنْ رَأَيْتَ أَرْبَابَ الْجَمْعِيَّةِ وَعُكُوفِ الْقَلْبِ عَلَىٰ اللَّهِ رَأَيْتَهُ مَعَهُمْ،

فَهَذَا هُوَ الْعَبْدُ الْمُطْلَقُ، الَّذِي لَمْ تَمْلِكْهُ الرُّسُومُ، وَلَمْ تُقَيِّدْهُ الْقُيُودُ، وَلَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ عَلَىٰ مُرَادِ نَفْسِهِ وَمَا فِيهِ لَذَّتُهَا وَرَاحَتُهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، بَلْ

---

(١) السابق ١/ ٩٥ ـ ١٠٣

هُوَ عَلَىٰ مُرَادِ رَبِّهِ، وَلَوْ كَانَتْ رَاحَةُ نَفْسِهِ وَلَذَّتُهَا فِي سِوَاهُ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَحَقِّقُ بـ «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» حَقًّا، الْقَائِمُ بِهِمَا صِدْقًا،

مَلْبَسُهُ مَا تَهَيَّأَ، وَمَأْكَلُهُ مَا تَيَسَّرَ، وَاشْتِغَالُهُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِوَقْتِهِ، وَمَجْلِسُهُ حَيْثُ انْتَهَىٰ بِهِ الْمَكَانُ وَوَجَدَهُ خَالِيًا، لَا تَمْلِكُهُ إِشَارَةٌ، وَلَا يَتَعَبَّدُهُ قَيْدٌ، وَلَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ رَسْمٌ، حُرٌّ مُجَرَّدٌ، دَائِرٌ مَعَ الْأَمْرِ حَيْثُ دَارَ، يَدِينُ بِدِينِ الْآمِرِ أَنَّىٰ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهُ، وَيَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهُ،

يَأْنَسُ بِهِ كُلُّ مُحِقٍّ، وَيَسْتَوْحِشُ مِنْهُ كُلُّ مُبْطِلٍ، كَالْغَيْثِ حَيْث حل نَفَعَ، وَكَالنَّخْلَةِ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَكُلُّهَا مَنْفَعَةٌ حَتَّىٰ شَوْكُهَا، وَهُوَ مَوْضِعُ الْغِلْظَةِ مِنْهُ عَلَىٰ الْمُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالْغَضَبِ إِذَا انْتُهِكَتْ مَحَارِمُ اللَّهِ،

فَهُوَ لِلَّهِ وَبِاللَّهِ وَمَعَ اللَّهِ، قَدْ صَحِبَ اللَّهَ بِلَا خَلْقٍ، وَصَحِبَ النَّاسَ بِلَا نَفْسٍ، بَلْ إِذَا كَانَ مَعَ اللَّهِ عَزَلَ الْخَلَائِقَ عَنِ الْبَيْنِ، وَتَخَلَّىٰ عَنْهُمْ، وَإِذَا كَانَ مَعَ خَلْقِهِ عَزَلَ نَفْسَهُ مِنَ الْوَسَطِ وَتَخَلَّىٰ عَنْهَا،

فَوَاهًا لَهُ! مَا أَغْرَبَهُ بَيْنَ النَّاسِ! وَمَا أَشَدَّ وَحْشَتَهُ مِنْهُمْ! وَمَا أَعْظَمَ أُنْسَهُ بِاللَّهِ وَفَرَحَهُ بِهِ، وَطُمَأْنِينَتَهُ وَسُكُونَهُ إِلَيْهِ!! وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ. (١)

والآن التطبيق العملى من بداية الصلاة

وقبل البداية في صلاة ابن القيم نقف على المقصد والهدف الى نريد الوصول ايه يقول إبراهيم السكران «وأنا أقرأ هذا الموضع الذي

(١) السابق ١/١١١

هو من عيون نصوص ابن القيم، رأيت فعلا كيف تتحول هيئات الصلاة من حركة جسدية إلىٰ هالة عبودية، وكيف تتحول أذكار الصلاة من ألفاظ لغوية إلىٰ معانٍ تنتشل المصلي للملكوت الأعلىٰ»

ففي كتاب الصلاة وحكم تاركها يقول ابن القيم: «وليس حظ القلب العامر بمحبة اللَّه وخشيته والرغبة فيه وإجلاله وتعظيمه من الصلاة كحظ القلب الخالي الخراب من ذلك، فإذا وقف الاثنان بين يدي اللَّه في الصلاة وقف هذا بقلب مخبت خاشع له قريب منه سليم من معارضات السوء قد امتلأت أرجاؤه بالهيبة وسطع فيه نور الإيمان وكشف عنه حجاب النفس ودخان الشهوات فيرتع في رياض معاني القرآن، وخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق الأسماء والصفات وعلوها وجمالها وكمالها الأعظم وتفرد الرب سبحانه بنعوت جلاله وصفات كماله،

فاجتمع همه علىٰ اللَّه وقرت عينه به وأحسّ بقربه من اللَّه قربا لا نظير له ففرغ قلبه له وأقبل عليه بكليته، وهذا الإقبال منه بين إقبالين من ربه فإنه سبحانه أقبل عليه أولا، فانجذب قلبه إليه بإقباله؛ فلما أقبل علىٰ ربه حظي منه بإقبال آخر أتم من الأول.

وها هنا عجيبة من عجائب الأسماء والصفات تحصل لمن تفقه قلبه في معاني القرآن وخالط بشاشة الإيمان بها قلبه بحيث يرىٰ لكل اسم وصفة موضعا من صلاته ومحلا منها فإنه إذا انتصب قائما بين يدي الرب تبارك وتعالى شاهد بقلبه قيوميته وإذا قال اللَّه أكبر شاهد كبرياءه.

وإذا قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالىٰ جدك ولا إله غيرك شاهد بقلبه ربا منزها عن كل عيب سالما من كل نقص محمودا

بكل حمد فحمده يتضمن وصفه بكل كمال وذلك يستلزم براءته من كل نقص.

تبارك اسمه فلا يذكر علىٰ قليل إلا كثرة وعلىٰ خير إلا أنماه وبارك فيه ولا علىٰ آفة إلا أذهبها ولا علىٰ شيطان إلا رده خاسئا داحرا، وكمال الاسم من كمال مسماه فإذا كان شأن اسمه الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء فشأن المسمىٰ اعلىٰ واجل.

وتعالىٰ جده أي ارتفعت عظمته وجلت فوق كل عظمة وعلا شأنه علىٰ كل شأن وقهر سلطانه علىٰ كل سلطان فتعالىٰ جده أن يكون معه شريك في ملكه وربوبيته أو في إلهيته أو في أفعاله أو في صفاته كما قال مؤمن الجن وأنه تعالىٰ جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا، فكم من هذه الكلمات من تجل لحقائق الأسماء والصفات علىٰ قلب العارف بها غير المعطل لحقائقها.

وإذا قال أعوذ باللّٰه من الشيطان الرجيم فقد آوىٰ إلىٰ ركنه الشديد واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه ويبعده عن قربه ليكون أسوأ حالا»(١)

تطبيق أسرار الفاتحة

فإذا قال **الحمد لله رب العالمين** وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله حمدني عبدي

فإذا قال الرحمن الرحيم، انتظر الجواب بقوله اثنىٰ علي عبدي.

فإذا قال ملك يوم الدين، انتظر جوابه يمجدني عبدي.

---

(١) ابن القيم: الصلاة وحكم تاركها ص ٢٠١

فيا لذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بقول ربه عبدي ثلاث مرات، فواللَّه لولا ما على القلوب من دخان الشهوات وغيم النفوس لاستطيرت فرحا وسرورا بقول ربها وفاطرها ومعبودها حمدني عبدني واثنى علي عبدي ومجدني عبدي ثم يكون لقلبه مجال من شهود هذه الأسماء الثلاثة التي هي أصول الأسماء الحسنى وهي اللَّه والرب الرحمن، فشاهد قلبه من ذكر اسم اللَّه ﷻ إلها معبودا موجودا مخوفا لا يستحق العبادة غيره ولا تنبغي إلا له، قد عنت له الوجوه وخضعت له الموجودات وخشعت له الأصوات ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [الروم]

وكذلك خلق السموات والأرض وما بينهما وخلق الجن والإنس والطير والوحش والجنة والنار، وكذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وألزم العباد الأمر والنهي.

وشاهد من ذكر اسمه رب العلمين قيوما قام بنفسه وقام به كل شيء فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها، قد استوى على عرشه وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع والخفض والرفع والإحياء والإماتة والتوبة والعزل والقبض والبسط وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن] لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا مبدل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال أول النهار وآخره عليه فيقدر

المقادير ويوقت المواقيت ثم يسوق المقادير إلىٰ مواقيتها قائما بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه.

يشهد عند ذكر اسم الرحمن ﷻ ربا محسنا إلىٰ خلقه بأنواع الإحسان متحببا إليهم بصنوف النعم وسع كل شيء رحمة وعلما، ووسع كل مخلوق نعمة وفضلا فوسعت رحمته كل شيء ووسعت نعمته كل حي، فبلغت رحمته حيث بلغ علمه، فاستوىٰ علىٰ عرشه برحمته، وخلق خلقه برحمته، وأنزل كتبه برحمته، وأرسل رسله برحمته، وشرع شرائعه برحمته، وخلق الجنة برحمته والنار أيضا برحمته فإنها سوطه الذي يسوق به عباده المؤمنين إلىٰ جنته ويطهر بها أدران الموحدين من أهل معصيته وسجنه الذي يسجن فيه أعداءه من خليقته.

فتأمل ما في أمره ونهيه ووصاياه ومواعيظه من الرحمة البالغة والنعمة السابغة، وما في حشوها من الرحمة والنعمة، فالرحمة هي السبب المتصل منه بعبادة كما أن العبودية هي السبب المتصل منهم به فمنهم إليه العبودية ومنه إليهم الرحمة.

ومن أخص مشاهد هذا الاسم شهود المصلي نصيبه من الرحمة الذي أقامه بها بين يدي ربه وأهله لعبوديته ومناجاته وأعطاه ومنع غيره وأقبل بقلبه وأعرض بقلب غيره وذلك من رحمته به.

فإذا قال **مالك يوم الدين** فهنا شهد المجد الذي لا يليق بسوىٰ الملك الحق المبين، فيشهد ملكا قاهرا قد دانت له الخليفة وعنت له الوجوه وذلت لعظمته الجبابرة وخضع لعزته كل عزيز، فيشهد بقلبه ملكا علىٰ عرش السماء مهيمنا لعزته تعنو الوجوه وتسجد.

وإذا لم تعطل حقيقة صفة الملك أطلعته علىٰ شهود حقائق الأسماء

والصفات التي تعطيلها تعطيل لملكه وجحد له، فإن الملك الحق التام الملك لا يكون إلا حيا قيوما سميعا بصيرا مدبرا قادرا متكلما آمرا ناهيا مستويا على سرير مملكته يرسل إلى أقاصي مملكته بأوامره فيرضى على من يستحق الرضا ويثيبه ويكرمه ويدنيه ويغضب على من يستحق الغضب ويعاقبه ويهينه ويقصيه فيعذب من يشاء ويرحم من يشاء ويعطي من يشاء ويقرب من يشاء ويقضي من يشاء له دار عذاب وهي النار وله دار سعادة عظيمة وهي الجنة.

فمن أبطل شيئا من ذلك أو جحده وأنكر حقيقته فقد قدح في ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونفى عنه كماله وتمامه، وكذلك من أنكر عموم قضائه وقدره فقد أنكر عموم ملكه وكماله، فيشهد المصلي مجد الرب تعالى في قوله ملك يوم الدين.

فإذا قال **إياك نعبد وإياك نستعين** ففيها سر الخلق والأمر والدنيا والآخرة، وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل، فأجل الغايات عبوديته وأفضل الوسائل إعانته، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو، ولا معين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات وإعانته أجل الوسائل.

وقد أنزل اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في أربعة وهي التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وجمع معانيها في القرآن، وجمع معانيه في المفصل، وجمع معانيه في الفاتحة، وجمع معانيها في إياك نعبد وإياك نستعين.

وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألهية، وتضمنت التعبد باسم الرب واسم اللَّه، فهو يعبد

بألوهيته ويستعان بربوبيته ويهدي إلىٰ الصراط المستقيم برحمته، فكان أول السورة ذكر اسمه اللَّه والرب والرحمن تطابقا لأجل الطالب من عبادته وإعانته وهدايته وهو المنفرد بإعطاء ذلك كله لا يعين علىٰ عبادته سواه ولا يهدي سواه.

ثم يشهد الداعي بقوله **اهدنا الصراط المستقيم** شدة فاقته وضرورته إلىٰ هذه المسألة التي ليس هو إلىٰ شيء أشد فاقة وحاجة منه إليها البتة، فإنه محتاج إليه في كل نفس وطرفة عين، وهذا المطلوب من هذا الدعاء لا يتم إلا بالهداية إلىٰ الطريق الموصل إليه سبحانه والهداية فيه، وهي هداية التفصيل وخلق القدرة علىٰ الفعل وإرادته وتكوينه وتوقيعه لإيقاعه له علىٰ الوجه المرضي المحبوب للرب ﷻ وحفظه عليه من مفسداته حال فعله وبعد فعله.

ولما كان العبد مفتقرا في كل حال إلىٰ هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من:

١- أمور قد أتاها علىٰ غير الهداية فهو يحتاج إلىٰ التوبة منها.

٢- وأمور هدي إلىٰ أصلها دون تفصيلها، أو هدي إليها من وجه دون وجه فهو يحتاج إلىٰ إتمام الهداية فيها ليزداد هدىٰ.

٣- وأمور هو يحتاج إلىٰ أن يحصل له من الهداية فيها بالمستقبل مثل ما حصل له في الماضي.

٤- وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو يحتاج إلىٰ الهداية فيها.

٥- وأمور لم يفعلها فهو يحتاج إلىٰ فعلها علىٰ وجه الهداية.

٦- وأمور قد هدي إلىٰ الاعتقاد الحق والعمل الصواب فيها فهو

محتاج إلىٰ الثبات عليها . .

إلىٰ غير ذلك من أنواع الهدايات ، ففرض اللَّه سبحانه عليه أن يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله مرات متعددة في اليوم والليلة .

ثم بين أن أهل هذه الهداية هم المختصون بنعمته دون المغضوب عليهم ، وهم الذين عرفوا الحق ولم يتبعوه ، ودون الضالين وهم الذين عبدوا اللَّه بغير علم ، فالطائفتان اشتركتا في القول في خلقه وأمره وأسمائه وصفاته بغير علم ، فسبيل المنعم عليه مغايرة لسبيل أهل الباطل كلها علما وعملا .

فّإذ فرغ من هذا الثناء والدعاء والتوحيد شرع له أن يطبع علىٰ ذلك بطابع من التأمين يكون كالخاتم له وافق فيه ملائكة السماء ، وهذا التأمين من زينة الصلاة كرفع اليدين الذي هو زينة الصلاة واتباع للسنة وتعظيم أمر اللَّه وعبودية اليدين ، وشعار الانتقال من ركن إلىٰ ركن .

ثم يأخذ في مناجاة ربه بكلامه واستماعه من الإمام بالإنصات وحضور القلب وشهوده ، وأفضل أذكار الصلاة ذكر القيام وأحسن هيئة المصلي هيئة القيام ، فخصت بالحمد والثناء والمجد وتلاوة كلام الرب جَلَّ جَلَالُهُ ، ولهذا نهىٰ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود لأنهما حالتا ذل وخضوع وتطامن وانخفاض ، ولهذا شرع فيهما من الذكر ما يناسب هيئتهما فشرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه وخضوعه ، وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضاد كبرياءه وجلاله وعظمته .

فأفضل ما يقول الراكع علىٰ الإطلاق سبحان ربي العظيم فإن اللَّه سبحانه أمر العباد بذلك وعين المبلغ عنه السفير بينه وبين عباده هذا

المحل لهذا الذكر لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم[(١)] وأبطل كثير من أهل العلم صلاة من تركها عمدا وأوجب سجود السهو علىٰ من سها عنها، وهذا مذهب الإمام أحمد ومن وافقه من أئمة الحديث والسنة، والأمر بذلك لا يقصر عن الأمر بالصلاة عليه في التشهد الأخير، ووجوبه لا يقصر عن وجوب مباشرة المصلي بالجبهة واليدين، وبالجملة فسر الركوع تعظيم الرب ﷻ بالقلب والقالب والقول، ولهذا قال النبي أما الركوع فعظموا فيه الرب[(٢)]

فصل في الرفع من الركوع

يرفع رأسه عائدا إلىٰ أكمل حديثه وجعل شعار هذا الركن حمد اللَّه الثناء عليه وتحميده فافتتح هذا الشعار بقول المصلي سمع اللَّه لمن حمده أي سمِع سمْع قبول وإجابة ثم شفع بقوله ربنا ولك الحمد ملء السموات والارض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء ولا يهمل أمر هذه الواو في قوله ربنا ولك الحمد فإنه قد ندب الأمر بها في الصحيحين،[(٣)] وهي تجعل الكلام في تقدير جملتين قائمتين بأنفسهما فإن قوله ربنا متضمن في المعنىٰ أنت الرب والملك القيوم الذي بيديه أزمة الأمور وإليه مرجعها فعطف علىٰ هذا المعنىٰ المفهوم من قوله ربنا قوله ولك الحمد فتضمن ذلك معنىٰ قول الموحد له الملك وله الحمد.

ثم أخبر عن شأن هذا الحمد وعظمته قدرا وصفة فقال ملء

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٨٦٩.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٤٧٩

(٣) البخاري رقم/ ٣٤، ومسلم رقم ٣٩٢

السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء أي قدر ملء العالم العلوي والسفلي والفضاء الذي بينهما، فهذا الحمد قد ملأ الخلق الموجود وهو يملأ ما يخلقه الرب ﷻ بعد ذلك ما يشاؤه، فحمده قد ملأ كل موجود وملأ ما سيوجد فهذا أحسن التقديرين، وقيل ما شئت من شيء وراء العالم فيكون قوله بعد للزمان على الأول والمكان على الثاني.

أتبع ذلك بقوله أهل الثناء والمجد، فعاد الأمر بعد الركعة إلى ما افتتح به الصلاة قبل الركعة من الحمد والثناء والمجد ثم أتبع ذلك بقوله أحق ما قال العبد تقريرا لحمده وتمجيده والثناء عليه وأن ذلك أحق ما نطق به العبد، ثم أتبع ذلك بالاعتراف بالعبودية وأن ذلك حكم عام لجميع العبيد، ثم عقب ذلك بقوله لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وكان يقول ذلك بعد انقضاء الصلاة أيضا فيقوله في هذين الموضعين اعترافا بتوحيده وأن النعم كلها منه.

وهذا يتضمن أمورا:

أحدها أنه المنفرد بالعطاء والمنع.

الثاني أنه إذا أعطى لم يطق أحد منع من أعطاه وإذا منع لم يطق أحد إعطاء من منعه.

الثالث أنه لا ينفع عنده ولا يخلص من عذابه ولا يدني من كرامته جدود بني آدم وحظوظهم من الملك والرئاسة والغنى وطيب العيش وغير ذلك إنما ينفعهم عنده التقرب إليه بطاعته وإيثار مرضاته.

ثم ختم ذلك بقوله اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد

كما افتتح به الركعة في أول الاستفتاح، كما كان يختم الصلاة بالاستغفار وكان الاستغفار في أول الصلاة ووسطها وآخرها، فاشتمل هذا الركن على أفضل الأذكار وأنفع الدعاء من حمده وتمجيده والثناء عليه والاعتراف له بالعبودية والتوحيد والتنصل إليه من الذنوب والخطايا فهو ذكر مقصود في ركن مقصود.

فصل في السجود

ثم يكبر ويخر للَّه ساجدا غير رافع يديه لأن اليدين تنحطان للسجود كما ينحط الوجه فهما ينحطان لعبوديتهما فأغنىٰ ذلك عن رفعهما، ولذلك لم يشرع رفعهما عند رفع الرأس من السجود لأنهما يرفعان معه كما يوضعان معه، وشرع السجود علىٰ أكمل الهيئة وأبلغها في العبودية وأعمها لسائر الأعضاء بحيث يأخذ كل جزء من البدن بحظه من العبودية.

والسجود سر الصلاة وركنها الأعظم وخاتمة الركعة وما قبله من الأركان كالمقدمات له فهو شبه طواف الزيارة في الحج فإنه مقصود الحج ومحل الدخول علىٰ اللَّه وزيارته وما قبله كالمقدمات له، ولهذا كان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[(١)]، وأفضل الأحوال له حال يكون فيها أقرب إلىٰ اللَّه، ولهذا كان الدعاء في هذا المحل أقرب إلىٰ الإجابة.

خلق اللَّه سبحانه العبد من الأرض كان جديرا بأن لا يخرج عن أصله بل يرجع إليه إذا تقاضاه الطبع والنفس بالخروج عنه، فإن العبد

(١) حديث «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم ٤٨٢

لو ترك لطبعه ودواعي نفسه لتكبر وأشر وخرج عن أصله الذي خلق منه، ولوثب علىٰ حق ربه من الكبرياء والعظمة فنازعه إياهما.

وأمر بالسجود خضوعا لعظمة ربه وفاطره وخشوعا له وتذللا بين يديه وانكسارا له، فيكون هذا الخشوع والخضوع والتذلل ردا له إلىٰ حكم العبودية ويتدارك ما حصل له من الهفوة والغفلة والإعراض الذي خرج به عن أصله فتمثل له حقيقة التراب الذي خلق منه

وهو يضع أشرف شيء منه وأعلاه وهو الوجه وقد صار أعلاه أسفله خضوعا بين يدي ربه الأعلىٰ وخشوعا له وتذللا لعظمته واستكانة لعزته، وهذا غاية خشوع الظاهر فإن اللَّه سبحانه خلقه من الأرض التي هي مذللة للوطء بالأقدم، واستعمله فيها ورده إليها ووعده بالإخراج منها، فهي أمه وأبوه وأصله وفصله، فضمته حيا علىٰ ظهرها وميتا في بطنها وجعلت له طهرا ومسجدا فأمر بالسجود إذ هو غاية خشوع الظاهر وأجمع العبودية لسائر الأعضاء فيعفر وجهه في التراب استكانة وتواضعا وخضوعا وإلقاء باليدين.

وقال مسروق لسعيد بن جبير ما بقي شيء يرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب له

وكان النبي لا يتقي الأرض بوجهه قصدا بل إذا اتفق له ذلك فعله ولذلك سجد في الماء والطين(١)

---

(١) حديث «إِنِّي كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ أُجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَبِتْ فِي مُعْتَكَفِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَأُنْسِيتُهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فِي كُلِّ وِتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ» متفق عليه: البخاري رقم ٨١٣، و مسلم رقم ١١٦٧.

ولهذا كان من كمال السجود الواجب أنه يسجد علىٰ الأعضاء السبعة: الوجه، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين فهذا فرض أمر اللَّه به رسوله ﷺ وبلغه الرسول لأمته.

ومن كماله الواجب أو المستحب مباشرة مصلاه بأديم وجهه واعتماده علىٰ الأرض بحيث ينالها ثقل رأسه وارتفاع أسافله علىٰ أعاليه فهذا من تمام السجود.

ومن كماله أن يكون علىٰ هيئة يأخذ فيها كل عضو من البدن بحظه من الخضوع، فيقل بطنه عن فخذيه وفخذيه عن ساقيه، ويجافي عضديه عن جنبيه ولا يفرشهما علىٰ الارض ليستقل كل عضو منه بالعبودية.

ولذلك إذا رأىٰ الشيطان ابن آدم ساجدا للَّه اعتزل ناحية يبكي ويقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار[(١)]

ولذلك أثنىٰ اللَّه سبحانه علىٰ الذين يخرون! سجدا عند سماع كلامه وذم من لا يقع ساجدا عنده، ولذلك كان قول من أوجبه قويا في الدليل، ولما علمت السحرة صدق موسىٰ وكذب فرعون خروا سجدا لربهم، فكانت تلك السجدة أول سعادتهم وغفران ما أفنوا فيه أعمارهم من السحر.

ولذلك أخبر سبحانه عن سجود جميع المخلوقات له فقال تعالىٰ:

---

(١) حديث «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ» رواه مسلم بسنده عن أبىٰ هريرة رضي الله عنه رقم ٨١

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل] فأخبر عن إيمانهم بعلوه وفوقيته وخضوعهم له بالسجود تعظيما وإجلالا قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] فالذي حق عليه العذاب هو الذي لا يسجد له سبحانه وهو الذي أهانه بترك السجود له واخبر أنه لا مكرم له وقد هان علىٰ ربه حيث لم يسجد له.

وقال تعالىٰ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد].

ولما كانت العبودية غاية كمال الإنسان، وقربه من اللَّه بحسب نصيبه من عبوديته، وكانت الصلاة جامعة لمتفرق العبودية متضمنة لأقسامها كانت أفضل أعمال العبد ومنزلتها من الإسلام بمنزلة عمود الفسطاط منه، وكان السجود أفضل أركانها الفعلية وسرها الذي شرعت لأجله، وكان تكراره في الصلاة أكثر من تكرر سائر الأركان، وجعله خاتمة الركعة وغايتها وشرع فعله بعد الركوع فإن الركوع توطئة له ومقدمة بين يديه، وشرع فيه من الثناء علىٰ اللَّه ما يناسبه وهو قول العبد سبحان ربي الأعلىٰ فهذا أفضل ما يقال فيه، ولم يرد عن النبي ﷺ أمره في السجود بغيره حيث قال اجعلوها في سجودكم، ومن تركه عمدا فصلاته باطلة عند كثير من العلماء منهم الإمام أحمد وغيره، لأنه لم يفعل ما أمر به، وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية

المناسبة لحال الساجد الذي قد انحط إلىٰ السفل علىٰ وجهه فذكر علو ربه في حال سقوطه وهو كما ذكر عظمته في حال خضوعه في ركوعه ونزه ربه عما لا يليق به مما يضاد عظمته وعلوه.

ثم لما شرع السجود بوصف التكرار لم يكن بد من الفصل بين السجدتين ففصل بينهما بركن مقصود شرع فيه من الدعاء ما يليق به ويناسبه وهو سؤال العبد المغفرة والرحمة والهداية والعافية والرزق فإن هذه تتضمن جلب خير الدنيا والآخرة ودفع شر الدنيا والآخرة، فالرحمة تحصل الخير، والمغفرة تقي الشر، والهداية توصل إلىٰ هذا وهذا، والرزق إعطاء ما به قوام البدن من الطعام والشراب وما به قوام الروح والقلب من العلم والإيمان، وجعل جلوس الفصل محلا لهذا الدعاء لما تقدمه من رحمة اللَّه والثناء عليه والخضوع له فكان هذا وسيلة للداعي ومقدمة بين يدي حاجته.

فهذا الركن مقصود الدعاء فيه فهو ركن وضع للرغبة وطلب العفو والمغفرة والرحمة فإن العبد لما أتىٰ بالقيام والحمد والثناء والمجد، ثم أتىٰ بالخضوع وتنزيه الرب وتعظيمه، ثم عاد إلىٰ الحمد والثناء، ثم كمل ذلك بغاية التذلل والخضوع والاستكانة بقي سؤال حاجته واعتذاره وتنصله، فشرع له أن يتمثل في الخدمة فيقعد فعل العبد الذليل جاثيا علىٰ ركبتيه كهيئة المقلي نفسه بين يدي سيده راغبا راهبا معتذرا إليه مستعديا إليه علىٰ نفسه الأمارة بالسوء(١)

الصلاة وابن تيمية

ونبدأ بمقدمه كلام الدكتور إبراهيم عمر السكران فمن كتابة

(١) ابن القيم: الصلاة وأحكام تاركها ١٤٢ ـ ١٥٠

مسلكيات يروىٰ تسلسل إتقان الصلاة من النبي ﷺ إلىٰ أبىٰ بكر إلىٰ ابن الزبير الىٰ جريج إلىٰ عطاء وتسلسل إلىٰ ابن تيمية وابن القيم.

ثم يسأل: هل علمتم لماذا رفع اللَّه ذكر ابن القيم ولم يرفع ذكر الذين كانوا يلومونه علىٰ صلاته؟

ثم تابع قول ابن كثير عن ابن القيم: (وكنت من أصحب الناس له، وأحب الناس إليه، ولا أعرف من أهل العلم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع، ولا ينزع عن ذلك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

يقول البزار عن شيخه ابن تيمية: (وكان إذا أحرم بالصلاة يكاد يخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتىٰ يميد يمنة ويسرة).

القواعد النورانية وقاعدته الذهبية في الصلاة

وضع ابن تيمية قاعده ذهبيه رد بها تمسك الفقهاء بالتسبيحات الثلاث في الركوع والسجود بعدما عرض أحاديث الصلاة بالدلائل والمعاني، وأبدأ معك بالقاعدة الذهبية ثم نسرد رحلته من البداية:

هذه هي قاعدته «**وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِقْدَارَ الصَّلَاةِ ـ وَاجِبِهَا وَمُسْتَحَبِّهَا ـ لَا يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى غَيْرِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَكِلْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَى آرَاءِ الْعِبَادِ**»

وهذا تفصيلها قال بعدما تكلم عن حديث التسبيحات وضعفه:

«فَلِهَذَا تَمَسَّكَ الْفُقَهَاءُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي التَّسْبِيحَاتِ لِمَا لَهُ مِنَ

الشَّوَاهِدِ، حَتَّىٰ صَارُوا يَقُولُونَ فِي الثَّلَاثِ: إِنَّهَا أَدْنَىٰ الْكَمَالِ أَوْ أَدْنَىٰ الرُّكُوعِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَعْلَاهُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا. فَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّ السُّنَّةَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ مِنْ أَصْلِ الشَّافِعِيِّ وأحمد ﵄ وَغَيْرِهِمْ، هُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ لَا يُطِيلَ الِاعْتِدَالَ بَعْدَ الرُّكُوعِ أَوْ أَنْ يُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ إِلَىٰ آخِرِ الْوَقْتِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا هَذَا لَيْسَ مَعَهُمْ أَصْلٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنَ السُّنَّةِ أَصْلًا، بَلِ الْأَحَادِيثُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الثَّابِتَةُ فِي الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ وَغَيْرِهَا تُبَيِّنُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُسَبِّحُ فِي أَغْلَبِ صَلَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ دَلَالَةُ الْأَحَادِيثِ عَلَيْهِ،

وَلَكِنَّ هَذَا قَالُوهُ لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ، وَإِذَا صَلَّىٰ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» «وَلَمْ يَعْرِفُوا مِقْدَارَ [التَّطْوِيلِ] وَلَا عَلِمُوا التَّطْوِيلَ الَّذِي نَهَىٰ عَنْهُ لَمَّا قَالَ لمعاذ: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا معاذ»؟ «فَجَعَلُوا هَذَا بِرَأْيِهِمْ قَدْرًا لِلْمُسْتَحَبِّ، **وَمِنَ الْمَعْلُوم أَنَّ مِقْدَارَ الصَّلَاةِ - وَاجِبِهَا وَمُسْتَحَبِّهَا - لَا يُرْجَعُ فِيهِ إِلَى غَيْرِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَكِلْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَى آرَاءِ الْعِبَادِ**؛ إِذِ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِالْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ أَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، فَيَجِبُ الْبَحْثُ عَمَّا سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُوضَعَ فِيهِ حُكْمٌ بِالرَّأْيِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ اجْتِهَادُ الرَّأْيِ فِيمَا لَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ(١)

والآن نبدأ رحلته، ولأنه قرآني بدأها بالقرآن ثم الأحاديث:

أولا: مواضع الأمر بإقامة الصلاة:

---

(١) ابن تيمية: القواعد النورانية ١١٠

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [الْبَقَرَةِ: ٤٣، ٨٣، ١١٠، وَالنِّسَاءِ: ٧٦، وَيُونُسَ: ٨٧، وَالْحَجِّ: ٧٨، وَالنُّورِ: ٥٦، وَالرُّومِ: ٣١، وَالْمُجَادَلَةِ: ١٣، وَالْمُزَّمِّلِ]

ثم حديث المسيئ صلاته في الصحيحين والسنن:

قال «وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ ومسلم فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَأَخْرَجَ أَصْحَابُ السُّنَنِ ـ أبو داود وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابن مَاجَهْ ـ وَأَصْحَابُ الْمَسَانِيدِ كَمُسْنَدِ أحمد وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وذكر الحديث.

ثم يضع قاعدة أن أمر النبي ﷺ إذا أطلق كان مقتضاه الوجوب:

قال «فَالنَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ ذَلِكَ الْمُسِيءَ فِي صَلَاتِهِ بِأَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ وَأَمْرُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا أُطْلِقَ كَانَ مُقْتَضَاهُ الْوُجُوبَ، وَأَمَرَهُ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ بِالطُّمَأْنِينَةِ، كَمَا أَمَرَهُ بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَأَمْرُهُ الْمُطْلَقُ عَلَىٰ الْإِيجَابِ.

وَأَيْضًا قَالَ لَهُ: «فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَنَفَىٰ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ الْأَوَّلُ صَلَاةً، وَالْعَمَلُ لَا يَكُونُ مَنْفِيًّا إِلَّا إِذَا انْتَفَىٰ شَيْءٌ مِنْ وَاجِبَاتِهِ، فَأَمَّا إِذَا فَعَلَ كَمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ ﷻ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ نَفْيُهُ لِانْتِفَاءِ شَيْءٍ مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ الَّتِي لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ.

وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ هَذَا نَفْيٌ لِلْكَمَالِ، كَقَوْلِهِ: «لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ»، فَيُقَالُ لَهُ: نَعَمْ هُوَ لِنَفْيِ الْكَمَالِ، لَكِنْ لِنَفْيِ كَمَالِ الْوَاجِبَاتِ أَوْ لِنَفْيِ كَمَالِ الْمُسْتَحَبَّاتِ؟ فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَحَقٌّ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَبَاطِلٌ، لَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ في كَلَامِ اللَّهِ ﷻ وَلَا فِي كَلَامِ رَسُولِهِ قَطُّ، وَلَيْسَ بِحَقٍّ. فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا كَمُلَتْ وَاجِبَاتُهُ فَكَيْفَ يَصِحُّ

نَفْيُهُ؟ . وَأَيْضًا فَلَوْ جَازَ لَجَازَ نَفْيُ صَلَاةِ عَامَّةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ لِأَنَّ كَمَالَ الْمُسْتَحَبَّاتِ مِنْ أَنْدَرِ الْأُمُورِ»

ووضح الفرق بين نفى الواجبات ونفى المستحبات في الكتاب والسنة قال: «وَعَلَىٰ هَذَا: فَمَا جَاءَ مِنْ نَفْيِ الْأَعْمَالِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّمَا هُوَ لِانْتِفَاءِ بَعْضِ وَاجِبَاتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ [الحجرات: ١٥] الْآيَةَ، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] الْآيَةَ، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»، «وَلَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»، «وَلَا صَلَاةَ إِلَّا بِوُضُوءٍ»(١).

ثم حديث لا تجزء صلاة الرجل حتىٰ يقيم ظهره في الركوع والسجود

وَأَيْضًا فَعَنْ أَبِي مَسْعُودَ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُجْزِئُ صَلَاةُ الرَّجُلِ حَتَّىٰ يُقِيمَ ظَهْرَهَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»، رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةُ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ثم أحاديث بطلان صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود:

وَعَنْ علي بن شيبان الحنفي قَالَ: «خَرَجْنَا حَتَّىٰ قَدِمْنَا عَلَىٰ رَسُولِ

---

(١) السابق ص ٥٣

اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ فَلَمَحَ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ رَجُلًا لَا يُقِيمُ صَلَاتَهُ ـ يَعْنِي صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ـ فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ،» رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَابن مَاجَهْ وَفِي رِوَايَةٍ لِلْإِمَام أَحْمَدَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ».

ثم السرقة من الصلاة والنهىٰ عن نقرة الغراب:

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ عَنْ أبي قتادة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»، وَهَذَا التَّرَدُّدُ فِي اللَّفْظِ ظَاهِرُهُ: أَنَّ الْمَعْنَىٰ الْمَقْصُودَ مِنَ اللَّفْظَيْنِ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا شَكَّ فِي اللَّفْظِ كَمَا فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ. وَأَيْضًا: فَعَنْ عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قَالَ: «نَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ، وَافْتِرَاشِ السَّبُعِ، وَأَنْ يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوَطِّنُ الْبَعِيرُ» أَخْرَجَهُ أبو داود وَالنَّسَائِيُّ وَابن مَاجَهْ.

ثم ضبط الهيئات:

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ قتادة عَنْ أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اعْتَدِلُوا فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَلَا يَبْسُطَنَّ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ»

ثم حديث الإجناد الثلاثة في بطلان صلاه النقر:

قال «وَأَيْضًا: فَعَنْ أبي عبد اللَّه الأشعري الشامي قَالَ: «صَلَّىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ، ثُمَّ جَلَسَ فِي طَائِفَةٍ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَامَ يُصَلِّي، فَجَعَلَ يَرْكَعُ وَيَنْقُرُ فِي سُجُودِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَرَوْنَ هَذَا؟ لَوْ مَاتَ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، يَنْقُرُ صَلَاتَهُ كَمَا يَنْقُرُ الْغُرَابُ

الرِّمَّةَ، إِنَّمَا مَثَلُ الَّذِي يُصَلِّي وَلَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَيَنْقُرُ فِي سُجُودِهِ، كَالْجَائِعِ لَا يَأْكُلُ إِلَّا تَمْرَةً أَوْ تَمْرَتَيْنِ لَا تُغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئًا، فَأَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ، وَأَتِمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ»، قَالَ أبو صالح: فَقُلْتُ لأبي عبد اللَّه الأشعري: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؟ قَالَ: أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وشرحبيل بن حسنة، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، كُلُّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ بِكَمَالِهِ، وَرَوَىٰ ابن مَاجَهْ بَعْضَهُ.

ثم حديث لو مات مات علىٰ غير الفطرة:

قال «وَأَيْضًا: فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ [عَنْ أبي وائل عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ]: «أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه رَأَىٰ رَجُلًا لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَىٰ صَلَاتَهُ دَعَاهُ وَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: مَا صَلَّيْتَ، وَلَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ﷺ. وَلَفْظُ أبي وائل: «مَا صَلَّيْتَ»، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «لَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»

ثم بدأ في القنوت والخشوع:

قال والبداية دائما بالقران «أَيْضًا فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة] أَمْرٌ بِالْقُنُوتِ فِي الْقِيَامِ لِلَّهِ، وَالْقُنُوتُ: دَوَامُ الطَّاعَةِ لِلَّهِ عز وجل سَوَاءٌ كَانَ فِي حَالِ الِانْتِصَابِ أَوْ فِي حَالِ السُّجُودِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] وَقَالَ: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣١] وَقَالَ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم].

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة].

دليل وجوب الخشوع من القران:

قال «فَقَدْ دَلَّ كِتَابُ اللَّهِ ﷻ عَلَىٰ مَنْ كَبُرَ عَلَيْهِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، [فَأَنَّهُ] مَذْمُومٌ بِذَلِكَ فِي الدِّينِ مَسْخُوطٌ مِنْهُ ذَلِكَ، وَالذَّمُّ أَوِ السُّخْطُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلِ مُحَرَّمٍ، وَإِذَا كَانَ غَيْرُ الْخَاشِعِينَ مَذْمُومِينَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ وُجُوبِ الْخُشُوعِ. فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْخُشُوعَ الْمَذْكُورَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة] لَا بُدَّ أَنْ يَتَضَمَّنَ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ الْخُشُوعَ خَارِجَ الصَّلَاةِ لَفَسَدَ المعنىٰ

دليل ثان علىٰ وجوب الخشوع من القران

وَيَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ الْخُشُوعِ فِيهَا أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون].

أَخْبَرَ ﷻ أَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَرِثُونَ فِرْدَوْسَ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَرِثُهَا غَيْرُهُمْ، وَقَدْ دَلَّ هَذَا عَلَىٰ وُجُوبِ هَذِهِ الْخِصَالِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ فِيهَا مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ لَكَانَتْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ تُورَثُ بِدُونِهَا؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ تُنَالُ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ دُونَ الْمُسْتَحَبَّاتِ؛ وَلِهَذَا لَمْ يُذْكَرْ فِي هَذِهِ الْخِصَالِ إِلَّا

مَا هُوَ وَاجِبٌ، وَإِذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ وَاجِبًا فَالْخُشُوعُ يَتَضَمَّنُ السَّكِينَةَ وَالتَّوَاضُعَ جَمِيعًا.

وأما بعض الأحاديث في الخشوع

«حَدِيثُ عمر رضي الله عنه: حَيْثُ رَأَىٰ رَجُلًا يَعْبَثُ فِي صَلَاتِهِ فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ «أَيْ لَسَكَنَتْ وَخَضَعَتْ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩] فَأَخْبَرَ أَنَّهَا بَعْدَ الْخُشُوعِ تَهْتَزُّ، وَالِاهْتِزَازُ حَرَكَةٌ، وَتَرْبُو، وَالرَّبْوُ: الِارْتِفَاعُ. فَعُلِمَ أَنَّ الْخُشُوعَ فِيهِ سُكُونٌ وَانْخِفَاضٌ؛ وَلِهَذَا «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي حَالِ رُكُوعِهِ: «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَقْلِي وَعَصَبِي» «رَوَاهُ مسلم فِي صَحِيحِهِ،

وَقَدْ رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ حَدِيثِ ابن سِيرِينَ، وَرَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ فِي التَّفْسِيرِ، وابن المنذر أَيْضًا فِي التَّفْسِيرِ الَّذِي لَهُ، رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ، حَدَّثَنِي خالد، عَنِ ابن سِيرِينَ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَأُمِرَ بِالْخُشُوعِ فَرَمَىٰ بِبَصَرِهِ نَحْوَ مَسْجِدِهِ» «أَيْ مَحَلِّ سُجُودِهِ(١)

ثم الحديث عن نقر الغراب والاستقرار والسكينة والطمأنينة

وَإِذَا كَانَ الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ وَاجِبًا وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلسُّكُونِ وَالْخُشُوعِ، فَمَنْ نَقَرَ نَقْرَ الْغُرَابِ لَمْ يَخْشَعْ فِي سُجُودِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ وَيَسْتَقِرَّ قَبْلَ أَنْ يَنْخَفِضَ لَمْ يَسْكُنْ؛ لِأَنَّ السُّكُونَ

---

(١) السابق ص/٣ ـ ٦/

هُوَ الطُّمَأْنِينَةُ بِعَيْنِهَا، فَمَنْ لَمْ يَطْمَئِنَّ لَمْ يَسْكُنْ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنْ لَمْ يَخْشَعْ فِي رُكُوعِهِ وَلَا فِي سُجُودِهِ، وَمَنْ لَمْ يَخْشَعْ كَانَ آثِمًا عَاصِيًا، وَهُوَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ

قال «السُّكُونَ فِيهَا يَكُونُ بِحَرَكَةٍ مُعْتَدِلَةٍ لَا سَرِيعَةٍ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَشْيِ إِلَيْهَا وهي حَرَكَةٌ إِلَيْهَا، فَكَيْفَ بِالْحَرَكَةِ فِيهَا؟ فَقَالَ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَائْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا»». وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ مُسْتَقِلٌّ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَائْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَاقْضُوا»». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومسلم

وقال «يُبَيِّنُ ذَلِكَ مَا رَوَىٰ أبو داود عَنْ أبي ثمامة الحناط عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَلَا يُشَبِّكَنَّ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ» «فَقَدْ نَهَاهُ ﷺ فِي مَشْيِهِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْعَمَلِ لَهُ مُنْفَرِدًا، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُصَلِّي نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَشْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؟ فَإِذَا كَانَ مَنْهِيًّا عَنِ السُّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ فِي الْمَشْيِ، مَأْمُورًا بِالسَّكِينَةِ وَإِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الصَّلَاةِ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ قَاضِيًا لَهُ، فَأَوْلَىٰ أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا بِالسَّكِينَةِ فِيهَا.

ثم ذكر إجماع الصحابه علىٰ الطمانينه والخشوع

قال «وَهَذَا إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُصَلُّونَ إِلَّا مُطْمَئِنِّينَ، وَإِذَا رَأَىٰ بَعْضُهُمْ مَنْ لَا يَطْمَئِنُّ أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَنَهَاهُ، وَلَا يُنْكِرُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْمُنْكِرِ لِذَلِكَ، وَهَذَا إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ عَلَىٰ وُجُوبِ السُّكُونِ وَالطُّمَأْنِينَةِ

فِي الصَّلَاةِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ وَاجِبٍ لَكَانُوا يَتْرُكُونَهُ أَحْيَانًا كَمَا كَانُوا يَتْرُكُونَ مَا لَيْسَ بِوَاجِبٍ.(١)

ثم بدأ ببيان مقدار صلاة الرسول ﷺ

قال «وَأَمَّا الْقِيَامُ: فَفِي صَحِيحِ مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بـ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ①﴾ [ق]» وَنَحْوِهَا، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ بَعْدُ إِلَىٰ تَخْفِيفٍ «أَيْ يَجْعَلُ صَلَاتَهُ بَعْدَ الْفَجْرِ خَفِيفَةً، كَمَا فِي صَحِيحِ مسلم أَيْضًا عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ، وَفِي الْعَصْرِ نَحْوَ ذَلِكَ، وَفِي الصُّبْحِ أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ»

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الْهَجِيرَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْأُولَىٰ لِحِينِ تَدْحَضُ الشَّمْسُ، وَيُصَلِّي الْعَصْرَ ثُمَّ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَىٰ رَحْلِهِ فِي أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ - قَالَ الرَّاوِي: وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ - وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ الْعِشَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا الْعَتَمَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَكَانَ يَنْفَتِلُ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا بِالسِّتِّينَ إِلَىٰ الْمِائَةِ»»،

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَزَرْنَا قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً، قَدْرَ الم السَّجْدَةِ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْأُولَتَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَىٰ قَدْرِ الْآخِرَتَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الْآخِرَتَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ»»، رَوَاهُ مسلم وأبو داود وَالنَّسَائِيُّ.

---

(١) السابق ص/٧، ٨٦ - ٨٧

وَفِي صَحِيحِ مسلم أَيْضًا عَنْ أبي سعيد ﷺ قَالَ: «لَقَدْ كَانَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ تُقَامُ فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَىٰ الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَأْتِي وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ مِمَّا يُطِيلُهَا» «وَفِي صَحِيحِ مسلم أَيْضًا عَنْ أبي وائل قَالَ: «خَطَبَنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يَوْمًا فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَقُلْنَا: يَا أبا اليقظان لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»»(١).

ثم وقف مع شكوىٰ الناس من الإطالة وأنها كانت من عهد عمر عندما اشتكوا سعد

قال «ففي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ عمر لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: «لَقَدْ شَكَاكَ النَّاسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الْأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الْأُخْرَيَيْنِ وَلَا آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ»(٢)

ثم ذكر التخفيف والمرجع في مقداره، ونبه علىٰ الربط بين التخفيف ووجود السبب:

فقال: «وَفِي صَحِيحِ مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ فكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا» «أَيْ وَسَطًا. وَفِعْلُهُ الَّذِي سَنَّهُ لِأُمَّتِهِ هُوَ مِنَ التَّخْفِيفِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الأئمة، إِذِ التَّخْفِيفُ مِنَ الْأُمُورِ الْإِضَافِيَّةِ، فَالْمَرْجِعُ فِي مِقْدَارِهِ إِلَىٰ السُّنَّةِ، وَذَلِكَ كَمَا خَرَّجَاهُ فِي

(١) السابق ص ٩٠

(٢) السابق ص ٩١

الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جابر رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ معاذ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّنَا ـ وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُصَلِّي بِقَوْمِهِ ـ فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ ـ وَقَالَ مَرَّةً: الْعِشَاءَ ـ فَصَلَّىٰ معاذ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ جَاءَ يَؤُمُّ قَوْمَهُ ـ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَصَلَّىٰ، فَقِيلَ: نَافَقْتَ، فَقَالَ: مَا نَافَقْتُ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ معاذا يُصَلِّي مَعَكَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَؤُمُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ نَوَاضِحَ وَنَعْمَلُ بِأَيْدِينَا وَإِنَّهُ جَاءَ يَؤُمُّنَا فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَقَالَ: أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا معاذ؟ اقْرَأْ بِكَذَا، اقْرَأْ بِكَذَا «قَالَ أبو الزبير: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ جابر رضي الله عنه قَالَ: «أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ، وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ فَوَافَقَ معاذا يُصَلِّي «وَذَكَرَهُ نَحْوَهُ، فَقَالَ فِي آخِرِهِ: «فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الضَّعِيفُ وَالْكَبِيرُ وَذُو الْحَاجَةِ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أبي مسعود رضي الله عنه قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ وَرَاءَهُ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ» وَفِي رِوَايَةٍ: «فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ «وَفِي رِوَايَةٍ: «فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أبي قتادة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَقُومُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمِّهِ»[(١)]

---

(١) السابق ص ٩٢ ـ ٩٣

قلت ثم لاحظ أن أحاديث التخفيف تبين أن الأصل الإطالة وأن سببا عارضا كان الداعى إلى التخفيف، وهذا هو الدليل:

وَأَخْرَجَا أَيْضًا عَنْ أبي قتادة، عَنْ أنس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ مِنْ صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ».

ثم ذكر أن عمر رضي الله عنه مد في القراءة في صلاه الصبح وبالدليل:

قال «وَرَوَىٰ مسلم أَيْضًا عَنْ أنس رضي الله عنه قَالَ: «مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ أَوْجَزَ صَلَاةً، وَلَا أَتَمَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ مُتَقَارِبَةً، وَصَلَاةُ أبي بكر مُتَقَارِبَةً، فَلَمَّا كَانَ عمر رضي الله عنه مَدَّ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ» «

وصلاة عمر رضي الله عنه كانت بسورة يونس وهود في الفجر:

قال «فَإِنَّ عمر رضي الله عنه كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِسُورَةِ يُونُسَ، وَسُورَةِ هُودٍ، وَسُورَةِ يُوسُفَ.(١)

ثم بيان صلاة أنس المشهورة وإتقان أركان ضيعناها:

وَالَّذِي يُبَيِّنُ ذَلِكَ: مَا رَوَاهُ أبو داود فِي سُنَنِهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ رَجُلٍ أَوْجَزَ صَلَاةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَمَام، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَامَ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ، ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَسْجُدُ، وَكَانَ يَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ نَقُولَ: قَدْ أَوْهَمَ» «كَمَا أَخْرَجَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ ثابت، عَنْ أنس قَالَ: «إِنِّي لَا آلُو أَنْ أُصَلِّيَ بِكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِنَا «قَالَ ثابت: «فَكَانَ أنس يَصْنَعُ شَيْئًا لَا أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَهُ، كَانَ إِذَا رَفَعَ

---

(١) السابق ص ٩٤

رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ انْتَصَبَ قَائِمًا حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ»[(١)]

قول ابن تيمية في الإتمام والتخفيف والتطويل:

«فَهَذِهِ أَحَادِيثُ أنس الصَّحِيحَةُ تُصَرِّحُ أَنَّ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يُوجِزُهَا وَيُكْمِلُهَا، وَالَّتِي كَانَتْ أَخَفَّ الصَّلَاةِ وَأَتَمَّهَا، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُومُ فِيهَا مِنَ الرُّكُوعِ حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: إِنَّهُ قَدْ نَسِيَ، وَيَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّىٰ يَقُولَ الْقَائِلُ: قَدْ نَسِيَ، وَإِذَا كَانَ فِي هَذَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَمِنَ الْمَعْلُومِ [بِاتِّفَاقِ] الْمُسْلِمِينَ وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ لَا يَنْقُصَانِ عَنْ هَذَيْنِ الِاعْتِدَالَيْنِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: لَا يُشْرَعُ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ هَذَيْنِ الِاعْتِدَالَيْنِ بِقَدْرِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، بَلْ يَنْقُصَانِ عَنِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ شعبة عَنِ الحكم قَالَ: «غَلَبَ عَلَىٰ الْكُوفَةِ رَجُلٌ ـ قَدْ سَمَّاهُ، زَمَنَ ابن الْأَشْعَثِ، وَسَمَّاهُ غُنْدُرٌ فِي رِوَايَةٍ: مطر بن ناجية ـ فَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَكَانَ يُصَلِّي، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَامَ قَدْرَ مَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ «قَالَ الحكم: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: «كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ قِيَامُهُ وَرُكُوعُهُ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، وَسُجُودُهُ، وَمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ ـ قَرِيبًا مِنَ السَّوَاءِ»»، قَالَ شعبة: فَذَكَرْتُهُ لِعَمْرِو بْنِ مُرَّةَ،

(١) السابق ص٩٥

فَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَىٰ فَلَمْ تَكُنْ صَلَاتُهُ هَكَذَا[(١)]

قول ابن مسعود عن إضاعة الصلاة

«كَانَ ابن مَسْعُودٍ يَتَأَوَّلُ فِي بَعْضِ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَىٰ عَهْدِهِ أَنَّهُمْ مِنَ الْخَلْفِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم] فكَانَ يَقُولُ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ؟ إِذَا تُرِكَ فِيهَا شَيْءٌ قِيلَ: تُرِكَتِ السُّنَّةُ؟ فَقِيلَ: مَتَىٰ ذَلِكَ يَا أبا عبد الرحمن؟ فَقَالَ: ذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ عُلَمَاؤُكُمْ وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ»، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ أَيْضًا: «أَنَا مِنْ غَيْرِ الدجال أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ

دليل أن أقل التسبيح ثلاث، وحديث الثلاث ضعيف:

وَهَذَا يُوَافِقُ الْحَدِيثَ الْمَشْهُورَ الَّذِي فِي سُنَنِ أبي داود وَالتِّرْمِذِيِّ وَابن مَاجَهْ عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا رَكَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ - وَذَلِكَ أَدْنَاهُ - وَإِذَا سَجَدَ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ ثَلَاثًا، وَذَلِكَ أَدْنَاهُ»»، قَالَ أبو داود: هَذَا مُرْسَلٌ؛ عَوْنٌ لَمْ يُدْرِكْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ، عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَمْ يُدْرِكِ ابن مَسْعُودٍ[(٢)]

وهنا يصل ابن تيمية بعد سرد الآيات والأحاديث إلىٰ رد قول الفقهاء وعدم الأخذ به لأن الثلاث اجتهاد من الفقهاء وفعل النبي أكثر من

---

(١) السابق ص ٩٦

(٢) السابق ص ١٠٩

ثلاث تسبيحات وقوله بقاعدته «وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِقْدَارَ الصَّلَاةِ ـ وَاجِبِهَا وَمُسْتَحَبِّهَا ـ لَا يُرْجَعُ فِيهِ إِلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ»

قال «فَلِهَذَا تَمَسَّكَ الْفُقَهَاءُ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي التَّسْبِيحَاتِ لِمَا لَهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ، حَتَّىٰ صَارُوا يَقُولُونَ فِي الثَّلَاثِ: إِنَّهَا أَدْنَىٰ الْكَمَالِ أَوْ أَدْنَىٰ الرُّكُوعِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ أَعْلَاهُ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا. فَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْفُقَهَاءِ: إِنَّ السُّنَّةَ لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَىٰ ثَلَاثِ تَسْبِيحَاتٍ مِنْ أَصْلِ الشَّافِعِيِّ وأحمد رضي الله عنهما وَغَيْرِهِمْ، هُوَ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ لَا يُطِيلَ الِاعْتِدَالَ بَعْدَ الرُّكُوعِ أَوْ أَنْ يُؤَخِّرَ الصَّلَاةَ إِلَىٰ آخِرِ الْوَقْتِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الذينَ قَالُوا هَذَا لَيْسَ مَعَهُمْ أَصْلٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ مِنَ السُّنَّةِ أَصْلًا، بَلِ الْأَحَادِيثُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الثَّابِتَةُ فِي الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ وَغَيْرِهَا تُبَيِّنُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُسَبِّحُ فِي أَغْلَبِ صَلَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ دَلَالَةُ الْأَحَادِيثِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ هَذَا قَالُوهُ لَمَّا سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ، وَإِذَا صَلَّىٰ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» «وَلَمْ يَعْرِفُوا مِقْدَارَ [التَّطْوِيلِ] وَلَا عَلِمُوا التَّطْوِيلَ الَّذِي نَهَىٰ عَنْهُ لَمَّا قَالَ لمعاذ: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا معاذ» ؟ «

فَجَعَلُوا هَذَا بِرَأْيِهِمْ قَدْرًا لِلْمُسْتَحَبِّ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِقْدَارَ الصَّلَاةِ ـ وَاجِبِهَا وَمُسْتَحَبِّهَا ـ لَا يُرْجَعُ فِيهِ إِلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَكِلْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَىٰ آرَاءِ الْعِبَادِ؛ إِذِ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِالْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَكَذَلِكَ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ أَمَرَنَا بِالِاقْتِدَاءِ بِهِمْ، فَيَجِبُ الْبَحْثُ عَمَّا سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُوضَعَ فِيهِ حُكْمٌ بِالرَّأْيِ، وَإِنَّمَا يَكُونُ اجْتِهَادُ الرَّأْيِ فِيمَا لَمْ

تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ(١)

التخفيف أمر نسبي بلا حد في العرف أو اللغة:

وَمِمَّا يُبَيِّنُ هَذَا: أَنَّ التَّخْفِيفَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ إِضَافِيٌّ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فِي اللُّغَةِ وَلَا فِي الْعُرْفِ؛ إِذْ قَدْ يَسْتَطِيلُ هَؤُلَاءِ مَا يَسْتَخِفُّهُ هَؤُلَاءِ، وَيَسْتَخِفُّ هَؤُلَاءِ مَا يَسْتَطِيلُهُ هَؤُلَاءِ، فَهُوَ أَمْرٌ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ عَادَاتِ النَّاسِ وَمَقَادِيرِ الْعِبَادَاتِ، وَلَا فِي كُلٍّ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ شَرْعِيَّةً.

فَعُلِمَ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِ: أَنْ يَرْجِعَ فِي مِقْدَارِ التَّخْفِيفِ وَالتَّطْوِيلِ إِلَى السُّنَّةِ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ أَمْرَهُ ﷺ بِالتَّخْفِيفِ لَا يُنَافِي أَمْرَهُ بِالتَّطْوِيلِ أَيْضًا فِي حَدِيثِ عمار الَّذِي فِي الصَّحِيحِ لَمَّا قَالَ: «إِنْ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ»، وَهُنَاكَ أَمَرَهُمْ بِالتَّخْفِيفِ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْإِطَالَةَ هُنَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْخُطْبَةِ وَالتَّخْفِيفَ هُنَاكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فَعَلَ بَعْضُ الأئمة فِي زَمَانِهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ»».(٢)

ذكر ابن تيمية أن التخفيف لوجود عارض

قال: «وَلِهَذَا مَضَتِ السُّنَّةُ بِتَخْفِيفِهَا عَنِ الْإِطَالَةِ إِذَا عَرَضَ لِلْمَأْمُومِينَ أَوْ بَعْضِهِمْ عَارِضٌ، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ لِمَا أَعْلَمُ مِنْ وَجْدِ أُمِّهِ» «وَبِذَلِكَ عَلَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ [ابن مَسْعُودٍ].

(١) السابق ص ١١٠

(٢) السابق ص ١١١

وبين أحاديث صحيحه في اسماء السور التي قرئها ﷺ في الصلاة

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْصُرُهَا أَحْيَانًا عَمَّا كَانَ يَفْعَلُ غَالِبًا، كَمَا رَوَىٰ مسلم فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَأَنِّي أَسْمَعُ صَوْتَ النَّبِيِّ ﷺ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ـ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٦]»، وَرُوِيَ أَنَّهُ قَرَأَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ بِسُورَةِ الزَّلْزَلَةِ، وَكَانَ يُطَوِّلُهَا أَحْيَانًا حَتَّىٰ ثَبَتَ فِي الصَّحِيح عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ أم الفضل بنت الحارث سَمِعَتْهُ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَقَدْ أَذْكَرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ؛ إِنَّهَا لَآخِرُ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ».

«وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِالطُّورِ فِي الْمَغْرِبِ»، وَفِي الْبُخَارِيِّ وَالسُّنَنِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: «مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِطُولَىٰ الطُّولَيَيْنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا طُولَىٰ الطُّولَيَيْنِ؟ قَالَ: الْأَعْرَافُ». فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِيهَا أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ تَارَةً بِالْأَعْرَافِ وَتَارَةً بِالطُّورِ وَتَارَةً بِالْمُرْسَلَاتِ، مَعَ اتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ عَلَىٰ أَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي الْمَغْرِبِ سُنَّتُهَا أَنْ تَكُونَ أَقْصَرَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي الْفَجْرِ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْقِرَاءَةُ فِي الْفَجْرِ وَغَيْرِهَا؟[1].

وأخيرا مع كتاب صلاة المؤمن للدكتور سعيد وهف القحطاني

وكتاب صلاة المؤمن جمع كل ما يتعلق بالصلاة من آيات، وأحاديث، وأحكام، وأذكار، ومفاهيم، وفضائل، وآداب. . ولابد

(١) السابق ص ١١٣

لكل إمام أن يجعل الكتاب رفيقه كما صار كتاب حصن المسلم رفيق المسلم، والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع فأوعىٰ فأتقن وحباه اللَّه توفيقا وقبولا. ونقف مع الكتاب وقفات يسيرة تختص بإضاعة الصلاة ومتعلقاتها.

▫ قول خطير في إعادة الصلاة

أولا: نقل الشيخ قول ابن القيم في المدارج:

«وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول من قال: إن غلب علىٰ المصلّي عدم الخشوع في الصلاة، وعدم تعقُّلِها وجب عليها إعادتها، واحتجوا: بأنها صلاة لا يُثاب عليها، ولم يُضمن له فيها الفلاح، فلم تبرأ ذمته منها، . ؛ ولأن الخشوع، والتعقُّلَ: روح الصلاة، ومقصودها، ولبُّها، فكيف يُعتدّ بصلاةٍ فقدت روحها، ولبَّها، وبقيت صورتها وظاهرها؟

وقالوا: ولو ترك العبد واجبا من واجباتها عمدا لأبطلها تركه، وغايته أن يكون بعضا من أبعاضها، بمنزلة فوات عضو من أعضاء العبد المعتق في الكفارة، فكيف إذا عدمت روحها، ولبَّها، وصارت بمنزلة العبد الميّت، فإذا لم يعتدّ بالعبد المقطوع اليد، يعتقه تقرّبا للَّه تعالىٰ في كفارة واجبة، فكيف يعتدّ بالعبد الميت، ؟ ؟ وذكر بأن حجج أصحاب هذا القول قويّة ظاهرة.

ترجيح ابن القيم بعدم إعادة الصلاة:

ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجّح القول الثاني الذي لا يوجب الإعادة، وإنما يفُوت المصلّي غير الخاشع الثواب بقدر ما فاته من الخشوع في صلاته، ويفوته ما يحصل من الدرجات العُلا في الآخرة، ومرافقة المقرّبين، كل هذا يفوته بفوات الحضور والخضوع، وذَكَر أن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض،

فإن أراد الإعادة لتحصل هذه الثمرات والفوائد فذاك إليه إن شاء أن يحصّلها، وإن شاء أن يفوّتها على نفسه فوَّتها، ولا نلزمه بإعادتها ولا نعاقبه على تركها، ولا نرتب عليه أحكام تارك الصلاة، وهذا أرجح القولين.

استدراك على قول ابن القيم ومتى تجب إعادة الصلاة:

يقول الشيخ وكلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا مختص بحضور القلب وخشوعه في الصلاة، أما من نقر الصلاة، ولم يتم ركوعها، أو سجودها، أو ترك شيئا من شروطها، أو أركانها، أو تعمّد ترك واجب من واجباتها، فلا شكّ أن الإعادة تجب عليه.

فصل في صلاة الخاشعين:

*قال سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «فيَّ ثلاث خصال، لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن: كنت أنا أنا؛ إذا كنت في الصلاة لا أُحَدّث نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول اللّه حديثا لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أُحَدّث نفسي بغير ما تقول، ويقال لها»

وكان مسلمة بن بشار يصلي في المسجد، فانهدم طائفة منه، وقام الناس وهو في الصلاة لم يشعر

وكان عبد اللّه بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسجد، فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه، وهو في الصلاة لا يرفع رأسه.

وقالوا لعامر بن قيس اتحدث نفسك بشئ في الصلاة قال أو شيء أحب إليّ من الصلاة أُحَدّثُ به نفسي؟ قالوا: إنا لنحدث أنفسنا في

الصلاة، فقال: أبا لجنة والحور، ونحو ذلك؟ فقالوا: لا، ولكن بأهلينا وأموالنا، فقال: لأن تختلف الأسنّة فيَّ أحبُّ إليَّ.

- **حالات عدم قبول الصلاة من الأحاديث**

وسرد الشيخ أحاديث مفادها التحذير من عدم قبول الصلاة

١ ـ قد يُصلّي المرء ستين سنة، وما قبل اللَّه منه صلاة واحدة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي سِتّينَ سَنَةً، ومَا تُقْبَلُ لَهُ صَلاَةٌ، لَعَلَّهُ يُتِمُّ الرُّكُوعَ، وَلاَ يُتِمُّ السُّجُودَ، وَيُتِمُّ السُّجُودَ، وَلاَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ».

٢ ـ أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا»، أَوْ قَالَ: «لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ».

٣ ـ لا ينظر اللَّه عز وجل إلىٰ صلاة عبدٍ لا يُقيم صلبه بين ركوعها وسجودها؛ لحديث طلق بن علي الحنفي رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ عز وجل إِلَىٰ صَلَاةِ عَبْدٍ لَا يُقِيمُ فِيهَا صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ صَلَاةِ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ».

وعن أبي عبد اللَّه الأشعري رضي الله عنه: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم رأىٰ رجلا لا يُتمّ ركوعه [و] ينقر في سجوده وهو يصلي، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم ـ: «لَوْ مَاتَ هَذَا عَلَىٰ حَالِهِ هَذِهِ، مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم» ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الَّذِي لَا يُتِمُّ رُكُوعَهُ، وَيَنْقُرُ فِي سُجُودِهِ، مَثَلُ الْجَائِعِ يَأْكُلُ التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ لَا يُغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئًا».

٥ ـ قد ينصرف المصلّي ولم يكتب له من صلاته إلا عشرها؛ لحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمْنُهَا، سُبْعُهَا، سُدْسُهَا، خُمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثُلُثُهَا، نِصْفُهَا»

وعن أبي اليَسَر: كعب بن عمرو السلمي رضي الله عنه، أن رسول اللَّه ﷺ، قال: «مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ، وَالثُّلُثَ، وَالرُّبُعَ»، حَتَّىٰ بَلَغَ: «الْعُشْرَ»

٦ ـ قد يُصلّي المرء أربعين سنة، ولا يكتب له صلاة واحدة؛ لحديث حذيفة موقوف عليه: أَنَّهُ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، فَجَعَلَ لاَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَلاَ السُّجُودَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: مُنْذُ كَمْ تُصَلِّي هَذِهِ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: «مَا صَلَّيْتَ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَوْ مِتَّ وَهَذِهِ صَلاتُكَ لَمِتَّ عَلَىٰ غَيْرِ الفِطْرَةِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

٧ ـ نقر الصلاة كنقر الغراب، أو الطائر بمنقاره من علامات النفاق الخالص؛ لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»

٨ ـ بكاءُ أنس بن مالك رضي الله عنه علىٰ تأخير الصلاة عن وقتها وتضييعها، فعن الزهري رحمه الله قال: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: «لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَدْ ضُيِّعَتْ» ومعنىٰ تضييعها: أي تأخيرها عن وقتها.

مشاهد الصلاة التي تقرّ بها العين

(من رسالة ابن القيم إلىٰ أحد إخوانه)

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومما ينبغي أن يعلم أن الصلاة التي تقرّ بها العين، ويستريح بها القلب، هي التي تجمع ستة مشاهد»، وذكر هذه المشاهد رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي علىٰ النحو الآتي:

▫ المشهد الأول:

الإخلاص: وهو أن يكون الحامل عليها، والداعي إليها، رغبة العبد في اللَّه، ومحبته له، وطلب مرضاته، والقرب منه، والتودُّد إليه، وامتثال أمره؛ بحيث لا يكون الباعث له عليها حظّا من حظوظ الدنيا البتة؛ بل يأتي بها ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ: محبةً له، وخوفا من عذابه، ورجاء لمغفرته، وثوابه.

▫ المشهد الثاني:

مشهد الصدق والنصح: وهو أن يُفرّغ قلبه للَّه فيها، ويستفرغ جهده في إقباله فيها علىٰ اللَّه، وجمع قلبه عليها، وإيقاعها علىٰ أحسن الوجوه، وأكملها ظاهرا وباطنا؛ فإن الصلاة لها ظاهر وباطن.

فظاهرها الأفعال المشاهدة والأقوال المسموعة، وباطنها الخشوع والمراقبة، وتفريغ القلب للَّه والإقبال بكُليَّته علىٰ اللَّه فيها بحيث لا يلتفت قلبه عنه إلىٰ غيره، فهذا بمنزلة الروح لها والأفعال بمنزلة البدن، فإذا خلت من الروح كانت كبدن لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يواجه سيده بمثل ذلك.

▫ المشهد الثالث:

مشهد المتابعة والاقتداء: وهو أن يحرص كلّ الحرص علىٰ الاقتداء

في صلاته بالنبي ﷺ، ويُصلّي كما كان يُصلّي، ويعرض عما أحدث الناس في الصلاة: من الزيادة، والنقصان، والأوضاع التي لم ينقل عن رسول اللَّه ﷺ شيء منها، ولا عن أحد من أصحابه، ولا يقف عند أقوال المرخّصين الذين يقفون مع أقل ما يعتقدون وجوبه، ويكون غيرهم قد نازعهم في ذلك، وأوجب ما أسقطوه، ولعل الأحاديث الثابتة، والسنة النبوية من جانبه، ولا يلتفتون إلىٰ ذلك، ويقولون: نحن مقلّدون لمذهب فلان، وهذا لا يُخلّص عند اللَّه، ولا يكون عذرا لمن تخلَّف عما علمه من السنة عنده، فإن اللَّه سبحانه إنما أمر بطاعة رسوله، واتباعه وحده، ولم يأمر باتباع غيره، وإنما يطاع غيره إذا أمر بما أمر به الرسول، وكل أحد سوىٰ الرسول ﷺ فمأخوذ من قوله ومتروك، وقد أقسم اللَّه سبحانه بنفسه الكريمة أنا لا نؤمن حتىٰ نحكم الرسول فيما شجر بيننا، وننقاد لحكمه، ونسلم تسليما.

□ **المشهد الرابع:**

مشهد الإحسان: وهو مشهد المراقبة، وهو أن يعبد اللَّه كأنه يراه، وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان باللَّه، وأسمائه، وصفاته، حتىٰ كأنه يرىٰ اللَّه سبحانه فوق سمواته، مستويا علىٰ عرشه، يتكلم بأمره ونهيه، ويُدبّر أمر الخليقة، فينزل الأمر من عنده، ويصعد إليه، وتُعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه، فيشهد ذلك كُلَّه بقلبه، ويشهد أسماءه وصفاته، ويشهد قيُّوما، حيّا، سميعا، بصيرا، عزيزا، حكيما، آمرا، ناهيا، يحب ويبغض، ويرضىٰ ويغضب، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وهو فوق عرشه، لا يخفىٰ عليه شيء من أعمال العباد، ولا أقوالهم ولا بواطنهم؛ بل يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

وحظّ العبد من القرب من اللَّه علىٰ قدر حظّه من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصلاة، حتىٰ [أنَّه] يكون بين صلاة الرجلين من الفضل كما بين السماء والأرض، وقيامهما، وركوعهما، وسجودهما واحد.

▫ المشهد الخامس:

مشهد المِنَّةِ: وهو أن يشهد أن المنة للَّه سبحانه كونه أقامه في هذا المقام، وأهَّله له، ووفَّقه لقيام قلبه وبدنه في خدمته، فلولا اللَّه سبحانه لم يكن شيء من ذلك، كما كان الصحابة يَحْدون بين يدي النبي ﷺ فيقولون واللَّه لولا اللَّه ما اهتدينا، . ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّينا.

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات]، فاللَّه سبحانه هو الذي جعل المسلم مسلما، والمُصلّي مصلّيا كما قال الخليل ﷺ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وقال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، فالمنّة للَّه وحده في أن جعل عبده قائما بطاعته، وكان هذا من أعظم نعمه عليه، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الحجرات] وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد، وكلّما كان العبد أعظم توحيدا، كان حظُّه من هذا المشهد أتمَّ.

□ **المشهد السادس:**

مشهد التقصير: وأن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد، وبذل وسعه، فهو مقصّر، وحق اللَّه سبحانه عليه أعظم، والذي ينبغي له أن يقابل به من الطاعة والعبودية والخدمة فوق ذلك بكثير، وأن عظمته وجلاله سبحانه يقتضي من العبودية ما يليق بها، وإذا كان خدم الملوك وعبيدهم يعاملونهم في خدمتهم بالإجلال لهم، والتعظيم، والاحترام، والتوقير، والحياء، والمهابة، والخشية، والنصح، بحيث يُفَرّغون قلوبهم وجوارحهم لهم، فمالك الملوك، ورب السماوات والأرض، أولىٰ أن يعامل بذلك، بل بأضعاف ذلك.

وإذا شهد العبد من نفسه أنه لم يوف ربه في عبوديته حقه، ولا قريبا من حقه، علم تقصيره، ولم يسعْه مع ذلك غير الاستغفار، والاعتذار من تقصيره وتفريطه، وعدم القيام بما ينبغي له من حقه، وأنه إلىٰ أن يغفر له العبودية، ويعفو عنه فيها أحوج منه إلىٰ أن يطلب منه عليها ثوابا، وهو لو وفَّاها حقها كما ينبغي، لكانت مستحقّة عليه بمقتضىٰ العبودية؛ فإن عمل العبد، وخدمته لسيده، مستحقّ عليه بحكم كونه عبده ومملوكه.

ومن هنا يُفْهَم قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود، والإمام أحمد، من حديث زيد بن ثابت، وحذيفة وغيرهما: «إِنَّ اللَّهَ لَوْ عذَّبَ أهْلَ سَمَوَاتِهِ، وأهْلَ أرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ».

✍ **درجات الخشوع:**

درجات الخشوع في الصلاة عند قراءة آيات القرآن الكريم.

▫ **الدرجة الأولى:**

قراءتها والتلفظ بها مع استحضار معانيها، وهذه الدرجة أدنىٰ ما يُجزِئ من الخشوع الكامل.

▫ **الدرجة الثانية:**

أن يقرأها وهو يعقلها، ومتأثرا بمعانيها حال قراءتها، وهذه الدرجة تزيد عمّا قبلها بوجود التأثّر من تلك المعاني، حتىٰ يُعرف خشوعه من صوته، ويتأثَّر به من سَمِعَه، ويحسب أنه يخشىٰ اللَّه فيها، فيرغب في آيات الوعد، ويرهب من آيات الوعيد.

▫ **الدرجة الثالثة:**

أن يقرأها مُتأثّرا غاية التأثر بحقائقها تلك، وهذه الدرجة تزيد عمّا قبلها ببلوغ التأثُّر غايته، وشهود حقائق المعاني بالقلب، حتىٰ كأنَّها رأي عين.

✍ **حكم الوسواس في الصلاة**

الوسواس في الصلاة يدل علىٰ عدم كمال الإيمان، وعلىٰ عدم استحضار العبد عظمة اللَّه، وعدم الإحسان الكامل في الصلاة؛ فإن الإحسان في الصلاة: هو أن يصلّي المُصلّي كأنه يرىٰ اللَّه؛ فإن لم يكن يراه فإنه يراه، كما قال النبي ﷺ حينما سأله جبريل عليه السلام بقوله: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؛ فَقَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الوسواس لا يبطل الصلاة إذا

---

(١) متفق عليه: البخارىٰ رقم ٥٠، ومسلم رقم ٩

كان قليلا باتفاق أهل العلم؛ بل ينقص الأجر، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلْتَ منها».

أسباب الوسوسة

١ ـ قِلَّةُ العلم الشرعي: أي بالكتاب والسنة، وما عليه الصحابة وأتباعهم رضي الله عنهم.

٢ ـ ضعف الإيمان؛ لأن الشيطان يتسلّط على أهل المعاصي، بخلاف قويِّ الإيمان.

٣ ـ الاسترسال مع الأفكار؛ فإن هذا الاسترسال يجعل للشيطان مدخلا عليه.

٤ ـ الغفلة عن ذكر اللَّه تعالىٰ؛ فإن الذكر يطرد الشيطان ووساوسه.

٥ ـ ضعف العقل؛ فإن صاحب العقل الكامل المؤمن ينجو من الوسوسة بفضل اللَّه تعالىٰ.

٦ ـ عدم مخالطة أهل العلم والإيمان الكامل.

٧ ـ عدم اتباع الرسول ﷺ؛ فإن الشيطان يدخل من هذا المدخل.

وعلاج الوسوسة على النحو الآتي

١ ـ طلب العلم الشرعي.

٢ ـ تقوية الإيمان بالطاعات والنوافل.

٣ ـ مداومة ذكر اللَّه تعالىٰ علىٰ كل حال؛ فهي حصن حصين من الوسوسة، ومن كلّ شرٍّ.

٤ ـ مجالسة الصاحين، ومخالطة الناس الذين يستفيد منهم.

٥ ـ معرفة أن الحق هو ما جاء به الرسول ﷺ.

٦ ـ الاعتراف بأن الوسوسة من أبطل الباطل.

٧ ـ الاستعاذة باللَّه من الشيطان كما ثبت في الأدلة.

٨ ـ لا يطيل الجلوس والمكث في الحمام أو الخلاء فوق حاجته؛ لأن في ذلك كشفا للعورة بلا حاجة؛ ولأن الحشوش والمراحيض مأوىٰ الشياطين، والنفوس الخبيثة.

٩ ـ ينضح فرجه وسراويله بالماء؛ ليدفع عن نفسه الوسوسة؛ لحديث الحكم بن سفيان قال: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا بال توضأ وينتضح»[(١)]

١٠ ـ إذا تَيَقَّنَ الطهارة ثم شَكَّ في الحدث فله أن يصلّي بطهارته؛ لأنه علىٰ طهارة، وإذا تَيَقَّنَ الحدث ثم شَكَّ هل تطهَّر أم لا فليس له أن يصلي إلا بعد الطهارة؛ وإذا شكَّ بعد الانتهاء من العبادة، فلا يلتفت إليه، إلا إذا تيقن يقينا لا شك فيه، وإذا كثرت الشكوك فلا يلتفت إليها.

ثلاثة وخمسون سببا تزيل الخشوع في الصلاة، أو تضعفه، وكيفية التخلص منها:

يجب ترك الأسباب التي تزيل الخشوع في الصلاة، أو تضعفه، والعمل بالأسباب التي تجلبه وتقوّيه، وهي كثيرة، منها الأسباب الآتية:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٦٠٨ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا، وَإِنَّمَا تَرَكَاهُ لِلشَّكِ فِيهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يُوهِنُهُ.

السبب الأول: معرفة اللَّه تعالىٰ: بأسمائه، وصفاته، وألوهيَّته، وربوبيَّته.

السبب الثاني: علاج قسوة القلب، ومرضه، وغفلته؛ فإن هذه الأمراض من أعظم الأسباب في عدم الخشوع في الصلاة.

السبب الثالث: الابتعاد عن الوسوسة؛ فإنها أعظم موانع الخشوع في الصلاة، فإذا نجا العبد من هذا المرض الخطير فقد نجا من شرور كثيرة.

السبب الرابع: متابعة المؤذن من الأمور التي تجلب الخشوع في الصلاة.

السبب الخامس: العمل بآداب المشي إلىٰ الصلاة من أعظم ما يجلب الخشوع.

السبب السادس: عدم الالتفات لغير حاجة

السبب السابع: عدم رفع البصر إلىٰ السماء.

السبب الثامن: عدم افتراش الذراعين في السجود.

السبب التاسع: عدم التخصر.

السبب العاشر: عدم النظر إلىٰ ما يُلهي ويُشغل.

السبب الحادي عشر: عدم الصلاة إلىٰ ما يشغل ويُلهي.

السبب الثاني عشر: عدم الإقعاء المذموم.

السبب الثالث عشر: عدم عبث المصلي بجوارحه.

السبب الرابع عشر: عدم تشبيك الأصابع، وفرقعتها في الصلاة.

السبب الخامس عشر: عدم الصلاة بحضرة الطعام.

السبب السادس عشر: عدم مدافعة الأخبثين [البول والغائط] في الصلاة.

السبب السابع عشر: عدم بصاق المصلي أمامه أو عن يمينه في الصلاة.

السبب الثامن عشر: عدم كف الشعر أو الثوب في الصلاة.

السبب التاسع عشر: عدم عقص الرأس في الصلاة

السبب العشرون: عدم تغطية الفم في الصلاة.

السبب الحادي والعشرون: عدم السدل في الصلاة.

السبب الثاني والعشرون: عدم تخصيص مكان من المسجد للصلاة فيه دائمًا لغير الإمام.

السبب الثالث والعشرون: عدم الاعتماد علىٰ اليد في الجلوس في الصلاة.

السبب الرابع والعشرون: عدم التثاؤب في الصلاة.

السبب الخامس والعشرون: عدم الركوع قبل أن يصل إلىٰ الصف.

السبب السادس والعشرون: عدم الصلاة في المسجد لمن أكل البصل أو الثوم ونحوهما.

السبب السابع والعشرون: عدم صلاة النفل عند مغالبة النوم.

السبب الثامن والعشرون: الصلاة إلىٰ سترة والدنوّ منها.

السبب التاسع والعشرون: وضع اليد اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ علىٰ الصدر.

السبب الثلاثون: الإشارة بالسبابة وتحريكها في الدعاء في التشهد:

الإشارة بالسبابة تجلب الخشوع، وفيها إغاظة للشيطان.

السبب الحادي والثلاثون: النظر إلىٰ موضع السجود، وإلىٰ السبابة.

السبب الثاني والثلاثون: العلم بأنه يدعو اللَّه ويخاطبه وأن اللَّه يرَدّ عليه ويُجيبه.

السبب الثالث والثلاثون: الاستعاذة باللَّه من الشيطان الرجيم.

السبب الرابع والثلاثون: تدبّر القرآن في الصلاة يجلب الخشوع.

السبب الخامس والثلاثون: تحسين القراءة بالقرآن وترتيله:

السبب السادس والثلاثون: سجود التلاوة في الصلاة.

السبب السابع والثلاثون: المحافظة علىٰ سنن الصلاة القولية والفعلية.

السبب الثامن والثلاثون: ذكر الموت في الصلاة.

السبب التاسع والثلاثون: الحذر من الغفلة.

السبب الأربعون: الاستجابة للَّه ولرسوله مع العلم أن اللَّه يحول اللَّه بين المرء وقلبه.

السبب الحادي والأربعون: سؤال اللَّه تعالىٰ الخشوع في الصلاة.

السبب الثاني والأربعون: العلم بأن العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل منها.

السبب الثالث والأربعون: معرفة خشوع النبي ﷺ في صلاته.

السبب الرابع والأربعون: معرفة خشوع الصحابة والتابعين وأتباعهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

السبب الخامس والأربعون: العلم بما ثبت في التحذير من ترك الخشوع، وما ثبت من الترغيب في الخشوع.

السبب السادس والأربعون: فهمُ وتدبُّر معاني أفعال الصلاة يجلب الخشوع فيها.

السبب السابع والأربعون: فهم وتدبُّر معاني أقوال الصلاة.

السبب الثامن والأربعون: التنويع في الاستفتاح، والقراءة، والأذكار في الصلاة.

السبب التاسع والأربعون: الاجتهاد في الدعاء في مواضعه في الصلاة.

السبب الخمسون: إحسان الطهور وإكماله.

السبب الحادي والخمسون: المحافظة علىٰ صفة الصلاة الكاملة الخاشعة من كل وجه.

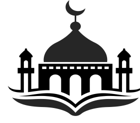
السبب الثاني والخمسون: المحافظة علىٰ الأذكار أدبار الصلوات المفروضة.

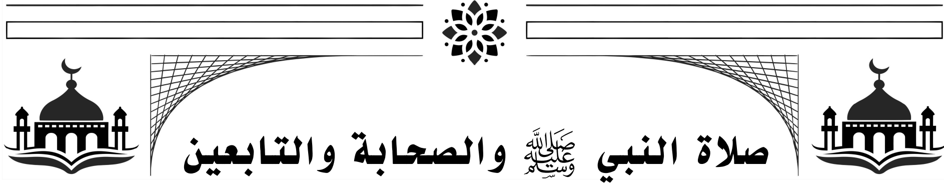
السبب الثالث والخمسون: المحافظة علىٰ السنن الرواتب قبل الفريضة وبعدها.

وأخيرا اخواني شيء من استحضار المعاني القلبية:

- استحضار نداء القبور مع نداء الصلاة.
- تكبيرة الاحرام ومعاني التكبير والتحريم.
- ذكر معاني الوضوء وتطهير الجسد والقلب.
- استحضار مقاصد الصلاة والحضور مع اللَّه.

- البحث عن آثار الصلاة في القلب والنفس.





صلاة النبي ﷺ والصحابة والتابعين

المقدمة

لـم تكن صلاة النبي ﷺ تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم كما هو شائع، فإن هذه هي البداية والنهاية الفقهية، أما البداية والنهاية الفعلية فكان ﷺ يبدأ الصلاة بالتحضير والاستحضار ويختمها بالتمجيد والتوحيد والاستغفار.

ولما لم نبدأ صلاتنا بالتحضير والاستحضار لم نر فيها خشوعا أو حضورا أو لذة، ولما لم نحتمها بالتمجيد والتوحيد والاستغفار لم نر لها فينا أثرا.

فأما التحضير ففي أقواله وأفعاله وأحواله في كل حركة قبلها، هو دائما متوجه إلىٰ اللَّه ذاكرا أو داعيا، الصلاة قد استحوذت علىٰ كيانه وطاقت إليها روحه فحضر القلب ونطق اللسان وعلتْه الهيبة وغشيته السكينة.

- عند الوضوء وبعد الفراغ منه يطلب الطهارة لنفسه بالتوبة ولجسده بالماء.

- ويذهب إلىٰ المسجد بالسكينة والوقار فهو في الصلاة قد بدأها.

- وعند المشي إلىٰ المسجد يطلب النور في قلبه وعقله ونفسه وسمعه وبصره وكل جزء من جسده وكل شيء حوله يمينه وشماله وأمامه وفوقه، إنه يستمطر نور الصلاة فهو القائل: والصلاة نور.

- وربما سأل اللَّه بحق السائلين عليه وممشاه إليه أن يغفر له ويعيذه من النار.

- وعند سماع الأذان يردده ويؤكده مُقرا بحول اللَّه وقوته وإعانته في إجابته للصلاة، وشاهدا بتوحيد اللَّه وأنه رسول اللَّه، وراضيا باللَّه ربا وبالإسلام دينا، وداعيا بالوسيلة والفضيلة والمقام المحمود.

- وربما كان في أمر من الدنيا فيتركه، أو مع أهله فيفزع عند سماع الأذان وكأنه لا يعرفهم.

- وعند دخول المسجد يصرع الشيطان علىٰ باب المسجد بالاستعاذة باللَّه العظيم وبوجهه الكريم، ويستفتح بسم اللَّه طالبا المغفرة وراجيا رحمة اللَّه.

- وبين الأذان والإقامة الدعاء إمعانًا في إحضار القلب والقرب من اللَّه.

وأما الاستحضار فعمل القلب وتدبره وحضوره في هذه الأقوال والأفعال حتىٰ يقبل علىٰ الصلاة وقد طرح الدنيا خلفه واستجمع شمله لها واطلع قلبه علىٰ أجرها وثوابها.

- فيستحضر عند المشي إليها في كل خطوة يرتفع درجه وتُحط عنه خطيئة، وأنه في صلاة من لحظة خروجه من بيته إلىٰ عودته، وأن له نزلا في الجنة عند كل غدو ورواح.

- وعند سماع الأذان الراحة من ماكينات الدنيا وأن قرة عينه وسكينة نفسه في الصلاة.

- وعند ترديد الأذان السمع والطاعة لربه، واستحضار جزائه من المغفرة ودخول الجنة.

– وعند دخول المسجد دخوله في رحبة الرحمات والسكينة والهبات .

وأما ختمها بالتمجيد فهو التسبيح والتحميد وأن اللَّه له النعمة كلها وله الفضل والثناء الحسن، وأنه وأمته علىٰ الإخلاص للدين ولو كره الكافرون .

وأما ختمها بالتوحيد فقوله الجامع المانع : لا اله الا اللَّه وحده له شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير .

وأخيرا يرىٰ مع كل ذلك تقصيرا في العبودية التي خلق من أجلها فيختمها بالاستغفار .

وإليك أخي القارئ بعض الأحاديث:

▫ المشي إلى الصلاة

قال أَبو هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ في صَلاَةٍ مَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَىٰ الصَّلاَةِ»(١)

▫ دعاء الذهاب إلى المسجد

ـ «اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا ، وفي سمعي نورا ، وفي بصري نورا ، ومن فوقي نورا ، ومن تحتي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن شمالي نورا ، ومن أمامي نورا ، ومن خلفي نورا ، واجعل في نفسي نورا ، وأعظم لي نورا ، وعظم لي نورا ، واجعل لي نورا ، واجعلني نورا ، اللهم أعطني نورا ، واجعل في عصبي نورا ، وفي

---

(١) رواه مالك في الموطأ وبعضه في البخارىٰ ومسلم

لحمي نورا، وفي دمي نورا، وفي شعري نورا، وفي بشري نورا»(١)

«اللهم اجعل لي نورا في قبري.. ونورا في عظامي.»(٢)

«وزدني نورا، وزدني نورا، وزدني نورا»(٣)

«وهب لي نورا علىٰ نور»(٤)

وأيضا في مسند أحمد وسنن ابن ماجه وابن السنىٰ ومصنف ابن أبي شيبه وغيرهم

قَالَ رسول اللَّه ﷺ «مَنْ قَالَ حِينَ يَخْرُجُ إِلَىٰ الصَّلاَةِ اللَّهُمَّ إِنِّىٰ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَاىَ فَإِنِّىٰ لَمْ أَخْرُجْ أَشَرا وَلاَ بَطَرا وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِك وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِىٰ مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِىٰ ذُنُوبِىٰ إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّىٰ يَفْرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ»(٥)

---

(١) جميع هذه الخصال في البخاري ١١ /١١٦ برقم ٦٣١٦ ومسلم ١ /٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٠ برقم/٦٣

(٢) الترمذي برقم ٣٤١٩، ٥ /٤٨٣

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٦٩٥، ص ٢٥٨ وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد برقم ٥٣٦.

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري وعزاه إلىٰ ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، انظر الفتح ١١ /١١٨ وقال: فاجتمع من اختلاف الروايات خمس وعشرون خصلة.

(٥) الحديث ضعيف باتفاق، وحسنه البعض بالشواهد منهم ابن حجر وابن خزيمة وابن حبان والشوكاني والعراقي.
وساقه بعض الأئمة في صفة صلاة النبي ﷺ منهم النووي والشوكاني وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب والألباني مع التنبيه علىٰ ضعفه، ومن يعمل بالضعيف =

وإن كان هذا الحديث مجمع علىٰ ضعفه بين المعاصرين إلا أن بعض اكابر العلماء اخذوا به بل وحسنه ابن حجر وأورده ابن خزيمة في صحيحه.

ولعل الأثر الذىٰ ستجده في صلاتك وقلبك وفي خطواتك إلىٰ المسجد إن كان قلبك حاضرا مع هذا الدعاء يدفعك الىٰ العمل به .

وهذا المشي إلىٰ الصلاة تُكتب به الحسنات وتُرفع الدرجات وتُحط الخطايا؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من تطهَّر في بيته، ثم مشىٰ إلىٰ بيت من بيوت اللَّه؛ ليقضي فريضة من فرائض اللَّه، كانت خَطْوَتاه إحداهما تحطُّ خطيئة، والأخرىٰ ترفع درجة»[(١)]

كما أنه تُعدُّ الضيافة في الجنة بها كلما غدا إليها المسلم أو راح؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «من غدا إلىٰ المسجد أو راح، أعد اللَّه له في الجنة نُزُلا كُلَّما غدا أو راح»[(٢)]

وكان يقول النبي ﷺ: «يا بِلاَلُ أرِحْنا بِالصلاَةِ»[(٣)]. وكان يقول ﷺ:

= في فضائل الأعمال فليقله من أجل استحضار التعبد في المشىٰ إلىٰ الصلاة والتذلل للَّه والتخلص من الرياء وإصلاح القلب لإصلاح الصلاة والأجر علىٰ الدعاء، ومن لا يعمل به فيمكنه الدعاء بمعاني الحديث لتحقيق مراده.

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلىٰ الصلاة تمحىٰ به الخطايا وترفع به الدرجات، ١/٤٦٢، برقم ٦٦٦.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلىٰ المسجد أو راح، ١/١٨٢، برقم ٦٦٢. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلىٰ الصلاة تمحىٰ به الخطايا وترفع به الدرجات، ١/٤٦٣، برقم ٦٦٩.

(٣) رواه أبو داود، في الأدب: باب صلاة العتمة، برقم ٤٩٨٥، و٤٩٨٦، وأحمد في المسند، ٣٨/١٧٨، برقم ٣٢٠٨٨ عن رجل من الصحابة، وصحح إسناده =

«وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ.»(١)

□ **دُعَاءُ دُخُولِ المَسْجِدِ**

ـ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ العَظِيم، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيم، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيم، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم»(٢) [بِسْمِ اللَّهِ](٣)، [وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ](٤)«اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ.»(٥)

□ **أذكار الأذان**

«يقول مثل ما يقول المؤذن إلا في «حي علىٰ الصلاة وحي علىٰ الفلاح «فيقول: «لا حول ولا قوة إلا باللَّه.»(٦).

ـ ويقول «وأنا أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت باللَّه ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا»(٧)»

= الشيخ الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ١/ ٢٦٥.

(١) رواه النسائي، في عشرة النساء: باب حب النساء، //٦١، برقم ٣٩٤٠، وأحمد في المسند، ٢١/ ٤٣٣، برقم ١٤٠٣٧ من حديث أنس، والحاكم، ٢/ ١٧٤، برقم ٢٦٧٦، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، ولفظه بتمامه: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ». وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه علىٰ زاد المعاد، ١/ ٢٦٥: «وسنده حسن».

(٢) أبو داود، برقم ٤٦٦، وانظر: صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١.

(٣) رواه ابن السني، برقم ٨٨، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٦٠٧.

(٤) أبو داود، ١/ ١٢٦، برقم ٤٦٥، وانظر: صحيح الجامع، ١/ ٥٢٨.

(٥) مسلم، ١/ ٤٩٤، برقم/١٣، وفي سنن ابن ماجه من حديث فاطمة رضي الله عنها: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك(، وصححه الألباني لشواهده. انظر: صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٦) البخاري ١ /١٥٢ ومسلم ١ /٢٨٨

(٧) مسلم ١ /٢٩٠

يقول ذلك عقب تشهد المؤذن»(١)

ـ و« يصلي علىٰ النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن(٢)

ـ و«اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، [إنك لا تخلف الميعاد]»(٣)

ـ و«يدعو لنفسه بين الأذان والإقامة فإن الدعاء حينئذ لا يرد.»(٤).

▫ **الأَذْكَارُ بَعْدَ السَّلاَمِ مِنَ الصَّلاَةِ**

وهذه قلما تجد من يحفظ منها ما فيه التوحيد والتمجيد إنما أكثر الناس يكتفون بآية الكرسي والتسبيح والاستغفار.

كان ﷺ يقول:

– «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (ثَلاَثَا) اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ»(٥)

– «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [ثلاثا]، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(٦).

---

(١) ابن خزيمة ١ / ٢٢٠

(٢) مسلم ١ /٢٨٨.

(٣) البخاري ١ /١٥٢ وما بين المعكوفين للبيهقي ١ /٤١٠ وحسن إسناده العلامة عبد العزيز بن باز في تحفة الأخيار ص ٣٨.

(٤) الترمذي وأبو داود وأحمد وانظر إرواء الغليل ١ /٢٦٢.

(٥) مسلم، ١/٤١٤، رقم ٥٩١.

(٦) البخاري، ١/٢٥٥، برقم ٨٤٤، ومسلم، ١/٤١٤، برقم ٥٩٣، وما بين =

- «لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمدُ، وَهُوَ عَلَىٰ

- كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللَّهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ»(١)

- «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثا وثلاثين) لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٢)

- سورة الإخلاص والمعوذتين(٣)

- آية الكرسي(٤)

هكذا كانت البداية الفعلية بالتحضير والاستحضار، والنهاية الفعلية بالتمجيد والتوحيد والاستغفار، وبينهما ألف الفقهاء والعلماء

= المعقوفين زيادة من البخاري، برقم ٦٤٧٣.

(١) مسلم، ١/٤١٥ برقم ٥٩٤.

(٢) مسلم، ١/٤١٨، برقم ٥٩٧، وفيه: «من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

(٣) أبو داود، ٢/٨٦، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، ٣/٦٨، برقم ١٣٣٥، وانظر: صحيح الترمذي، ٢/٨. والسور الثلاث يقال لها: المعوذات. انظر: فتح الباري، ٩/٦٢.

(٤) من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت. النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠، وابن السني، برقم، ١٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٥/٣٣٩، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/٦٩٧، برقم ٩٧٢، والآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة. .

آلاف الكتب والأبواب في صفة صلاة النبي ﷺ وأحكامها الفقهية.

وأعرض هنا فقط جانبا مما يخدم موضوع الكتاب لإصلاح صلاتنا.

كيف كان يقبل علىٰ اللَّه في الصلاة؟

كيف كان استفتاحه وقراءته؟

كيف كان خشوعه؟

هل كان يبكي؟ وكيف كان بكاؤه؟

فيم كان يفكر ويتدبر؟

هل انشغل في صلاته بشيء؟ وما هو؟

هل كان يكتفىٰ في الركوع والسجود بالتسبيح؟

هل حقا كان يدعو في الصلاة في سبعة مواضع؟

- كان ﷺ يقبل علىٰ صلاته مطأطأ الراس ناظرا الىٰ الأرض.

- يستحضر وقوفه أمام اللَّه وأن اللَّه بينه وبين القبلة، ولا يلتفت لا بقلبه ولا بجسده، ويترك أي شيء يشغله عن الحضور أمام اللَّه ولو كان شيئا في ثوبه.

- ويستفتح بدعاء من عدة أدعيه ينتقل بينها لئلا يفقد حضوره بإلف العادة علىٰ دعاء واحد.

- وأما قراءته للقرآن فقلما تجد إماما أو مصليا يطبق سنته فيها، فقد كان ﷺ يقرأ آية آية، وإذا مر بآية فيها ذكر الجنة دعا اللَّه، بها وإذا مر بأية فيها ذكر النار تعوذ منها، وكان يُسمَع لصوته أزيز كأزيز المرجل(١).

---

(١) الأزيز: خَنين من الخوف ـ بالخاء المعجمة ـ وهو صوت البكاء، وقيل هو أن =

– وأما مواضع الدعاء في صلاته فكان يدعو في سبعة مواضع ذكرها ابن القيم في زاد المعاد.

▫ **النَّظَرُ إلى مَوْضع السُّجُودِ،**

«كان ﷺ إذا صلى؛ طأطأ رأسه، ورمى ببصره نحو الأرض»[(١)] .

▫ **الحضور في الوقوف بين يدى الله**

ـ في صحيح البخاري قَالَ ﷺ «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ في صَلاَتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ ـ أو إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ.

وقَالَ أَبُو ذَرٍّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لاَ يَزَالُ اللَّهُ ﷻ مُقْبِلا عَلَى الْعَبْدِ وَهُوَ في صَلاَتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا الْتَفَتَ انْصَرَفَ عَنْهُ». سنن أبى داود.

ـ وفي صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى في خَمِيصَةٍ ذَاتِ أَعْلاَمٍ فَنَظَرَ إِلَى عَلَمِهَا فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ «اذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِى جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ وَائْتُونِى بِأَنْبِجَانِيِّهِ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِى آنِفًا في صَلاَتِى».

▫ **ومن ادعية الاستفتاح**

ـ «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي، بالثلج والماء والبرد»[(٢)].

= يَجِيش الجوف ويَغْلي بالبكاء

المرجل: إناء يغلى فيه الماء، سواء كان مِن نحاس وغيره، وله صوت عند غليان الماء فيه.

(١) أخرجه الحاكم (٢/٣٩٣)، ومن طريقه البيهقي (٢/٢٨٣).

(٢) البخاري ١ /١٨١ ومسلم ١ /٤١٩.

ـ «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»[(١)].

ـ «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترف بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[(٢)].

ـ «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(٣)].

ـ «الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا» ثلاثا «أعوذ بالله من الشيطان: من نفخه، ونفثه، وهمزه»[(٤)].

---

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة وانظر صحيح الترمذي ١ /٧٧ وصيح ابن ماجه ١ /١٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ١ /٥٣٤.

(٣) أخرجه مسلم ١ /٥٣٤.

(٤) أخرجه أبو داود ١ /٢٠٣ وابن ماجه ١ /٢٦٥ وأحمد ٤| ٥٨ وأخرجه مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بنحوه وفيه قصة ١ /٤٢٠.

□ **بداية القراءة**

ثم كان ﷺ يستعيذ باللَّه تعالىٰ؛ فيقول:

«أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم؛ من هَمْزِه، ونَفْخِه، ونَفْثِه».

□ **القراءةُ آيةً آيةً:**

ثم يقرأ «الفَاتِحَة»، ويُقطعها آية آية[(١)]: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾،

[ثم يقف، ثم يقول:] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [ثم يقف، ثم يقول:

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، [ثم يقف، ثم يقول:] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وهكذا

ـ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي، وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ، مِنْ الْبُكَاءِ»[(٢)]

□ **الاستعاذةُ والتَّفْلُ في الصلاة لِدفع الوسوسة**

وقال له عثمان بن أبي العاص ﷺ: يا رسول اللَّه! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي؛ يَلبِسُها عليَّ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «ذاك شيطان يقال له: خِنْزَبٌ، فإذا أحسسته؛ فتعوذ باللَّه منه، واتفُل علىٰ يسارك ثلاثا». قال: ففعلت ذلك؛ فأذهبه اللَّه عني.[(٣)]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/٣٠٢)، وكذلك أخرجه أبو داود (٢/١٦٩) ـ وعنه البيهقي (٢/٤٤) ـ، والترمذي (٢/١٥٢ ـ وفي «الشمائل (٢/١٣٩) ، والدارقطني (١١٨)، والحاكم (٢/٢٣١ و ٢٣٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا ابن مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابن حِبَّانَ والالباني وماهر ياسين الفحل.

(٣) أخرجه مسلم (٧/٢١)، والطحأوي في «مشكل الآثار «(١/١٦٠)، والحاكم (٤/ =

▫ إطالة الركوع

و«كان ﷺ يجعل ركوعه، وقيامه بعد الركوع، وسجوده، وجلسته بين السجدتين قريبا من السواء[١]».

وقال «أعطوا كل سورة حَظَّها من الركوع والسجود (وفي لفظ: لكل سورة ركعة)[٢]».

▫ أدعية الركوع

واما دعاء الركوع فكان يضيف الىٰ سبحان ربىٰ العظيم دعاء أو تسبيح اخر يقول

ـ «سبحان ربي العظيم».

ـ «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[٣]

ـ «سبوح، قدوس، رب الملائكة والروح»[٤].

ـ «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي، وما استقل به قدمي»[٥]

ـ «سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة»[٦]

= ٢١٩) وصححه، والطبراني في «الكبير»، وأحمد (٤/٢١٦).

(١) أخرجه البخاري (٢/٢١٩ و ٢٢٩)، ومسلم (٢/٤٥)، وأبو داود (١/١٣٦)، والنسائي (١/١٦٢ و ١٧٢)، والترمذي (٢/٦٩) وصححه، والدارمي (١/٣٠٦).

(٢) أخرجه الطحأوي (١/٢٠٤)، وأخرجه الإمام أحمد (٥/٦٥)

(٣) البخاري ١ /٩٩ ومسلم ١ /٣٥٠.

(٤) مسلم ١ /٣٥٣ وأبو داود ١ /٢٣٠.

(٥) مسلم ١ /٥٣٤ والأربعة إلا ابن ماجه.

(٦) أبو داود ١ /٢٣٠ والنسائي وأحمد وإسناده حسن.

□ ودعاء الرفع من الركوع

ـ «سمع اللَّه لمن حمده»[(١)] .

ـ «ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه»[(٢)] .

ـ «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.»[(٣)]

□ ودعاء السجود

ـ «سبحان ربي الأعلىٰ» [(٤)] .

ـ «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[(٥)] .

ـ «سبوح، قدوس، رب الملائكة والروح»[(٦)] .

ـ «اللهم سجدت وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك اللَّه أحسن الخالقين» [(٧)] .

ـ «سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة»[(٨)] .

---

(١) البخارىٰ ١/١٣٩، ومسلم ١/٣٠٨

(٢) البخارىٰ ١/١٥٩

(٣) مسلم ١/٣٤٣

(٤) مسلم ١/٥٣٦.

(٥) البخاري ١/١٥٨، ومسلم ١/٣٥٠

(٦) مسلم ١ /٥٣٣

(٧) مسلم ١ /٥٣٤

(٨) أبو داود ١ /٢٣٠ وأحمد، والنسائي وصححه الألباني في صحيح أبي داود ١ / =

ـ «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره وعلانيته وسره»(١).

ـ «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»(٢).

▫ **دعاء الجلسة بين السجدتين**

ـ «رب اغفر لي رب اغفر لي»(٣).

ـ «اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، واجبرني، وعافني، وارزقني، وارفعني»(٤).

▫ **الدعاء بعد التشهد الأخير قبل السلام**

ـ «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»(٥).

ـ «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»(٦).

= ١٦٦.

(١) مسلم ١ /٣٥٠

(٢) مسلم ١ /٣٥٢

(٣) أبو داود ١ /٢٣١ وانظر صحيح ابن ماجه ١ /١٤٨.

(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي وانظر صحيح الترمذي ١ /٩٠ وصحيح ابن ماجه ١ /١٤٨

(٥) البخاري ٢ /١٠٢ ومسلم ١ /٤١٢ واللفظ لمسلم.

(٦) البخاري ١ /٢٠٢ ومسلم ١ /٤١٢.

ـ «اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»(١).

ـ «اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»(٢).

ـ «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»(٣).

ـ «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر»(٤).

ـ «اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار»(٥).

وقد سبق ذكر الأذكار بعد السلام من الصلاة

خشوعه وبكاؤه ﷺ في أفعال الصلاة وأقوالها

ومن كتاب صلاة المؤمن:

وكان قد جعل اللَّه تعالى قُرّة عينه، ونعيمَه، وسرورَه، وروحَه في الصلاة. وكان النبي ﷺ يقول: «يا بِلاَلُ أرِحْنا بِالصلاَةِ»(٦). وكان يقول

---

(١) البخاري ٨ /١٦٨ ومسلم ٤ /٢٠٧٨

(٢) مسلم ١ /٥٣٤.

(٣) أبو داود ٢ /٨٦ والنسائي ٣ /٥٣ وصححه الألباني في صحيح أبو داود ١ /٢٨٤ .

(٤) البخاري مع الفتح ٦ /٣٥.

(٥) أبو داود وانظر صحيح ابن ماجه ٢ /٣٢٨.

(٦) رواه أبو داود، في الأدب: باب صلاة العتمة، برقم ٤٩٨٥، و٤٩٨٦، وأحمد في المسند، ١٧٨/٣٨، برقم ٣٢٠٨٨ عن رجل من الصحابة، وصحح إسناده الشيخ الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ١/ ٢٦٥.

ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ»[(١)].

أما رقة قلبه ﷺ وبُكاؤه في الصلاة، وفي مواطن كثيرة:

لم يكن النبي ﷺ يبكي بشهيقٍ ورفع صوتٍ، كما لم يكن ضحكه قهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتىٰ تَهمُلا ويُسْمَعُ لصدره أزيز، وكان بكاؤُه تارة رحمة للميت، وتارة خوفا علىٰ أمته وشفقة عليها، وتارة من خشية اللَّه تعالىٰ، وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياقٍ ومحبةٍ وإجلالٍ[(٢)].

ومن الحالات التي بكىٰ فيها النبي ﷺ ما يأتي:

١ ـ بكاؤه من خشية اللَّه في صلاة الليل، فقال بلال: يا رسول اللَّه لِمَ تبكي وقد غفر اللَّه لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]»[(٣)].

---

(١) رواه النسائي، في عشرة النساء: باب حب النساء، //٦١، برقم ٣٩٤٠، وأحمد في المسند، ٢١/٤٣٣، برقم ١٤٠٣٧ من حديث أنس، والحاكم، ٢/١٧٤، برقم ٢٦٧٦، وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، ولفظه بتمامه: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ». وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه علىٰ زاد المعاد، ١/٢٦٥: «وسنده حسن».

(٢) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/١٨٣. حيث ذكر في ذلك روايات تدعم قوله، منها: البخاري، رقم، ١٣٠٣، ١٣٤٢، ٤٥٨٢، ومسلم، رقم ٨٠٠، و٢٣١٥، وأبو داود، رقم ١١٩٤، و٣١٢٦، والنسائي، رقم ١٣٨.

(٣) ابن حبان في صحيحه، برقم ٦٢٠، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم»، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٨: «وهذا =

٢ ـ بكاء النبي ﷺ في الصلاة من خشية اللَّه تعالىٰ، فعن عبد اللَّه بن الشخّير قال: أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو يُصلّي ولصدره أَزِيزٌ كأزيز المِرجل من البكاءِ(١).

٣ ـ بكاء النبي ﷺ عند سماع القرآن، فعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن» فقلت: يا رسول اللَّه! أقرأ عليك؛ وعليك أُنزل؟ فقال: «نعم، فإني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري» قال ابن مسعود: فافتتحتُ سورة النساء فلما بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء]، فإذا عيناه تذرفان(٢).

٤ ـ بكىٰ ﷺ في ليلة بدر وهو يصلي يناجي ربه ويدعوه حتىٰ أصبح، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما كان فينا فارس يوم بدرٍ غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول اللَّه ﷺ تحت شجرةٍ يُصلّي ويبكي حتىٰ أصبح(٣).

٥ ـ بكىٰ ﷺ في صلاة الكسوف، فعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: انكسفتِ الشمس يوما علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ، فقام رسول اللَّه ﷺ يُصلّي، ثم سجد فلم يكد يرفع رأسه، فجعل ينفخ ويبكي، وذكر

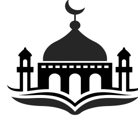
= إسناد جيد».

(١) أبو داود، برقم ٩٠٤، وصححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي، برقم ٢٧٦.

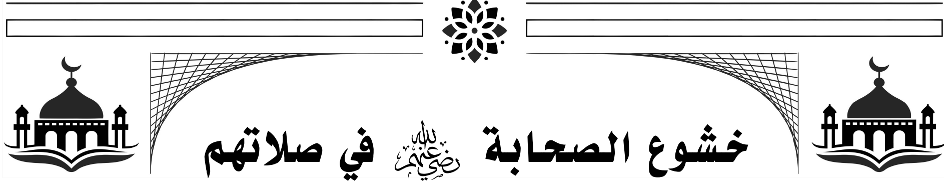
(٢) البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾، برقم ٤٥٨٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر، برقم ٨٠٠.

(٣) ابن خزيمة، برقم ٨٩٩، ٢/٥٣، وأحمد ١/١٢٥، ٢/٢٢٢، وصحح إسناده الألباني والأعظمي في صحيح ابن خزيمة، ٢/٥٢.

الحديث، وقال: فقام فحمد اللَّه وأثنىٰ عليه، وقال: «عُرِضَتْ عليَّ النار فجعلت أنفخها، فخفت أن تغشاكم» وفيه: «ربّ ألم تعدني ألا تُعذّبهم»(١).



(١) ابن خزيمة في صحيحه، برقم ٩٠١، وقال الألباني والأعظمي: إسناده صحيح، انظر: صحيح ابن خزيمة، ٢/ ٥٣، وصححه الألباني في مختصر شمائل الترمذي برقم ٢٧٨. .



خشوع الصحابة ﷺ في صلاتهم

الصحابة ﷺ يقتدون بالنبي ﷺ في خشوعه في صلاته، ومن أمثلة ذلك الأمثلة والنماذج الآتية:

١ ـ خشوع أبي بكر ﷺ في صلاته، فعن عائشة ﷺ قالت: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بِلَالٌ يُوذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ بِالنَّاسِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[1]، وَإِنَّهُ مَتَىٰ يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ؟ فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ بِالنَّاسِ» وفي رواية: أنه قال ﷺ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلّ بِالنَّاسِ» قالت عائشة: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لم يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاء، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلّ بِالنَّاسِ»[2].

وهذا فيه من الفوائد: خشوع أبي بكر في صلاته، وقراءته، وأن البكاء في الصلاة من خشية اللَّه تعالىٰ لا حرج فيه، لكن لا يتكلَّف ذلك، ولا يطلبه، فإذا غلبه البكاء في الصلاة بدون اختياره فلا حرج[3].

---

(١) أسيف: شديد الحزن، والمراد: أنه رقيق القلب، إذا قرأ غلبه البكاء، فلا يقدر علىٰ القراءة [فتح الباري، ٢/١٥٢، ١٦٥، ٢٠٣]..

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب الرجل يأتم بالإمام، ويأتم الناس بالمأموم، برقم/١٣، ورقم ٦٧٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر...، برقم ٤١٨.

(٣) انظر: شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، ٤/٣٧٩ ـ ٣٨٦، وفتح الباري لابن حجر، =

٢ ـ خشوع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاته، كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالناس صلاة الفجر، فطعنه أبو لؤلؤة المجوسي، فقال عمر حين رأىٰ نزف الدماء: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصلّ بالناس، ثم غُشي علىٰ عمر رضي الله عنه، فحُمل فأدخلوه بيته، ثم صلَّىٰ بالناس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فأنكر الناس صوت عبد الرحمن، ولم يزل عمر رضي الله عنه في غشية واحدة، حتىٰ أسفر، فلمَّا أسفر أفاق، فنظر في وجوه مَنْ حوله فقال: «أصلَّىٰ الناس؟» قالوا: نعم، فقال: «لا إسلام لمن ترك الصلاة»، ثم دعا بوضوء فتوضأ، ثم صلَّىٰ، وجرحه ينزف دما، ثم أمر بعد صلاته من يسأل عن من قتله؟ فأخبروه أنه طعنه أبو لؤلؤة، فقال عمر رضي الله عنه: «الحمد للَّه الذي لم يجعل قاتلي يحاجّني عند اللَّه بسجدة سجدها له قط»[1].

فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصا علىٰ صلاة المسلمين، وكان ذلك أعظم عنده من نفسه، فسأل: «أصلىٰ الناس؟»، ثم أقبل علىٰ صلاته، ثم بعد أن صلَّىٰ سأل عن من قتله رضي الله عنه؟.

وكان عمر رضي الله عنه قد رأىٰ رجلا طأطأ رقبته في الصلاة، فقال:

«يا صاحب الرقبة أرفع رقبتك، ليس الخشوع في الرّقاب، إنّما الخشوع في القلوب»[2].

= ٢/١٥١، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٣، ٢٠٣، و ٢٠٦.

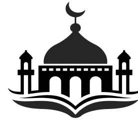
(١) ذكره ابن القيم رحمه الله عن ابن زنجويه بسنده إلىٰ عمر رضي الله عنه، في كتاب الصلاة وحكم تاركها، ص ٢٦. وانظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص ٢١٥ ـ ٢١٦..

(٢) ذكره الإمام الذهبي في كتاب الكبائر دون عزو لكتاب، ص ١٤٣، وانظر مدارج =

٣ ـ خشوع سعد بن معاذ رضي الله عنه في صلاته، فقد ذُكِرَ أنه قال: «فيَّ ثلاث خصال لو كنت في سائر أحوالي أكون فيهن كنت أنا أنا: إذا كنت في الصلاة لا أُحَدِّثُ نفسي بغير ما أنا فيه، وإذا سمعت من رسول اللَّه ﷺ حديثا لا يقع في قلبي ريب أنه الحق، وإذا كنت في جنازة لم أُحدّث نفسي بغير ما تقول ويُقال لها»[(١)].

٤ ـ خشوع عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه في صلاته، قد ذُكِرَ أنه «كان يسجد فأتىٰ المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو في الصلاة لا يرفع رأسه»[(٢)].

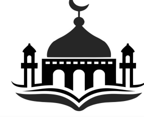
وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ كثير، ولكن هذه من باب الأمثلة واللَّه المستعان.



= السالكين لابن القيم، ١/٥٢١ ـ ٢٥٢.

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية، في مجموع الفتاوىٰ، ٢٢/٦٠٥. وقد أورده ابن عبد البر بإسناده من طريق الزهري عن ابن المسيب في الاستيعاب، ١/١٨٢، والمزي في تهذيب الكمال بالإسناد نفسه، ٣/٤١٨..

(٢) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ، ٢٢/٦٠٥. وقد أورده أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين بأصبهان، ص ٢٩.


خشوع التابعين ومن بعدهم

التابعون من القرون المُفضَّلة، وكذلك أتباعهم رضي الله عنهم، لهم مواقف في خشوعهم في صلاتهم، تدل على رغبتهم فيما عند اللَّه تعالى، ومنها الأمثلة الآتية:

١ ـ خشوع عروة بن الزبير في صلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ

كان عروة يخشع في صلاته خشوعا عظيما، فقد ذُكِرَ عنه أنه خرج من المدينة مُتوجّها إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وعندما كان في وادٍ قرب المدينة أصابه أكلة في رجله، ولم يصل إلى دمشق إلا وقد وصلت الأكلة إلى نصف ساقه، ودخل على الوليد، فجمع له الأطباء، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلَّها إلى وركه، وربما ترقَّت إلى الجسد، فطابت نفسه بقطعها، وقالوا له: ألا نسقيك مُرَقِّدا؟ فقال: ما ظننت أن أحدا يشرب شرابا، أو يأكل شيئا يُذْهِبَ عقله حتى لا يعرف ربه، ولكن إن كنتم لا بد فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة؛ فإني لا أحسُّ بذلك، ولا أشعر به، فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحي احتياطا حتى لا يبقى منها شيء وهو قائم يصلي، فما تألَّم ولا اضطرب، فلمَّا انصرف من الصلاة عزّاه الوليد في رجله، فقال: اللهم لك الحمد، كان لي أطراف أربعة، فأخذت واحدا، وأبقيت ثلاثة، فلئن كنت قد أخذتَ فقد أبقيت، وإن كنت قد ابتليت فَلَطَالَمَا عافيت، فلك الحمد على ما أخذت، وعلى ما عافيت، وكان قد صحبه بعض أولاده... فمات أحبهم إليه فَعَزَّوْهُ فيه، فقال:

الحمد للَّه كانوا سبعة، فأخذتَ منهم واحدا وأبقيتَ ستة، فلئن كنتَ قد ابتليتَ، فلطالما عافيتَ، ولئن كنتَ قد أخذتَ، فلطالما أعطيتَ، ثم رجع إلىٰ المدينة، وما شكا ذلك إلىٰ أحد، فلمّا دخل المدينة أتاه الناس يسلّمون عليه ويُعزُّونه في رجله وولده، فبلغه أن بعض الناس قال: إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه،

فأنشد عروة في ذلك، والأبيات لمعن بن أوس:

لعمركَ ما أهويتُ كفّي لريبةٍ ولا حَمَلَتني نحوَ فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلَّني رأيي عليها ولا عقلي(١)

٢ ـ خشوع عامر بن عبد اللَّه بن قيس(٢) في صلاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

كان لهذا الرجل من الأخبار في الخشوع في صلاته الأخبار الكثيرة، ومنها:

* قيل له: أتحدّث نفسك في الصلاة؟ قال: أحدّثها بالوقوف بين يدي اللَّه، ومنصرفي(٣) أيّ إلىٰ أي الدارين.

* وذكروا له بعض ما يجدونه في الصلاة من أمر الضيعة، فقال: أتجدونه؟ قالوا: نعم، قال: واللَّه لأن تختلف الأسنّة في جوفي أحبُّ إليَّ من أن يكون هذا منّي في صلاتي(٤).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ٩/١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٤/١٥: «عامر بن قيس، القدوة، الولي، الزاهد» كان ثقة من عبّاد التابعين، قال فيه كعب الأحبار: هذا راهب هذه الأمة، قال أبو عبيد: كان عامر بن عبد اللَّه الذي يعرف بابن عبد قيس يقرئ الناس، قيل: توفي في زمن معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، [انظر: سير أعلام النبلاء/٤/١٩].

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/١٧.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم، ٢/٩٢.

* وعندما حضرته الوفاة بكىٰ، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا علىٰ الدنيا، ولكن أبكي علىٰ ظمأ الهواجر، وقيام الليل(١).

* وكان يُقرئ القرآن لمن يتعلَّم عنده، ثم يقوم فيصلّي إلىٰ الظهر،

ثم يصلّي إلىٰ العصر، ثم يُقرئ الناس إلىٰ المغرب، ثم يُصلّي ما بين العشائين، ثم ينصرف إلىٰ منزله فيأكل رغيفا، وينام نومة خفيفة، ثم يقوم لصلاته، ثم يتسحَّر رغيفا ويخرج(٢).

٣ ـ خشوع الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صلاته:

قال مسبح بن سعيد: «كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بختمة(٣)، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يُصلّي ذات يوم أو ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضىٰ صلاته قال: انظروا أي شيء آذاني في صلاتي، فنظروا فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعا، ولم يقطع صلاته(٤). وقد قيل: إن هذه الصلاة كانت التطوع بعد صلاة الظهر، وقيل له بعد أن فرغ من صلاته: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما لسعك؟ قال: «كنت في سورةٍ فأحببت أن أتمَّها»(٥).

وما ذلك إلا لأهمية الصلاة ودورها في حياة الامة إحيائها وما لأئمة

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٤/١٩، وحلية الأولياء، ٢/٨٨.

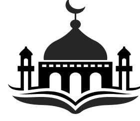
(٢) سير أعلام النبلاء، ٤/١٥ ـ ١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٣٩.

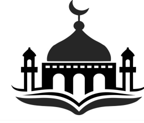
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٢/٤٤٢، وهدي الساري لابن حجر، ص ٤٨٠.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٢/٤٤٢، هدي الساري لابن حجر، ص ٤٨١.

المساجد من تأثير عظيم في صلاة الناس إيجابا وسلبا.









وختامًا

نفحات من حديث المعية والقرب المهجور

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». رواه مسلم

✍ أولًا: المعية والقرب

أما كونه حديث المعية والقرب فقد تجلىٰ فيه الحضور والقرب من اللَّه ومناجاته حتىٰ كأنك

تراه وتكلمه بلا حجاب.

- ويدرك قلبك أقصىٰ درجات المعية والقرب من اللَّه لحظة قولك: «أنا بك وإليك».

- وأقصىٰ درجات الحضور والامتثال لحظة قولك «لبيك وسعديك».

ـ وأقصىٰ درجات التملق والطاعة والذل لحظة قولك: «أنت الملك.. وأنا عبدك».

ـ وأقصىٰ درجات الصدق لحظة قولك: «ظلمت نفسي واعترفت بذنبي».

ـ وأقصىٰ درجات الإخلاص لحظة قولك: «إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

ـ وأقصىٰ درجات العبودية والتوحيد لحظة قولك: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

كما جمعت هذه المناجاة الثناء علىٰ اللَّه والدعاء والاستغفار والتوبة.

وتدبرك لهذه الأقوال واستحضار معانيها يجعلك تحلق في آفاق الملكوت حتىٰ تصل إلىٰ معية اللَّه حاضرا أمام العرش قبل أن تبدأ في صلاتك، وعندها ستصلي صلاة وأي صلاة وستقرأ القرآن وأي قراءة، فإذا نظر اللَّه إليك وأفاض عليك من الفتح في التدبر والخشوع، ذرفت الدموع ووجل القلب واقشعر البدن، وعند معية اللَّه جل جلاله تعجز الأقلام عن وصف المقام.

أخي الحبيب «أنا بك وإليك»؛ كلمتان فيهما العبودية والتوحيد.

ـ بك بدايتي وحياتي، وإليك نهايتي ومماتي.

ـ هدايتي بك، فلاحي بك، توفيقي بك.

ـ يقيني وإيماني بك، وصدقىٰ وإخلاصي بك.

ـ نجاتي بك، خلاصي بك، فوزي بك.

ـ رزقي بك، عافيتي بك، حولي وقوتي بك.

ـ أعوذ بك، وألوذ بك، وأجوز بك.

ـ أصول بك، وأجول بك، وأخاصم بك.

ـ استعين واستجير بك، نفعي وضري بك.

ـ فرحي ومرحي بك، وترحي بك.

كل هذه المعاني وغيرها كثير اختصرها النبي ﷺ في قوله «أنا بك»، وعندما تقول: «وإليك» استحضر قرب أجلك وقدومك علىٰ اللَّه ووقوفك بين يديه.

✍ **ثانياً الهجر**

أما الهجر فالحديث مهجور والقرب مهجور والمعية مهجورة إلا لمن رحم ربي ، ولا عجب فأكثر الناس اتخذوا القرآن مهجورا فما بالكم بالحديث.

وأما أسباب الهجر:

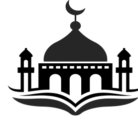
ـ فالسبب العلمي أن أحد العلماء رحمه اللَّه ذكر أن الحديث ورد في قيام الليل، فاشتهر هذا القول بشهرته وتابعه غيره من العلماء وتركوا العمل بالحديث في الفرائض والسنن ، ولكن ضعف هذا القول جماعة من العلماء.

ـ ثانيًا أكثر الناس لا يعلمون من الحديث إلا مقدمته وهي قوله «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

أمـا بقـية الحـديث والتـي فـيها القـرب والمعـية والـتملق والمـناجاة فغائبة عنهم.

ـ وأما الأسباب الأكبر فهي الأسباب الكثيرة التي أوردناها في هذا الكتاب منها ثلاثة عشر سببا جديدا معاصرا بالإضافة إلىٰ الأسباب العامة والأسباب الخاصة، وقسوة القلب، والأسباب الثلاثة وخمسون لضياع الخشوع في الصلاة، وأسباب الوسوسة، وغيرها .

ومن تدبر الحديث وعمل به كما سبق اندثرت كل هذه الأسباب، وأدرك المعية والقرب من اللَّه، ومن تقرب من اللَّه شبرا تقرب اللَّه اليه ذراعا، ومن تقرب ذراعا تقرب اليه باعا، ومن أتاه يمشىٰ أتاه هرولة. واللَّه ولي التوفيق.



الخاتمة

الحمد للَّه والصلاة والسلام علىٰ رسول اللَّه ﷺ واستغفر اللَّه علىٰ تقصيري، وعزائي أني قد استنهضت الهمم لهذا الأمر العظيم لأهله من العلماء والدعاة والأئمة والمصلحين والمسئولين أصحاب القرار العلمي والإداري والسياسي وكل مسلم غيور ليقوموا بدورهم ومسئوليتهم فيه واستكماله بإصلاح صلاة المسلمين وإصلاح أئمة المساجد ورعايتهم.

ولقد انتفعت وتأثرت بما طالعته وبحثته ووجدت فيه علما وكنوزا لا علم لي بها، ولا شك أيها القارئ إن أكملت قراءته ستجد أثره وثمرته، سترىٰ في **باب الأصول** فصول من الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين وفقهاء الأمة وعلمائها وصالحيها عن شتىٰ مواضيع الصلاة.

لقد تجلىٰ لك حقيقة إضاعة الصلاة في بلدان المسلمين ومظاهرها وأسبابها وعلاجها والحاجة الملحة لإصلاحها ودور كل منا فيها، ووقوفنا علىٰ الواقع المرير لائمة المساجد وكيف شاركوا في إضاعة الصلاة والأمل المعقود عليهم وعلىٰ العلماء والمسئولون في إصلاح الصلاة وأئمتها.

وإن الأبحاث التي جاءت في هذا الباب جلية واستقصائية للأقوال المتعارضة والمذاهب المختلفة والخلافات القديمة والمعاصرة، وفيها أثر عملي، وإثراء علمي، وقواعد هي عيون الكنوز المخفية عند أكابر علماء الأمة تجلت منها حقيقة النقارين والسارقين من صلاتهم،

وأن أقوالهم وصلاتهم هي استخفاف بالصلاة وليست التخفيف الذي عليه الأقدمون.

وأما **باب الوصول** فكان الطريق إلىٰ الإصلاح والعلاج من خلال عشرة محاور لتحفيز وجود المقتضي وانتفاء المانع: الإيمان، والقرآن، وحب اللَّه، وإصلاح القلب، ومعرفة مكانة الصلاة، وأسرارها، وبيانها كتطبيق عملي من علماء الأمة.

وأما **باب الفضول** فهو الإبحار والتعمق والتحليق الفقهي والقلبي واستخراج الكنوز واللآلئ المخفية من السنه وأقوال علماء الأمة، ولم أرها خرجت إلىٰ النور في كتب المعاصرين.

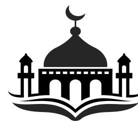
وإني لأشكر لك أيها القارئ اهتمامك واستبشر بك وبجهودك الصادقة في القيام بهدف الكتاب، وأن تحمل همّ الأمة أيا كان موقعك ومنصبك في كل وزارة أو هيئه أو كيان أو حي أو مسجد أو بيتك، وأهيب بك التواصل لإصلاح ما في الكتاب من خطأ أو خلل أو نقص أو إضافة أو حذف، ولا تجعل نفع الكتاب يقف عندك بل انفع به كل مسلم.

واللَّه الموفق والحمد للَّه رب العالمين.

عبد الحميد طنطاوي الكويت

٢٤ رجب ١٤٤٤

٢٤ يناير ٢٠٢٥



المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- تفسير زاد المسير ابن الجوزي
٣- تفسير أضواء البيان
٤- تفسير السعدي
٥- التفسير الميسر
٦- صحيح البخاري
٧- صحيح مسلم
٨- موطأ مالك
٩- سنن الترمذي
١٠- مسند أحمد
١١- سنن ابئ داوود
١٢- سنن النسائئ
١٣- سنن ابن حبان
١٤- سنن ابن ماجة
١٥- مستدرك الحاكم
١٦- مسند البزار

١٧- المعجم الكبير للطبراني

١٨- الأدب المفرد للبخاري

١٩- شعب الإيمان للبيهقي

٢٠- الام الامام الشافعي

٢١- إحياء علوم الدين للغزالي

٢٢- مجموع الفتاوىٰ ابن تيمية

٢٣- القواعد النورانية ابن تيمية

٢٤- فتح الباري لابن رجب

٢٥- شرح النووي علىٰ مسلم

٢٦- عمدة القاري للبدر العيني

٢٧- الشرح الكبير لابن قدامه

٢٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن

٢٩- الافهام شرح عمدة الاحكام

٣٠- توضيح الاحكام من بلوغ المرام

٣١- تحفة الفقهاء

٣٢- الحاوي للفتاوي

٣٣- ذخيرة العقبىٰ شرح المجتبىٰ

٣٤- المحلىٰ لابن حزم

٣٥- زاد المعاد ابن القيم

٣٦- الصلاة وحكم تاركها لابن القيم

٣٧- مدارج السالكين لابن القيم

٣٨- طريق الهجرتين لابن القيم

٣٩- أسرار الصلاة ابن القيم

٤٠- رسالة ابن القيم لاحد اخوانه

٤١- التذكرة القرطبي

٤٢- الدين الخالص للسبكي

٤٣- فقه السنه سيد سابق

٤٤- فتاوىٰ العثيمين

٤٥- موسوعة فقه القلوب

٤٦- معانىٰ الصلاة ياسين الفحل

٤٧- صلاة المؤمن سعيد وهف القحطاني.

٤٨- مقاصد الصلاة للعز بن عبد السلام

٤٩- الصلاة ومقاصدها للحكيم الترمذىٰ

٥٠- مراصد الصلاة في مقاصد الصلاة لقطب الدين القسطلاني

٥١- عدة مؤمرات وأبحاث ورسائل من عدة دول

٥٢- دروس الشيخ محمود الطحان

٥٣- مسلكيات إبراهيم عمر السكران

٥٤- الطريق إلىٰ القران إبراهيم عمر السكران

٥٥- رقائق القران إبراهيم عمر السكران

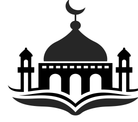
٥٦- فتاوىٰ الشبكة الإسلامية

٥٧- مجلة البحوث الإسلامية

٥٨- محمد إسماعيل المقدم

٥٩- خالد أبو شادي

٦٠- كيف تخشعين في الصلاة رقيه المحارب.



فهرس الموضوعات

